سلسلة العلوم الاجتماعية

الحركة النسائية الحديثة

قصة المرأة العربية على أرض مصر

دكتورة إجلال خليفة

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

الحركة النسائية الحديثة

قصة المرأة العربية على أرض مصر

07/09

الحركة النسائية الحديثة

قصة المرأة العربية على أرض مصر

دكتورة إجلال خليفة

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د . ناصر الأنصاري

الجهات المشاركة

وزارة الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

المجلس القومي للشباب

وزارة التنمية الإقتصادية

تصميم الغلاف

د . إيناس حسني

المنفذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

لوحة الغلاف من أعمال الفنان : راغب عياد

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

الجمل ، عبد الباسط

الحركة النسائية الحديثة/ قصة المرأة العربية على أرض مصر/ تأليف: إجلال خليفة. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

٣٢٠ ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك : ٤ – ٤٨٥ – ٤٢٠ – ٩٧٧ – ٩٧٨.

١ ـ المرأة فى مصر .

أ – العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧٠١ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978 - 977- 420 -485 - 4

ديوى ٣٠١,٤١٢

توطئة

منذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع، ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على

منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى. ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش؛ ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

يرصد هذا الكتاب تطور الحركة النسائية، ودور المرأة، ومكانتها فى المجتمع المصرى منذ العصر الفرعونى إلى العصر الحديث مؤرخًا لدرجات الرقى التى بلغتها المرأة المصرية الفرعونية؛ حيث كانت تحيا حياة عائلية واجتماعية متقدمة للغاية بلغت ذروتها حيث اعتلت المرأة عرش مصر كملكة متوَّجة مثل حتشبسوت، وسبك نفرو، وغيرهن، واستمر دور المرأة الطليعى فى العصر المسيحى؛ حيث قامت نساء مصر بتأييد دعوة السيد المسيح عليه السلام، ومساعدة المؤمنين به من قساوسة ورهبان، وأعوان ضد الاضطهاد الرومانى الرهيب، ثم استمرار الدور الحيوى للمرأة عند ظهور الإسلام والعمل على نصرته سواء فى مجال الدعوة أو فى الغزوات والحروب، وظهرت أسماء نالت شهرة واسعة مثل خولة بنت الأزور، والخنساء، وغيرهن.

ثم يستعرض الكتاب التراجع الذى حدث لدور المرأة إبان الحكم العثمانى ومعاناة المجتمع المصرى كله من التراجع فى كافة المجالات، كما يوضح الكتاب العوامل التى أدت إلى نهوض الحركة النسائية من جديد مثل قدوم الحملة الفرنسية حيث ظهرت ملامح التغيير فى مجتمع المرأة، وشاركت المرأة الرجل فى الثورة ضد الفرنسيين مما شجعها على المشاركة التدريجية فى الحياة العامة بعد ذلك، كما كان لذهاب البعثات العلمية إلى الخارج وعودتها بأفكار ومفاهيم

جديدة تجاه المرأة والإيمان بضرورة تغيير وضعها، ووجوب تعليمها، كذلك كان لهجرة السوريين والشوام وزوجاتهم إلى مصر أثر فى هذا التغيير؛ حيث ظهرت سوريات رائدات للحركة النسائية حملن لواء الصحافة النسائية فظهرت صحف ومجلات مثل أنيس الجليس، ومجلة الفتاة، ومجلة السيدات، وغيرها. كما قامت جمعيات نسائية كثيرة ساهمت فى خروج المرأة للتعليم والعمل والمشاركة فى الحياة السياسية والاجتماعية.

وترى المؤلفة - وهى حاصلة على ماچستير ودكتوراه فى الصحافة النسائية، وكانت عضوًا بهيئة التدريس بجامعة القاهرة - أن الحركة النسائية كان لها أثر كبير فى المجتمع المصرى، وهى رسالة عظيمة تقوم على أكتاف من يؤمن بها وينظر إليها على أنها عمل وطنى من شأنه إصلاح المجتمع والوطن كله.

وتقدم مكتبة الأسرة هذا الكتاب عن طبعته الأولى عام ١٩٧٤ ليكون ضمن إصداراتها هذا العام.

الإهـــــداء...

إلى من صوّرت كفاح المرأة العربية الواعية وأسهمت بشرف وتضحية فى صنع الحضارة على أرض العرب.

إلى أمى وهى فى رحاب الله.....

أقدّم هذا الكتاب... تقديراً لتفانيها فى سبيل العلم والأخلاق، ولإنارتها بعض المصابيح على طريق التقدم العلمى لأمتنا.

مقدمة

الحركة النسائية، أو النهضة النسائية فى مصر، تحتل جانبًا مهمًا من تاريخنا السياسى والاجتماعى والثقافى، وهو جانب حافل بالكفاح والصراع فى سبيل قضية من أهم قضايا الوطن والمجتمع والفكر، لا فى مصر وحدها، بل فى أمتنا العربية كلها؛ لأن اللائى أسهمن فى هذه الحركة كن مزاجًا من نساء مصر وسوريا ولبنان وفلسطين ونساء بعض الدول العربية الأخرى.

إن أية قضية من قضايا الوطنية والاجتماعية لم تأخذ من العمل والجهد.. ولم يحدث فيها من مصادمات الرأى والفكر، مثل ماحدث فى قضية المرأة، ذلك لأن قضية المرأة عندنا لم تكن مجرد مسألة خاصة بالوضع الاجتماعى للمرأة ومشاركتها الفعالة فى الحياة العامة، ولكنها كانت قضية المرأة والرجل على السواء للتطور الحضارى والثقافى الذى ألمَّ بنا لاستمرار عجلة الزمن فى الدوران.

والذين جاهدوا لهذه القضية وتناولوها بالتأييد أو بالمعارضة، إنما تناولوها على أساس من الدين والأخلاق والعرف والتقاليد، كل كما يرى ويؤمن ويعتقد، وهذه مسائل كما نعلم تتصل بأعماق النفوس، وليس التحرك فى مجالها بالأمر السهل أو المأمون العواقب، ويكفى أن نعرف أن قاسم أمين مثلاً يوم رفع صوته مناديًا برفع الحجاب عن المرأة، اتهم بالكفر والإلحاد والمروق من الدين؛ لأن المعارضين لهذا الرأى كانوا يرون فى رفع الحجاب عن المرأة خروجًا على تعاليم الدين واستهانة بالأخلاق، وتمردًا على العرف والتقاليد واستخفافًا بسلطة الرجل وماهو مقرر له من حق القوامة على المرأة حسب فهمه لهذه القوامة.

فى هذا المجال، طال الصراع الفكرى والعقلى وكثرت المجادلات والمصادمات وانقسمت الأمة إلى فريقين فى الرأى، وكافح كل فريق للانتصار لما ينادى به، ومن هنا نرى أن المرأة لم تصل إلى ما وصلت إليه اليوم إلا بصراع وكفاح مريرين. وعلى طريق من الشوك والأحجار والنيران، ولكن هذه الحركة النسائية، أو بمعنى أصح الثورة الاجتماعية الفكرية العارمة وماجرى فيها من مصادمات اجتماعية وعقائدية لم تجد إلى الآن مؤرخًا يؤرخ فصولها ويشرح مواقفها ويحصى أعمالها ويتناول آثارها ونتائجها بالتحليل والرأى، بدقة وبموضوعية على أساس من المراجع العلمية والوثائق التاريخية التى لايعرف عنها أغلبنا شيئًا.

وفى أثناء دراستى للحصول على درجة الماجستير ثم درجة الدكتوراه فى الصحافة النسائية، استطعت بفضل من الله سبحانه، أن أحصل على حقائق كثيرة مهمة ومعلومات قيمة عن الحركة النسائية وما اعترى هذه الحركة من مواقف وظروف وعوامل ومؤثرات يجب أن تخرج إلى النور ليعرفها الأبناء والأحفاد، ولنسجل للوطن هذا الجانب المهم الذى يضم التطور التاريخى لتلك الحركة بأسلوب علمى بحيث يذكر ويعلن بوقائعه وبأشخاصه وبظروفه وملابساته، خاصة وأنه لم يكتب فى موضوعه بطريقة تقترب من حقائقه الموضوعية ووقائعه التاريخية من قبل. فالحركة النسائية التى حدثت على أرض مصر تختلف دون شك عن غيرها من حركات نسائية شاهدتها البلدان الأخرى، وذلك لاختلاف تاريخ المرأة المصرية عن تاريخ غيرها من نساء العالم، لعمقه وأصالته؛ ولذلك لانعجب إذا وجدناها تستجيب دائمًا وعند اقتضاء الحاجة للأعمال البناءة وللأحداث المهمة التى لها بصمات بارزة على أرض مصر، وهذا الكتاب محاولة رائدة لوضع قصة الحركة النسائية بين يديك لتعرف عنها كثيرًا مما كنت تجهله ويكشف لك دقائقها ويبين للجيل الحاضر والأجيال القادمة، كفاح أفراد عانوا وجاهدوا دون مقابل من أجل واقعنا المعاصر.

ولقد حصلت على المادة العلمية لهذا الكتاب من كتب عربية وأجنبية ودوريات صحفية عديدة صدرت بالوطن العربى وبلدان أجنبية وضمت انطباعات بعض الناس الذين عاشوا على أرض العروبة بعض الوقت، ومن المصادر المهمة التى

أمدتنى بمعلومات قيمة عن هذه الحركة، المصادر الحية التى عاصرتها أو عاصرت بعض رائدات الحركة النسائية وعاشت معها وحصلت على وثائق مهمة عن هذه الحركة من اللائى أسهمن فيها أو من أبنائهن والعاملين معهن والمتصلين بهن مثل السيدات (سارة الميهية) صاحبة مجلة «فتاة النيل» التى أصدرتها سيادتها بالقاهرة سنة ١٩١٣ أمد الله فى عمرها والمرحومة جميلة عطية وعلية مظهر وحواء إدريس كما ساعدنى فى الحصول على بعض المعلومات الدكتورتان بنت الشاطىء ونفيسه محمد وعلية إسماعيل وحكمت أبو العينين، وقد أمدنى بعضهن بوثائق تاريخية مهمة لم تنشر من قبل خاصة فيما يتصل بدور هدى شعراوى الحقيقى فى الحركة النسائية.

وتناولى هذا الموضوع بالكتابة هو فى الواقع تعبير حى وصادق لواقعى التاريخى كإنسانة عاشت بوعى على هذه الأرض وشاهدت انتقال المرأة المصرية السريع من حياة الحريم بأفقها الضيق القائم على أساس الاهتمام بإرضاء الرجل أيا كانت سبل هذا الإرضاء، إلى الحياة العامة التى تهتم بالمساهمة الفعالة لتقدم الوطن على أساس علمى وإدراك واعٍ وقدرات عقلية متفتحة، لتساعدها على التخلص من قيود سجن الحريم وخرافاته وتقاليده التى مازالت تعشش فى أعماق بعضنا وعقولنا الباطنة.

والمرحلة الحرجة التى تمر بها المرأة العربية الآن ويمر بها الوطن، لهى فى أشد الحاجة إلى مرجع علمى يتناول بطريقة موضوعية الأبعاد المختلفة للحركة النسائية. أو إن شئت فقل النهضة أو الثورة النسائية منذ بدأت فى نهاية القرن السابع عشر حتى يومنا الحالى وقد آليت على نفسى أن أقدم للحياة العلمية والاجتماعية والتاريخية والفكرية لهذا المرجع. ولست فى حاجة لكى أذكر هنا كم عانيت وبذلت الكثير من العمل المرهق والجهد المضنى والسهر المتواصل للتغلب على المعوقات الشاقة التى صادفتنى، وأقرب مثلا منها صعوبة العثور على مراجع وافية عن هذا الموضوع وندرة المراجع الموضوعية التى تحدثت عنه بالإضافة إلى عدم دقة المصادر الحية النسائية وتضاربها والشوائب الذاتية والشخصية التى تغلفها، ومن هنا كان علىَّ أن أبذل ما فى طاقتى من قوة وجهد لأنْ أخرج هذا

العمل إلى الوجود فى صورة قريبة من الكمال وليكون مصباحًا مضيئًا على طريق الفتاة العربية أينما كانت فى القرية أو فى المدينة، فى المصنع أو الحقل، فى المدرسة أو فى المنزل، على أمل أن تخرج إلى الحياة نماذج نسائية منها تستطيع رفع الراية وحمل مشعل الحضارة، ولكى تستمر المسيرة النسائية الفاضلة والمكافحة على أرض العرب إلى ماشاء الله، فالمرأة عندما تعمل بشرف وتضحية لا يقف آثار هذا العمل عليها فقط، بل تمتد آثاره على الرجل أيضًا وتذكر معى قول جان جاك روسو:

الرجل من وضع النساء فإذا أردتم رجالاً عظامًا، فعلموا المرأة ماهى العظمة وماهى الفضيلة».

ومهما يكن من شىء فإنى أسجد للعلى القدير شاكرة لمعاونته لى سبحانه، وتفضله على بإتمام هذا البحث فى صورته الحالية، وإنى لا أدعى أنه خالٍ من العيوب أو أنه يضم كل شىء عن الحركة النسائية أو رحلة المرأة العربية كاملة على أرض مصر إذ توجد جوانب أخرى لهذه الحركة لايمكن أن يضمها جميعًا مجلد واحد وإلا خرجت للحياة العلمية فى صورة سريعة ومشوهة مثل «موقف الحركة النسائية من قضية فلسطين» لا يمكن أن يضمها فصل واحد فى كتاب مثل الذى بين يديك كذلك «الجمعيات والأحزاب النسائية» لما لها من أثر فعال فى الحركة الاجتماعية فى البلاد؛ لذا رأيت أن يضم كل من «موقف الحركة النسائية» وتلك الجمعيات كتاب منفصل وليكن فى حجم أصغر لأن ذلك سيكون أشمل الجوانب كل منها إن شاء الله. وبعد قراءة الأسطر القادمة سوف يشعر كل منا بحاجة ماسة لمعرفة تراجم لبعض اللائى كانت لهن بصمات بارزة فى هذه الحركة، وكل الرائدات فى المهن والعلوم والمناصب الإدارية والفنية والعلمية المختلفة ومن كن قدوة لغيرهن فى سلوكهن وإنتاجهن، ومجتمعنا يضم الكثير منهن والحمد لله وأرجو أن يوفقنى الله وتتيح لى الحياة أن أخرج إلى الوجود هذا العمل التاريخى.

ومما لاشك فيه أنه لولا مساعدة بعض الأفاضل من السيدات والسادة لما خرج هذا الكتاب الذى بين يديك فى صورته الحالية وفى مقدمة هؤلاء: علية

مظهر، وحواء إدريس، وبهيرة مختار، والمرحومة جميلة عطية، وكمال الحسنى، وكل من أسهم فى إخراج هذا الكتاب إلى الحياة بإمدادى بمعلومات أو مساعدتى فى طبعه.

وأخيرًا أرجو أن يكون هذا الكتاب لبنة صغيرة أستطيع بها سد ثغرة طالما عانت منها المكتبة النسائية فى الوطن العربى كما أرجو أن يكون عملى هذا علامة على طريق العرفان بالجميل والشكر والامتنان، لخالقى ولوطنى ومواطنى، والله سبحانه أسأل وهو ولى التوفيق أن يرضى عنا جميعًا، ويوفقنا لما فيه الخير. فإنه نعم السميع المجيب.

المعادى فى ديسمبر سنة ١٩٧٣

إجلال خليفة

الفصل الأول

نشأة الحركة النسائية فى مصر

قبل أن أتكلم عن نشأة الحركة النسائية المصرية أحب أن أشير هنا إلى معنى حركة نسائية، فمعنى حركة هو تغيير وضع شىء من حال قائم إلى وضع آخر، إذًا فحركة نسائية معناها كما هو واضح، هو إخراج التفكير فى تغيير وضع النساء فى مصر إلى حين التنفيذ.

ولقد بزغ فجر التاريخ والمرأة المصرية تقوم بدورها فى مساعدة الرجل المصرى بإرساء أول حضارة إنسانية تحتضنها الأرض.

ومن هنا فالمرأة المصرية تختلف عن غيرها من نساء العالم، فأقدم تاريخ لنساء أمة أخرى غير أمتنا لايتجاوز تاريخهن عشرة قرون، أما تاريخنا نحن نساء مصر فيرجع إلى جذور تاريخية عميقة تصل إلى أكثر من سبعة آلاف عام، وقد أدت هذه الظروف إلى خلق حركة نسائية عظيمة قائمة على أسس متينة من عادات وتقاليد وآداب ونظم علمية وعملية متطورة شكلت حياتنا قديمًا وتؤثر فى أنشطتنا حديثًا.

فقد كانت المرأة فى العالم القديم تعيش فى همجية وإباحية، وتمرس الحياة الاجتماعية والعائلية خاصة، بطريقة تقترب كثيرًا من ممارسة قطعان الحيوانات لها. فهى تلبى رغبات الرجال الجنسية فى جماعات متى أرادوا، وفى أى زمان ومكان، فإذا قضيت حاجتهم ركن الرجال للنوم، وتنتشر النساء فى الغابات باحثات عن القوت، وكان من الطبيعى ألا يعرف الرجل أولاده، بل المرأة هى وحدها التى تعرف أطفالها لتحملها مشقة الحمل والولادة والرضاعة.

أما المرأة فى مصر الفرعونية فكانت تحيا حياة عائلية واجتماعية راقية، فهى تحترم تقاليد الأسرة وتعمل على تماسكها وتختار زوجها وتربى أطفالها على حب العلم والسعى إليه واحترام الكبير والمحافظة على ملكية الغير[١] إلى جانب ذلك مارست نساء مصر القديمة الفنون المختلفة كالرسم والموسيقى والغناء والكتابة والفكر، مثل المؤلفة والفيلسوفة المصرية القديمة بامفيل وعالمتى الفلك القديرتين كانيس، وأثيرتا كريمتى الملك سيزوستريس[٢].

وآثار أجدادنا المصريين القدماء الموجودة بيننا اليوم بتل العمارنة والأقصر والفيوم تحدثنا بأن المرأة وقتذاك، كانت على قدم المساواة والمسئولية مع الرجل فى كافة أمور الحياة، وذلك يرجع إلى اتصافها بميزات استطاعت المرأة المصرية بحسن استغلالها لهذه الصفات أن تؤدى دورها كاملاً فى كافة ميادين الحياة سواء أكانت داخل المنزل كأم وزوجة، أو خارجه كعاملة وكاهنة أو حاكمة للدولة أو قائدة للجيوش، وقد أدى حسن تصرف المرأة فى مصر الفرعونية أن يسمح للفتاة متى بلغت سن الرشد بالتصرف الكامل فى شئون الأسرة الاقتصادية فلا يبرم بيع ولا شراء إلا بعد موافقتها، فإذا تزوجت تولت أمر أسرتها الجديدة اقتصاديًا إلى جانب الشئون الأخرى[٣].

ومن أخطر المناصب التى تولتها المرأة الفرعونية، المناصب الدينية والسياسية، فقد تولت منصب الكهنوت، ولايخفى ما لرجال الدين فى مصر القديمة من احترام وتأثير على الجماهير حتى أن بعض الكاهنات رفعهن الشعب المصرى القديم إلى مصاف الآلهة مثل الإلهة «نبت» والتى وجد تمثال لها مقنع فى مدينة سايس كتبت تحته هذه العبارة التأملية:

«أنا كل شىء، كان وكائن وسيكون، ولم يرفع أحد من البشر قناعى بعد».

وكان يحتفل بعيدها فى أوائل السنة المصرية القديمة احتفالا عظيمًا. ونشير هنا إلى ماكان يتمتع به الكهنة فى العصور القديمة، فقد كانت لهم الكلمة العليا فى الدولة، فيقيمون الملوك ويسقطونهم؛ ولهذا كان ملوك مصر القديمة إما أن يكونوا من سلالة الكهنة، أو من بركاتهم التى يمنحونها للشعب. ولقد تولت المرأة

المصرية العمل فى المعابد والإشراف على نظافتها والعزف على الآلات الموسيقية فى الاحتفالات الدينية، وتقديم الرقصات الدينية للآلهة، وكان أغلب خدمة المعابد من النساء. ومن ثم كان لتقديس شعب مصر الفرعونية للمرأة أثره فى الحياة المصرية بأبعادها المختلفة، فقد اعتلى عرش مصر ملكات كثيرات بطريق مباشر أو غير مباشر، ومن أشهرهن:

● **مريت نبت:**

حكمت مصر فى أواخر الأسرة الأولى بعد اضطرابات سادت البلاد فاستطاعت هذه الملكة أن تعيد النظام إلى ربوع الوطن المصرى القديم.

● **حتتكاوس:**

وآثارها فى معابد سقارة وأبيدوس تبين أهم أعمالها فى بناء حضارة مصر وأنها من الأسرة الرابعة ولقبت بأنها ملكة مصر العليا والسفلى.

● **ونبت أفرت:**

ذكر عنها العالم الأثرى مانيتون أنها حكمت مصر ١٢ سنة عم الرخاء والاستقرار فيها ربوع البلاد.

● **سبك نفرو:**

وتكلمت عنها بردية تورين بأنها من الأسرة الثانية عشرة، وقد تولت الحكم بعد الملك أمنحات الرابع، ودام حكمها لمدة ثلاث سنوات وعشرة أشهر و٢٤ يومًا.

● **حتشبسوت:**

أشهر ملكات مصر القديمة ومن أشهر نساء العالم، وذلك لطول المدة التى حكمت فيها البلاد المصرية وما قامت به من جليل الأعمال، فقد أقامت أسطولاً تجاريًا جاب شواطئ شرق إفريقيا كما أنشأت أسطولاً حربيًا حمت به استقلال مصر، وهى من الأسرة ١٨ وابنة الملك تحتمس الثالث وابنة حفيد الملكة العظيمة (امح حتب) ولقبت حتشبسوت «بابن الشمس وسيد الأرضين» إلى جانب ألقابها النسوية، وذلك لارتدائها ملابس الرجال ووضعها لحية مستعارة فى المناسبات

الرسمية، وآثارها فى وادى الملكات ومعبد الكرنك بالأقصر تسجل الكثير من أعمالها وأن حكمها استمر ٢٢ سنة متواصلة، وكيف ولدت وقدرتها الفائقة فى الحكم وعملها على نشر الحضارة المصرية خارج الحدود المصرية خاصة فى أواسط إفريقيا وجنوب غرب آسيا.

كما يحتفظ تاريخ كفاح مصر ضد المعتدين بصفحة ناصعة البياض للملكة غير المتوجه (امح حتب) زوجة الملك (سقنن رع) وتسجل أعمالها البطولية لوحة حجرية عثر عليها أمام الصرح الثامن بالكرنك، وتبين رعاية هذه الملكة للجيش وذهابها إلى الجنوب جنوب مصر لتهدئة الثائرين هناك، وتنقلاتها فى ربوع البلاد داعية ومستنهضة همم شعب مصر القديمة ضد المعتدين (الهكسوس) وعملت بذلك على تجميع الرأى المصرى القديم وخلق التماسك بينه وتقوية الروح الوطنية عنده وإشعال نارها فى نفوس أفراده.

وقد حملت عبء حكم البلاد بعد مقتل زوجها الملك (سقنن رع) فى ميدان الحرب وبث روح الشجاعة فى ابنها (كامى) وهيأت ابنها الثانى (أحمس) لطرد الهكسوس وقد نجح فى ذلك بمساعدتها وأدى عملها هذا بالمصريين لأن يعبدوها بعد وفاتها.

وورثت عنها ابنتها (أحمس نفرتيتى) الشجاعة والعلم إذ ساعدت زوجها أحمس فى حكم مصر الذى استمر ٢٢ عامًا ووقفت بعد وفاته إلى جانب ابنها أمنحتب الأول وساعدته على سيادة الرخاء والاستقرار الاقتصادى والسياسى بالبلاد مما أدى بالشعب إلى أن يعبدها إلى جانب الإله (آمون) واستمرت عبادة المصريين لها مدة ٦٠٠ سنة أى إلى نهاية الأسرة الحادية عشرة، ويسجل هذا أحد نقوش معبد الكرنك فهو يمثل الملك حريحور أول ملوك هذه الأسرة يتعبد الإله أحمس نفرتيتى إلى جانب غيرها من آلهة، كما تسجل عبادة هذه الملكة أيضًا آثار طيبة وإدفو وأبيدوس.

وقد استطاعت إحدى بنات الشعب المصرى القديم أن ترتقى إلى منصب الملكة العظيمة، وهى الملكة (تى) زوجة الملك (أمنحتب الثالث) وكان لشخصيتها الفذة

أن جعلت الملك يأمر بصنع تماثيل لها بنفس الحجم الذى يصنع به تماثيل الملك نفسه، ويلاحظ ذلك فى تماثيلها الموجودة بالمتحف المصرى، وقد حاولت بعد وفاة زوجها وتولى ابنها (إخناتون) العرش أن توفق بينه وبين رجال الدين من كهنة معبد آمون، بيد أن إصرار (إخناتون) على عبادة الإله الواحد أدى إلى فشل عودة الصلات الودية بينه وبين رجال معبد آمون، ووقف الملك وأتباعه وزوجته فاتنة الدهر (نفرتيتى) فى جانب وكهنة (آمون) فى جانب آخر.

والتاريخ يسجل لنفرتيتى كفاحها إلى جانب زوجها لنشر الدين الجديد وعملها فى المعبد ككاهنة إذ كانت تعزف للإله (آتون) وتترنم بالأناشيد الدينية التى نظمها زوجها للإله الواحد.

ومهما يكن من شىء فقد كان لنشاط المرأة المصرية فى العصور الفرعونية فى كافة الميادين أثره على الشعب المصرى، فلم يكن بالطبع من الممكن وبين الآلهة وقادة الحكم فى البلاد نساء أن تمتهن المرأة أو توضع فى مكانة دون مكانة الرجل، ويؤكد التاريخ أن حضارة مصر تمتاز عن الحضارات القديمة الأخرى بالرقى؛ لأنها رفعت من شأن المرأة وأحلتها أعظم مكان من الاحترام. وكانت الأمومة عند المصريين أعظم شأنًا من الأبوة، وكان النسب يعزى إلى الأم حتى أنه عندما يعتلى العرش ملك جديد كان لابد له أن يتزوج أميرة من أميرات الأسرة الملكية السابقة.

وعاشت المرأة المصرية فى مصر الفرعونية حياة اجتماعية راقية فقد كان لها حق اختيار الزوج، وحق الطلاق متى تزوج عليها زوجها مرة ثانية، أو إعطاء ثروته كلها لأولادها منه إذا أصر على الزواج وعدم تطليقها، ومن هنا قلت حالات تعدد الزوجات، وقضت المرأة المصرية على الأسباب المهمة فى هدم كيان الأسرة، ويقول «ديودور الصقلى» عن تمتع المرأة المصرية بالحرية الإنسانية بعد زيارته لمصر «بأن العادة فى مصر جرت على أن للمرأة بين سواد الناس القوامة على زوجها، ويتعهد الزوج عند إبرام عقد الزواج بأن يكون الزوج مطيعًا لعروسه فى جميع الأمور»(٤).

وهكذا لاندهش إذا كانت مصر الفرعونية استطاعت أن تتقدم فى جميع الميادين الحضارية والثقافية، ويرجع ذلك فى نظرى إلى مشاركة المرأة المصرية الفعالة والجادة فى الأنشطة العامة والخاصة فى الأمة مما أدى إلى الاستقرار والتفكير فى العمل الخلاق لتحسن سبل الحياة وتقدمها، وأصبحت بذلك مصر الفرعونية موطنًا لكل مقومات الحضارة الإنسانية التى عرفها العالم بعد ذلك.

وظلت المرأة المصرية تقوم بواجبها كاملاً فى بناء وتقدم أعظم حضارة رأتها دنيا البشر، إلى أن جاء الاحتلال البطلمى إلى مصر سنة ٣٣٢ق. م، وبدأ يعمل على إرساء قواعده ليستمر الاحتلال البطلمى لمصر إلى ماشاء الله، ولكن مقاومة المصريين للاحتلال كانت قوية هددت وجوده، وكان فى مقدمة المقاومين للاحتلال نساء مصر حيث ساعدهن على المساهمة الفعالة فى صفوف المقاومة قوة الشخصية التى تولدت عن استقلالهن الاقتصادى، هذا الاستقلال الذى أشاد به هيرودوت فى ذكر مشاهداته عن مصر حيث يقول: «عجبًا لهذه البلاد إن النساء فيها يذهبن إلى الأسواق ويعملن بالتجارة ويعقدن العقود»[٥] وظلت الحالة كذلك وأصبح وجود الاحتلال البطلمى لمصر مهددًا بالفناء حتى كانت سنة ٢٢٢ق. م وعندما تولى حكم مصر الحاكم البطلمى (فيلوباتور) الذى تفتق ذهنه عن إصدار قانون عرف باسمه ويقضى هذا القانون نهائيًا على مقاومة المصريين للمستعمرين إذ ينص على حرمان المرأة المصرية من حق التصرف فى اقتصادياتها ومالية الأسرة، كما حرم على الرجال طاعة النساء سواء أكانت زوجته أو ابنته أو أمه، كما يقضى هذا القانون بانتساب الأولاد إلى آبائهم بدلا من أمهاتهم كما كان متبعًا، وأخيرًا منع هذا القانون النساء من التصرف فى شئونهن الخاصة، وأعطى الرجال حق التصرف فى كل ما يتصل بالشئون النسائية فى البلاد.

وهكذا نجح هذا الحاكم البطلمى الداهية فى معرفة السبب الأساسى لوجود المقاومة ضد حكمهم ألا وهو المشاركة الجدية الفعالة للمرأة المصرية فى تصريف أمور الحياة، فإذا قضى على هذه المشاركة، واقتصرت وظيفة المرأة على عملها كأنثى، فإن الحياة بمصر يصيبها التأخر والانحطاط ويصبح احتلالها سهلا

وميسورًا للدول الأجنبية التى عملت على استنزاف خيرات البلاد من أجل رخاء دول الاحتلال كما عملت على إشاعة المذلة والهوان فى البلاد المصرية، ومن ثم تدهورت الحياة المصرية وقضى على ازدهارها ومكانتها الحضارية وسمعتها الواسعة فى العالم حينذاك والتى كانت لها إبان العصور الفرعونية القديمة، وأصبحت مصر بعد ذلك تابعة لدول أخرى دونها حضارة وتقدم.

المرأة فى مصر المسيحية والإسلامية:

لقد تكلمت بإسهاب عن مكانة المرأة فى مصر الفرعونية وذلك لأن هذه المكانة تشكل القاعدة التاريخية لوضع المرأة على أرض مصر ومساهمتها فى كافة مجالات الحياة بأبعادها المختلفة وأرجو أن أكون قد أصبت بعض التوفيق فى هذا.

ولاشك فى أن دعوة عيسى عليه السلام الجديدة وجدت من نساء مصر كل تأييد وإيمان تام بتعاليمه السمحة ودور المرأة المصرية فى نشر دينه والدعوة له ومساعدة المؤمنين به من رهبان وقسس وأعوان ضد الاضطهاد الرومانى الرهيب يحتاج إلى بحث منفصل تقوم به زميلة تجد فى نفسها القدرة على أن تتناول دور المرأة المصرية فى مصر خلال تلك الفترة. بيد أننى لكى أتكلم عن المرأة فى مصر التركية ومصر الحديثة بعد ذلك لابد وأن أذكر أهم الأسس فى نظرى التى منحها الدين الإسلامى للمرأة وغيَّر من وضعها حينذاك.

لقد رأينا مما مر بنا كيف كانت المرأة فى مصر الفرعونية تتمتع بكل حقوق الإنسان الحر، ولم تكن المرأة فى العالم القديم خارج حدود الحضارة المصرية القديمة تعرف شيئًا عن تلك الحقوق، بدليل دهشة المؤرخ الإغريقى القديم (هيرودوت) والرحالة الصقلى (ديودرو) من وضع المرأة فى المجتمع المصرى، إلا أن المرأة المصرية تحت حكم الاحتلال الأجنبى للبلاد عانت الكثير من الضغط وطرق إذلالها حتى يتمكنوا - وأعنى سلطات الاحتلال - من السيطرة على البلاد المصرية أطول مدة ممكنة دون مقاومة تقض مضاجعهم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لم يكن من المنطق أن يتركوا نساء مصر فى وضع مخالف لوضع

المرأة عندهم فى بلاد الرومان، فقد كانوا يعتقدون أن المرأة لم تكن مخلوقًا يتساوى مع الرجل بل إن النفس التى تكمن داخلها تشبه أنفس المخلوقات الأخرى فى الدنيا مثل الحيوانات وما شابهها، وأنها خلقت للترفيه عن الرجل والتسرية عنه، ومن ثم لا يحق لها أن تتدخل فى الشئون العامة ولا الخاصة حتى إن شئونها هى نفسها أصبحت من اختصاص الرجل يفعل بها ما يشاء، أى أنها ملك للرجل يتمتع بها كما يشاء ويتنازل عنها لمن يشاء متى يشاء.

وكان وضع المرأة هذا هو السائد فى العالم عند ظهور الإسلام بما فيه الجزيرة العربية، وإن اختلف الحال بعض الشىء فى مصر الرومانية؛ لأن من الطبيعى أن الرواسب التاريخية لتقدم المرأة وتحررها واستقلالها الذاتى كان له أثر فى تصرفتها وعقلها الباطن. ومن هنا كان تشكيل شخصيتها يختلف عن غيرها من نساء العالم آنذاك.

ومن أهم الأسس التى جاء بها الإسلام إعطاء المرأة استقلالها الاقتصادى مرة أخرى أسوة بما كان متبعًا بمصر الفرعونية، فالله سبحانه يقول فى القرآن الكريم ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** ﴾(٦). وفى هذا المعنى أيضًا يذكر فى قرآنه الشريف ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾(٧).

كما ساوى الله عز وجل بين الرجال والنساء فى القدرات العقلية والمميزات الإنسانية إذ يقول عز وجل: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾(٨).

وأوحى الله سبحانه وتعالى للمرأة كما أوحى للرجل: ﴿ **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى** ﴾(٩).

وذكر مرة أخرى فى مكان آخر عن إرسال الوحى إلى أم موسى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾(١٠).

ولا أعظم من رحمة الله (سبحانه وتعالى) بأم واجلة على ابنها وعنايته للمرأة فى شخص أم موسى كعنايته بالمتقين من الرجال فهو معها سبحانه فى أزمتها ومأساتها كما كان مع يونس فى أزمته وهو فى قلب الحوت، ولم ينتقص من الأعمال المجيدة للمرأة وسجلها لها فى كتابه المجيد كما سجل للرجل أعماله، إذ يضرب للبشرية أعظم صور للحكم الديمقراطى الذى شاهدته الكرة الأرضية منذ بدايتها حتى يومنا الحالى بما فعلته ملكة سبأ مع شعبها عندما هدد مملكتها «سليمان الملك» إذ يسجل القرآن الكريم هذا العمل السياسى النادر فيصور بصدق مافعلته الملكة وهى الحاكمة الأولى فى البلاد وصاحبة الكلمة العليا بها إذ تجمع شعبها بكافة طبقاته وتخاطبه فى أمر سليمان وما يريده من بلادها قائلة:

﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٢٩] وتستمر فى مخاطبتهم ملخصة ما يحتويه كتاب سليمان ﴿ **وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [النمل: ٣٠] ﴿ **أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٣١] ثم تلقى إلى الشعب بقنبلتها السياسية بوضعه فى مكانها من المسئولية القومية فتقول ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ** ﴾ [النمل:٣٢] ومن يتمعن فى قول هذه السيدة يرى عظمة شخصيتها كحاكمة وإلى أى مدى تمتعت بقدرات غير عادية فى حسن التفكير وتفهم عواقب الأمور وبعد النظر، ويؤكد ذلك هذه الآيات من القرآن التى تصف رد شعبها عليها ﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾ [النمل:٣٣]، ومعنى هذا أن الشعب أعطاها حق التصرف وحرية إصدار الأوامر لمن تشاء ولن تجد معارضة، بل طاعة تامة فى كل المجالات من كل الناس، ومع ذلك لم تغتر ولم تركب رأسها وتلجأ إلى الحرب وما إليها من أساليب العنف، بل لجأت إلى منطق إنسانى فريد يتصدر الفكر السياسى الواعى على مدى التاريخ، فقد عرفت أن الحكام المعتدين على بلاد غيرهم يعملون على تدميرها إذا استطاعوا دخولها.

إذًا لابد من اتخاذ حل عملى سليم هو وضع امتحان قاسٍ يفشل فى اجتيازه المغامرون من عشاق المال والدمار، والآيات التالية تصف لنا هذا الحدث بصدق

فهى تقول: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(١١).

ولقد نظر الله إلى عمل المرأة بنفس التقدير الذى ينظر به إلى عمل الرجل: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾(١٢). وفى هذا المعنى أيضًا نقرأ فى سورة النحل قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٣).

ولا أريد أن أدلل على ما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق ومساواة تامة بينها وبين الرجل كعاملين مهمين من عوامل عمارة الكون؛ لأن الإسلام كما قلت منذ قليل يحتاج إلى كتب تعرض محللة نظرته للمرأة. وماحصلت عليه المرأة بعد ظهوره من حقوق وامتيازات، وما كانت ترنو إلى امتلاكها.

وأعتقد أن ماذكرت كافٍ ليضيء لنا الطريق لحياة المرأة بعد أن عم نور الإسلام بلاد الوطن العربى ومنها مصر، إذ نبغت بعض نساء الإسلام فى العلوم والفنون المختلفة مثل «سكينة بنت الحسين» التى تعد من أقدر نقاد الشعر فى زمانها و«نفيسة بنت الحسين بن زيد» وقد بلغت فى علوم الحديث والاجتهاد والفقه الإسلامى عامة، وقولها عن الإمام الشافعى ترثيه عند وفاته: «رحم الله الشافعى لقد كان يحسن الوضوء» يبين لنا مدى ماتمتعت به من قدرة فى علوم الدين إذا لم يلفت نظرها فى الإمام العالم على ما امتاز به من علم وشخصية فذة إلا حسن ممارسته لفرائض الوضوء، وعاشت السيدتان سكينة ونفيسة ونبغتا على أرض مصر.

ولقد شاهد المجتمع الإسلامى محاضرات نابغات فى الجامعات الإسلامية مثل «حفصة بنت الحاج» التى حاضرت بجامعة الأندلس، كذلك (سعدة البغدادية) التى ألقت محاضراتها على طلبة جامعة العراق، ونبغ فى ميدان الطب من نساء الإسلام (زينب) طبيبة «بنى أود» التى اشتهرت بين أطباء عصرها فى طب العيون وعلم الجراحة، كذلك «أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الكنجالى».

وخاضت المرأة بعد إسلامها حروبًا كثيرة أذكر بعضها على سبيل المثال لأعطى للقارىء صورة واضحة عن مشاركة المرأة للرجل فى الدفاع عن دينه وبقائه، وذلك إبان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

ففى يوم الخندق جمع المسلمون من لايقدر من النساء على المشاركة فى الغزوة ووضعوهن فى حصن (بنى حارثة) وأرسل اليهود - وكانوا أعداء المسلمين فى تلك الغزوة - أحدًا منهم ليستطلع خبر الحصن حتى يستطيعوا أى اليهود أن يستولوا عليه وما فيه من نساء الإسلام بأقل مايمكن من الخسائر، ورأت السيدة (صفية بنت عبد المطلب) عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ذاك اليهودى وطلبت من (حسان بن ثابت) وكان فى حراستهن، قتل اليهودى، إلا أن حسانًا لم يُقدم على ذلك، فما كان من السيدة صفية إلا أن أطلت على اليهودى من مكان غير منظور وجزت رأسه وألقت بها لليهود الذين كانوا ينتظرون الأخبار خارج الحصن. فانصرفوا خائفين لاعتقادهم أن بالحصن مدافعين أشداء سوف يقضون عليهم.

والسيدة (خولة بنت الأزور الكندى) التى اشتركت فى موقعة أجنادين، وأبلت بلاء حسنًا أدهش الأعداء قبل غيرهم بعد أن علمت بأسر أخيها «ضرار بن الأزور» عند الروم ولم تترك القتال حتى فكت أسر أخيها، وشجاعتها الحربية تلك ضد الروم عاشت مضرب الأمثال(١٤).

وأختتم أمثلتى لنشاط النساء فى المجال الحربى بما قالته الخنساء لأولادها الأربعة تحثهم على الذهاب إلى حرب أعداء الإسلام يوم موقعة القادسية إذ تقول لهم: «يابنى، إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ماخانت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، لذلك يقول الله عز وجل فى آل عمران: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وذهب أولادها جميعًا للحرب، واستشهدوا، وعندما علمت بذلك تمنت لو كانت فى سن يسمح لها بأخذ ثأرهم، فقد كانت فى سن الهرم، وقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة»(١٥).

بيد أن دخول شعوب غير عربية فى الإسلام بتقاليدها ونظرتها غير العادلة للمرأة أدى إلى تخلف المرأة، لظهور آراء تنادى بتحريم خروج المرأة ومشاركتها الجدية فى أمور الحياة العامة، وظهر هذا واضحًا إبان حكم الترك لمصر، إذ منعت المرأة من تلقى العلم وممارسة شئونها الشخصية إلا عن طريق رجل من أسرتها قد يكون دونها فى الإدراك العقلى، بل إن بعض الرجال حرموا على النساء قراءة القرآن الكريم أو الاستماع إليه باستثناء سورة النور[١٦] لما فيها من عقاب وتعذيب للكافرين.

ونسى المسلمون تعاليم الإسلام الصحيحة ووضعوا له تعاليم أخرى تتفق مع مصلحتهم الشخصية ونادوا بتعدد الزوجات، وقبوع المرأة بالمنزل وتخليها عن ممارسة حقوقها كإنسانة حتى ولو كانت تمس أخص شئونها الذاتية. والغريب أنهم نسبوا كل هذه الخرافات والأعمال غير الإنسانية إلى الإسلام. وساعد حكام البلاد المصرية فى العصر التركى ما عانته البلاد من فساد حكم وتفشى الأمية بين كافة طبقات الشعب وتدهور الحياة الفكرية تبعًا لذلك، وقبعت المرأة بالمنزل تمارس أعمالها به كأنثى ليس لها إلا أن تسرِّى عن الرجل وتعمل على إسعاده من وجهة نظره وتسعى من أجل ذلك إلى تنمية قدراتها الجسدية؛ لكى تستطيع أن تكسب معركتها مع رجل سهل له سوء فهمه للقوانين والقيم تعدد الزوجات بغير حق واقتناء أكبر عدد ممكن من الجوارى والسرارى.

ويصف كلوت بك هذا الوضع وقد لفت نظره فيقول:

«أى احترام من ولد لوالدته إذا وقع نظره عليها وأحط الخصيان يتولى تأديبها أو معاقبتها بالضرب بأمر من والده» [١٧].

والواقع أن مصر عرفت نظام الحريم كنظام اجتماعى على عهد الحكم التركى بالبلاد وإن ساد هذا النظام طبقة الأغنياء والطبقة المتوسطة، ولم تعرفه الطبقة الدنيا عندنا، فالمرأة الريفية كانت تقوم بمساعدة الرجل فى أعمال الحقل وشئون البيع والتجارة شأنها فى ذلك شأن جدتها المصرية القديمة وإن انتقلت إلى الرجل الريفى عدوى تعدد الزوجات على أنه كان يحتفظ بالزوجة الأولى إلى

جانب الزوجة الجديدة ويشب أولادهما معًا وغالبًا فى منزل واحد دون تفرقة تذكر فى المعاملة.

وهكذا نرى أن المجتمع المصرى عانى من التأخر فى كافة المجالات إبان الحكم العثمانى لانعزال المرأة المصرية عنها لأسباب خارجة عن إرادتها، وساعد على ذلك حرمانها من التعليم، فبالرغم من وجود جامعة الأزهر بمصر ويأتى إليها عديد من طلبة البلاد الأخرى حرمت من تلقى العلم بها ابنة مصر وعاشت حبيسة الجهل والخرافات والقدرة على التفكير الخلاق والتفرقة فى المعاملة الإنسانية بين المرأة والرجل وعدم السماح لها بالخروج من المنزل إلا فى حراسة مشددة من بعض رجال الأسرة أو الخدم وإن كانت أختها ساكنة الريف امتازت عنها ببعض الحرية مثل حرية التنقل خارج المنزل والعمل بالحقل إلا أنها عانت أيضًا من ثلوج كثيفة بصنوف من جهل وتقاليد بالية وتقاليع ينكرها العقل السليم خاصة فيما يتصل بتربية الأطفال، ومن ثم كان تأثيرها على الحياة المصرية وتطورها ضئيلاً باستثناء ما تقدمه للبلاد من أبناء.

وظل الحال كذلك حتى كذلك حتى بزغ نور نهضتنا الحديثة، وفى الفصل التالى نرى كيف نشأت هذه النهضة وماذا فعلت من أجل المرأة المصرية.

هوامش الفصل الأول

(١) راجع فى ذلك المؤرخ الفرنسى ج. ريتشارد J. Ritchard فى كتابه المرأة فى التاريخ.
(٢) راجع العالم هـ. ريبير H. Rebiere فى كتابه النساء والعلم.
(٣) راجع ترجمة وهيب كامل لكتاب هيرودوت فى مصر ـ القاهرة ١٩٤٦.
(٤) انظر ترجمة وهيب كامل لكتاب ديودور الصقلى فى مصر. القاهرة سنة ١٩٤٧.
(٥) انظر ترجمة وهيب كامل لكتاب هيرودوت فى مصر ـ مرجع سابق.
(٦) النساء ـ ٤ ى ٧.
(٧) النساء ـ ٤ ى ٣٢.
(٨) آل عمران ـ ٣ ى ٤٢.
(٩) طه ـ ٢٠ ى ٣٨.
(١٠) القصص ـ ٢٨ ى ٧.
(١١) النمل الآيات ١٩ ى ٣٤-٣٥.
(١٢) آل عمران ٣ ى ١٩٥.
(١٣) النحل ١٦ ى ٩٧.
(١٤) راجع فى ذلك: الواقدى، فتوح الشام ص ٢٨ وما بعدها.
(١٥) محمد عبد اللّه عفيفى ـ المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها، الجزءان الأول والثانى.
(١٦) راجع هـ. و. Hey Worth Dunne فى كتاب مقدمة فى تاريخ التعليم فى مصر الحديثة ص ١٤ وما بعدها.
(١٧) ب. كلوت بك ـ لمحة عامة إلى مصر ـ ترجمة محمد مسعود ـ القاهرة ١٩٢١.

الفصل الثانى

العوامل التى أدت لنهوض الحركة النسائية

يبدأ عصر النهضة الحديثة لمصر بمقدم الحملة الفرنسية للبلاد المصرية سنة١٧٩٨، وقد اتفق المؤرخون على ذلك، لأنها كانت نافذة رأى منها المصريون العالم الخارجى بكل ما يتمتع به من علوم وعادات وتقاليد مختلفة، لم يكن يعرفون عنها شيئًا خلال حكم الترك للبلاد المصرية.

فقد جاء رجال الحملة الفرنسية إلى مصر وبعض نساء فرنسا معهم كزوجات ومغامرات، وكان من الطبيعى أن تتجول أولاء النسوة فى الشوارع والطرقات المصرية أسوة بالرجال ويركبن الحمير وهى وسيلة الانتقال حينذاك، سافرات الوجه ساخرات فيما يمارسن من أعمال، ولفتت هذه الأمور نظر المرأة المصرية خاصة وأنه قد اختلط جنود نابليون بالشعب عن طريق الزواج والمعاشرة.

وقبل أن أتكلم عن مظاهر التغيير التى اعترت مجتمع المرأة عندنا، أحب أن أذكر هنا فئات السكان التى كان يتكون منها المجتمع المصرى تبعًا لمكانتها فى البلاد فى أوائل القرن ١٩ م:

أتراك وجراكسة	١٩,٠٠٠ نسمة
مصريون مسلمون	١,٨٠٠,٠٠٠ نسمة
مصريون أقباط	١٤٥,٠٠٠ نسمة
سودانيون	٧,٠٠٠ نسمة
بدو رحل	٢٠٦,٠٠٠ نسمة

سوريون	٨,٠٠٠ نسمة
أرمن	١,٥٠٠ نسمة
يهود	٣,٥٠٠ نسمة
إفريقيون	١٨,٠٠٠ نسمة
أوروبيون [١]	٥,٠٠٠ نسمة

وتبعًا لنسب السكان هذه كانت المرأة التركية تكون الطبقة الراقية فى البلاد، وكان ولى أمرها يستقدم لها المعلمين من الخارج حيث تتلقى على أيديهم علوم اللغة التركية والفرنسية والموسيقى بالمنزل، وبذلك انعزلت عن واقع المرأة المصرية التى كانت تتلقى ابنة رجال الدين منها بعض مبادئ القراءة دون الكتابة لتستطيع قراءة القرآن وليست فى حاجة لأن تكتب كما اعتقد ولى أمرها حتى لا تراسل رجلاً مال قلبها إليه، ومن ثم كتب عليها أن تعيش حبيسة التفكير فى عالم حريمى مقفل خالٍ من الأمور العامة خارج نطاق عملها المنزلى ودنياها الإنسانية التى كان يحتلها كلها الرجل سواء أكان أبًا أم زوجًا أم أخًا بل وحتى ابنًا، وكان عليها أن تطيع الرجل فى كل ما يأمرها به دون مناقشة ودون تذمر أو ثورة إذ ألفت هذه الحياة كما ألفت أن تعيش منذ نعومة أظفارها فى مساكن بعيدة عن الرجال حتى من ذويها، ومساكنها هذه ليس لها نوافذ تطل على الشوارع بل على داخل المنزل، ولا تزور ولا تزار إلا بأمر سيدها الرجل.

وتتلقى المرأة المصرية خبراتها الإنسانية عن أمها ومن الماشطة فيما يتصل بالخبرة الجسدية والجمالية والعالمة فيما يختص بالخبرات الأنثوية؛ لكى تتمكن من النجاح فى بيت الزوجية المرتقب، وما أصعب النجاح فيه لسيطرة الرجل عليه سيطرة قاسية مجحفة بالقيم الإنسانية، وغالبًا ما يكون هذا الرجل جاهلاً، ولكى نتصور فداحة الكارثة الاجتماعية التى أظلت نساء قبل العشرينيات من قرننا الحالى نقول: إنها لم تكن تعرف العالم الخارجى إلا من الفتحات الضيقة التى كان يسمح لها بالنظر منها سواء من المشربية أو من الحجاب السميك الذى أسدل على وجهها وعلى عقلها معًا.

وفى هذا الجو النسائى الغريب الذى يصوره كلوت بك فى هذه الكلمات:

«لا تتلقى النساء شيئًا من التربية العقلية لاعتقاد الرجال أن المرأة من جهة العقل والفهم أحط درجة من الرجال» ويضيف إلى ذلك بأنه «بالرغم من جهلهن القراءة والكتابة إلا أنهن يعالجن بعض الأعمال كالتطريز والنسيج والوشى ويزاولن الخدمة البيتية بحذافيرها». [٢]

وأرجو أن أكون قد نجحت فى إظهار صورة مجتمعنا وتوضيحها فى السطور السابقة وكيف كانت.

ودخلت عوامل كثيرة غيّرت من كيان المجتمع النسائى المصرى شيئًا فشيئًا حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، ومن هذه العوامل «الحملة الفرنسية» التى كان لمعاملة رجالها لنسائهم أثر فى توجيه نظر نساء مصر للفارق الكبير بين وضعهن ووضع المرأة الفرنسية، خاصة بعد زواج كبار قواد الحملة من بعض المصريات، أمثال (مينو) الذى تزوج من زبيدة الرشيدية وأسلم من أجلها وتسمى باسم (عبد اللّه مينو) ولقد كان لاتصال أولاء الزوجات بغيرهن من المصريات وإخبارهن بما يعاملهن أزواجهن الفرنسيين به من معاملة مختلفة كل الاختلاف عما ألفته من المصريين، أثر واضح فى تغيير وضع المرأة عندنا.

وزادت حرارة الثورة ضد معاملة الأزواج المصريين لزوجاتهم عندما اجتمعت بعض النسوة فى سنة ١٧٩٩ فى أحد حمامات رشيد العامة وتدارسن أحوالهن وما يجب عليهن عمله لإصلاحها وتفتق ذهنهن عن إرسال مذكرة إلى (السلطان الأعظم بونابرته) ويذكر كلوت بك قصة هذه المذكرة كما حكاها له نابليون نفسه فى فرنسا فيقول على لسانه: « تزوج الجنرال مينو بامرأة من رشيد وعاملها معاملة السيدات الفرنسيات إذ كان يمد إليها يده كلما هم بالدخول معها إلى غرفة الطعام ويتحرى لها أوثق المجالس، ويقدم إليها خير الأطعمة وأشهاها، وكان إذا سقط منديل الطعام الموضوع على فخديها بادر بأخذه وإعادته إلى مكانه، فلما روت تلك المرأة هذه الأمور على صاحباتها فى أحد حمامات رشيد لاحت لهذه النسوة بارقة الأمل فى تغيير أحوالهن وعاداتهن وحررن عرضًا قدمنه

المرأة عندهم فى بلاد الرومان، فقد كانوا يعتقدون أن المرأة لم تكن مخلوقًا يتساوى مع الرجل بل إن النفس التى تكمن داخلها تشبه أنفس المخلوقات الأخرى فى الدنيا مثل الحيوانات وما شابهها، وأنها خلقت للترفيه عن الرجل والتسرية عنه، ومن ثم لا يحق لها أن تتدخل فى الشئون العامة ولا الخاصة حتى إن شئونها هى نفسها أصبحت من اختصاص الرجل يفعل بها ما يشاء، أى أنها ملك للرجل يتمتع بها كما يشاء ويتنازل عنها لمن يشاء متى يشاء.

وكان وضع المرأة هذا هو السائد فى العالم عند ظهور الإسلام بما فيه الجزيرة العربية، وإن اختلف الحال بعض الشىء فى مصر الرومانية؛ لأن من الطبيعى أن الرواسب التاريخية لتقدم المرأة وتحررها واستقلالها الذاتى كان له أثر فى تصرفتها وعقلها الباطن. ومن هنا كان تشكيل شخصيتها يختلف عن غيرها من نساء العالم آنذاك.

ومن أهم الأسس التى جاء بها الإسلام إعطاء المرأة استقلالها الاقتصادى مرة أخرى أسوة بما كان متبعًا بمصر الفرعونية، فالله سبحانه يقول فى القرآن الكريم ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** ﴾(٦). وفى هذا المعنى أيضًا يذكر فى قرآنه الشريف ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾(٧).

كما ساوى الله عز وجل بين الرجال والنساء فى القدرات العقلية والمميزات الإنسانية إذ يقول عز وجل: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾(٨).

وأوحى الله سبحانه وتعالى للمرأة كما أوحى للرجل: ﴿ **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى** ﴾(٩).

وذكر مرة أخرى فى مكان آخر عن إرسال الوحى إلى أم موسى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾(١٠).

ولا أعظم من رحمة الله (سبحانه وتعالى) بأم واجلة على ابنها وعنايته للمرأة فى شخص أم موسى كعنايته بالمتقين من الرجال فهو معها سبحانه فى أزمتها ومأساتها كما كان مع يونس فى أزمته وهو فى قلب الحوت، ولم ينتقص من الأعمال المجيدة للمرأة وسجلها لها فى كتابه المجيد كما سجل للرجل أعماله، إذ يضرب للبشرية أعظم صور للحكم الديمقراطى الذى شاهدته الكرة الأرضية منذ بدايتها حتى يومنا الحالى بما فعلته ملكة سبأ مع شعبها عندما هدد مملكتها «سليمان الملك» إذ يسجل القرآن الكريم هذا العمل السياسى النادر فيصور بصدق مافعلته الملكة وهى الحاكمة الأولى فى البلاد وصاحبة الكلمة العليا بها إذ تجمع شعبها بكافة طبقاته وتخاطبه فى أمر سليمان وما يريده من بلادها قائلة:

﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٢٩] وتستمر فى مخاطبتهم ملخصة ما يحتويه كتاب سليمان ﴿ **وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [النمل: ٣٠] ﴿ **أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٣١] ثم تلقى إلى الشعب بقنبلتها السياسية بوضعه فى مكانها من المسئولية القومية فتقول ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ** ﴾ [النمل:٣٢] ومن يتمعن فى قول هذه السيدة يرى عظمة شخصيتها كحاكمة وإلى أى مدى تمتعت بقدرات غير عادية فى حسن التفكير وتفهم عواقب الأمور وبعد النظر، ويؤكد ذلك هذه الآيات من القرآن التى تصف رد شعبها عليها ﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾ [النمل:٣٣]، ومعنى هذا أن الشعب أعطاها حق التصرف وحرية إصدار الأوامر لمن تشاء ولن تجد معارضة، بل طاعة تامة فى كل المجالات من كل الناس، ومع ذلك لم تغتر ولم تركب رأسها وتلجأ إلى الحرب وما إليها من أساليب العنف، بل لجأت إلى منطق إنسانى فريد يتصدر الفكر السياسى الواعى على مدى التاريخ، فقد عرفت أن الحكام المعتدين على بلاد غيرهم يعملون على تدميرها إذا استطاعوا دخولها.

إذًا لابد من اتخاذ حل عملى سليم هو وضع امتحان قاسٍ يفشل فى اجتيازه المغامرون من عشاق المال والدمار، والآيات التالية تصف لنا هذا الحدث بصدق

فهى تقول: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(١١).

ولقد نظر الله إلى عمل المرأة بنفس التقدير الذى ينظر به إلى عمل الرجل: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾(١٢). وفى هذا المعنى أيضًا نقرأ فى سورة النحل قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٣).

ولا أريد أن أدلل على ما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق ومساواة تامة بينها وبين الرجل كعاملين مهمين من عوامل عمارة الكون؛ لأن الإسلام كما قلت منذ قليل يحتاج إلى كتب تعرض محللة نظرته للمرأة. وماحصلت عليه المرأة بعد ظهوره من حقوق وامتيازات، وما كانت ترنو إلى امتلاكها.

وأعتقد أن ماذكرت كاف ليضىء لنا الطريق لحياة المرأة بعد أن عم نور الإسلام بلاد الوطن العربى ومنها مصر، إذ نبغت بعض نساء الإسلام فى العلوم والفنون المختلفة مثل «سكينة بنت الحسين» التى تعد من أقدر نقاد الشعر فى زمانها و«نفيسة بنت الحسين بن زيد» وقد بلغت فى علوم الحديث والاجتهاد والفقه الإسلامى عامة، وقولها عن الإمام الشافعى ترثيه عند وفاته: «رحم الله الشافعى لقد كان يحسن الوضوء» يبين لنا مدى ماتمتعت به من قدرة فى علوم الدين إذا لم يلفت نظرها فى الإمام العالم على ما امتاز به من علم وشخصية فذة إلا حسن ممارسته لفرائض الوضوء، وعاشت السيدتان سكينة ونفيسة ونبغتا على أرض مصر.

ولقد شاهد المجتمع الإسلامى محاضرات نابغات فى الجامعات الإسلامية مثل «حفصة بنت الحاج» التى حاضرت بجامعة الأندلس، كذلك (سعدة البغدادية) التى ألقت محاضراتها على طلبة جامعة العراق، ونبغ فى ميدان الطب من نساء الإسلام (زينب) طبيبة «بنى أود» التى اشتهرت بين أطباء عصرها فى طب العيون وعلم الجراحة، كذلك «أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الكنجالى».

وخاضت المرأة بعد إسلامها حروبًا كثيرة أذكر بعضها على سبيل المثال لأعطى للقارىء صورة واضحة عن مشاركة المرأة للرجل فى الدفاع عن دينه وبقائه، وذلك إبان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

ففى يوم الخندق جمع المسلمون من لايقدر من النساء على المشاركة فى الغزوة ووضعوهن فى حصن (بنى حارثة) وأرسل اليهود - وكانوا أعداء المسلمين فى تلك الغزوة - أحدًا منهم ليستطلع خبر الحصن حتى يستطيعوا أى اليهود أن يستولوا عليه وما فيه من نساء الإسلام بأقل مايمكن من الخسائر، ورأت السيدة (صفية بنت عبد المطلب) عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ذاك اليهودى وطلبت من (حسان بن ثابت) وكان فى حراستهن، قتل اليهودى، إلا أن حسانًا لم يُقدم على ذلك، فما كان من السيدة صفية إلا أن أطلت على اليهودى من مكان غير منظور وجزت رأسه وألقت بها لليهود الذين كانوا ينتظرون الأخبار خارج الحصن. فانصرفوا خائفين لاعتقادهم أن بالحصن مدافعين أشداء سوف يقضون عليهم.

والسيدة (خولة بنت الأزور الكندى) التى اشتركت فى موقعة أجنادين، وأبلت بلاء حسنًا أدهش الأعداء قبل غيرهم بعد أن علمت بأسر أخيها «ضرار بن الأزور» عند الروم ولم تترك القتال حتى فكت أسر أخيها، وشجاعتها الحربية تلك ضد الروم عاشت مضرب الأمثال(١٤).

وأختتم أمثلتى لنشاط النساء فى المجال الحربى بما قالته الخنساء لأولادها الأربعة تحثهم على الذهاب إلى حرب أعداء الإسلام يوم موقعة القادسية إذ تقول لهم: «يابنى، إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ماخانت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، لذلك يقول الله عز وجل فى آل عمران: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وذهب أولادها جميعًا للحرب، واستشهدوا، وعندما علمت بذلك تمنت لو كانت فى سن يسمح لها بأخذ ثأرهم، فقد كانت فى سن الهرم، وقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة»(١٥).

بيد أن دخول شعوب غير عربية فى الإسلام بتقاليدها ونظرتها غير العادلة للمرأة أدى إلى تخلف المرأة، لظهور آراء تنادى بتحريم خروج المرأة ومشاركتها الجدية فى أمور الحياة العامة، وظهر هذا واضحًا إبان حكم الترك لمصر، إذ منعت المرأة من تلقى العلم وممارسة شئونها الشخصية إلا عن طريق رجل من أسرتها قد يكون دونها فى الإدراك العقلى، بل إن بعض الرجال حرموا على النساء قراءة القرآن الكريم أو الاستماع إليه باستثناء سورة النور[١٦] لما فيها من عقاب وتعذيب للكافرين.

ونسى المسلمون تعاليم الإسلام الصحيحة ووضعوا له تعاليم أخرى تتفق مع مصلحتهم الشخصية ونادوا بتعدد الزوجات، وقبوع المرأة بالمنزل وتخليها عن ممارسة حقوقها كإنسانة حتى ولو كانت تمس أخص شئونها الذاتية. والغريب أنهم نسبوا كل هذه الخرافات والأعمال غير الإنسانية إلى الإسلام. وساعد حكام البلاد المصرية فى العصر التركى ما عانته البلاد من فساد حكم وتفشى الأمية بين كافة طبقات الشعب وتدهور الحياة الفكرية تبعًا لذلك، وقبعت المرأة بالمنزل تمارس أعمالها به كأنثى ليس لها إلا أن تسرِّى عن الرجل وتعمل على إسعاده من وجهة نظره وتسعى من أجل ذلك إلى تنمية قدراتها الجسدية؛ لكى تستطيع أن تكيب معركتها مع رجل سهل له سوء فهمه للقوانين والقيم تعدد الزوجات بغير حق واقتناء أكبر عدد ممكن من الجوارى والسرارى.

ويصف كلوت بك هذا الوضع وقد لفت نظره فيقول:

«أى احترام من ولد لوالدته إذا وقع نظره عليها وأحط الخصيان يتولى تأديبها أو معاقبتها بالضرب بأمر من والده» [١٧].

والواقع أن مصر عرفت نظام الحريم كنظام اجتماعى على عهد الحكم التركى بالبلاد وإن ساد هذا النظام طبقة الأغنياء والطبقة المتوسطة، ولم تعرفه الطبقة الدنيا عندنا، فالمرأة الريفية كانت تقوم بمساعدة الرجل فى أعمال الحقل وشئون البيع والتجارة شأنها فى ذلك شأن جدتها المصرية القديمة وإن انتقلت إلى الرجل الريفى عدوى تعدد الزوجات على أنه كان يحتفظ بالزوجة الأولى إلى

جانب الزوجة الجديدة ويشب أولادهما معًا وغالبًا فى منزل واحد دون تفرقة تذكر فى المعاملة.

وهكذا نرى أن المجتمع المصرى عانى من التأخر فى كافة المجالات إبان الحكم العثمانى لانعزال المرأة المصرية عنها لأسباب خارجة عن إرادتها، وساعد على ذلك حرمانها من التعليم، فبالرغم من وجود جامعة الأزهر بمصر ويأتى إليها عديد من طلبة البلاد الأخرى حرمت من تلقى العلم بها ابنة مصر وعاشت حبيسة الجهل والخرافات والقدرة على التفكير الخلاق والتفرقة فى المعاملة الإنسانية بين المرأة والرجل وعدم السماح لها بالخروج من المنزل إلا فى حراسة مشددة من بعض رجال الأسرة أو الخدم وإن كانت أختها ساكنة الريف امتازت عنها ببعض الحرية مثل حرية التنقل خارج المنزل والعمل بالحقل إلا أنها عانت أيضًا من ثلوج كثيفة بصنوف من جهل وتقاليد بالية وتقاليع ينكرها العقل السليم خاصة فيما يتصل بتربية الأطفال، ومن ثم كان تأثيرها على الحياة المصرية وتطورها ضئيلاً باستثناء ما تقدمه للبلاد من أبناء.

وظل الحال كذلك حتى كذلك حتى بزغ نور نهضتنا الحديثة، وفى الفصل التالى نرى كيف نشأت هذه النهضة وماذا فعلت من أجل المرأة المصرية.

هوامش الفصل الأول

(١) راجع فى ذلك المؤرخ الفرنسى ج. ريتشارد J. Ritchard فى كتابه المرأة فى التاريخ.
(٢) راجع العالم هـ. ريبير H. Rebiere فى كتابه النساء والعلم.
(٣) راجع ترجمة وهيب كامل لكتاب هيرودوت فى مصر ـ القاهرة ١٩٤٦.
(٤) انظر ترجمة وهيب كامل لكتاب ديودور الصقلى فى مصر. القاهرة سنة ١٩٤٧.
(٥) انظر ترجمة وهيب كامل لكتاب هيرودوت فى مصر ـ مرجع سابق.
(٦) النساء ـ ٤ ى ٧.
(٧) النساء ـ ٤ ى ٣٢.
(٨) آل عمران ـ ٣ ى ٤٢.
(٩) طه ـ ٢٠ ى ٣٨.
(١٠) القصص ـ ٢٨ ى ٧.
(١١) النمل الآيات ١٩ ى ٣٤-٣٥.
(١٢) آل عمران ٣ ى ١٩٥.
(١٣) النحل ١٦ ى ٩٧.
(١٤) راجع فى ذلك: الواقدى، فتوح الشام ص ٢٨ وما بعدها.
(١٥) محمد عبد اللّه عفيفى ـ المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها، الجزءان الأول والثانى.
(١٦) راجع هـ. و. Hey Worth Dunne فى كتاب مقدمة فى تاريخ التعليم فى مصر الحديثة ص ١٤ وما بعدها.
(١٧) ب. كلوت بك ـ لمحة عامة إلى مصر ـ ترجمة محمد مسعود ـ القاهرة ١٩٢١.

الفصل الثانى

العوامل التى أدت لنهوض الحركة النسائية

يبدأ عصر النهضة الحديثة لمصر بمقدم الحملة الفرنسية للبلاد المصرية سنة١٧٩٨، وقد اتفق المؤرخون على ذلك، لأنها كانت نافذة رأى منها المصريون العالم الخارجى بكل ما يتمتع به من علوم وعادات وتقاليد مختلفة، لم يكن يعرفون عنها شيئًا خلال حكم الترك للبلاد المصرية.

فقد جاء رجال الحملة الفرنسية إلى مصر وبعض نساء فرنسا معهم كزوجات ومغامرات، وكان من الطبيعى أن تتجول أولاء النسوة فى الشوارع والطرقات المصرية أسوة بالرجال ويركبن الحمير وهى وسيلة الانتقال حينذاك، سافرات الوجه ساخرات فيما يمارسن من أعمال، ولفتت هذه الأمور نظر المرأة المصرية خاصة وأنه قد اختلط جنود نابليون بالشعب عن طريق الزواج والمعاشرة.

وقبل أن أتكلم عن مظاهر التغيير التى اعترت مجتمع المرأة عندنا، أحب أن أذكر هنا فئات السكان التى كان يتكون منها المجتمع المصرى تبعًا لمكانتها فى البلاد فى أوائل القرن ١٩ م:

أتراك وجراكسة	١٩,٠٠٠ نسمة
مصريون مسلمون	١,٨٠٠,٠٠٠ نسمة
مصريون أقباط	١٤٥,٠٠٠ نسمة
سودانيون	٧,٠٠٠ نسمة
بدو رحل	٢٠٦,٠٠٠ نسمة

سوريون	٨,٠٠٠ نسمة
أرمن	١,٥٠٠ نسمة
يهود	٣,٥٠٠ نسمة
إفريقيون	١٨,٠٠٠ نسمة
أوروبيون [١]	٥,٠٠٠ نسمة

وتبعًا لنسب السكان هذه كانت المرأة التركية تكون الطبقة الراقية فى البلاد، وكان ولى أمرها يستقدم لها المعلمين من الخارج حيث تتلقى على أيديهم علوم اللغة التركية والفرنسية والموسيقى بالمنزل، وبذلك انعزلت عن واقع المرأة المصرية التى كانت تتلقى ابنة رجال الدين منها بعض مبادئ القراءة دون الكتابة لتستطيع قراءة القرآن وليست فى حاجة لأن تكتب كما اعتقد ولى أمرها حتى لا تراسل رجلاً مال قلبها إليه، ومن ثم كتب عليها أن تعيش حبيسة التفكير فى عالم حريمى مقفل خالٍ من الأمور العامة خارج نطاق عملها المنزلى ودنياها الإنسانية التى كان يحتلها كلها الرجل سواء أكان أبًا أم زوجًا أم أخًا بل وحتى ابنًا، وكان عليها أن تطيع الرجل فى كل ما يأمرها به دون مناقشة ودون تذمر أو ثورة إذ ألفت هذه الحياة كما ألفت أن تعيش منذ نعومة أظفارها فى مساكن بعيدة عن الرجال حتى من ذويها، ومساكنها هذه ليس لها نوافذ تطل على الشوارع بل على داخل المنزل، ولا تزور ولا تزار إلا بأمر سيدها الرجل.

وتتلقى المرأة المصرية خبراتها الإنسانية عن أمها ومن الماشطة فيما يتصل بالخبرة الجسدية والجمالية والعالمة فيما يختص بالخبرات الأنثوية؛ لكى تتمكن من النجاح فى بيت الزوجية المرتقب، وما أصعب النجاح فيه لسيطرة الرجل عليه سيطرة قاسية مجحفة بالقيم الإنسانية، وغالبًا ما يكون هذا الرجل جاهلاً، ولكى نتصور فداحة الكارثة الاجتماعية التى أظلت نساء قبل العشرينيات من قرننا الحالى نقول: إنها لم تكن تعرف العالم الخارجى إلا من الفتحات الضيقة التى كان يسمح لها بالنظر منها سواء من المشربية أو من الحجاب السميك الذى أسدل على وجهها وعلى عقلها معًا.

وفى هذا الجو النسائى الغريب الذى يصوره كلوت بك فى هذه الكلمات:

«لا تتلقى النساء شيئًا من التربية العقلية لاعتقاد الرجال أن المرأة من جهة العقل والفهم أحط درجة من الرجال» ويضيف إلى ذلك بأنه «بالرغم من جهلهن القراءة والكتابة إلا أنهن يعالجن بعض الأعمال كالتطريز والنسيج والوشى ويزاولن الخدمة البيتية بحذافيرها». [٢]

وأرجو أن أكون قد نجحت فى إظهار صورة مجتمعنا وتوضيحها فى السطور السابقة وكيف كانت.

ودخلت عوامل كثيرة غيّرت من كيان المجتمع النسائى المصرى شيئًا فشيئًا حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، ومن هذه العوامل «الحملة الفرنسية» التى كان لمعاملة رجالها لنسائهم أثر فى توجيه نظر نساء مصر للفارق الكبير بين وضعهن ووضع المرأة الفرنسية، خاصة بعد زواج كبار قواد الحملة من بعض المصريات، أمثال (مينو) الذى تزوج من زبيدة الرشيدية وأسلم من أجلها وتسمى باسم (عبد اللّه مينو) ولقد كان لاتصال أولاء الزوجات بغيرهن من المصريات وإخبارهن بما يعاملهن أزواجهن الفرنسيين به من معاملة مختلفة كل الاختلاف عما ألفته من المصريين، أثر واضح فى تغيير وضع المرأة عندنا.

وزادت حرارة الثورة ضد معاملة الأزواج المصريين لزوجاتهم عندما اجتمعت بعض النسوة فى سنة ١٧٩٩ فى أحد حمامات رشيد العامة وتدارسن أحوالهن وما يجب عليهن عمله لإصلاحها وتفتق ذهنهن عن إرسال مذكرة إلى (السلطان الأعظم بونابرته) ويذكر كلوت بك قصة هذه المذكرة كما حكاها له نابليون نفسه فى فرنسا فيقول على لسانه: « تزوج الجنرال مينو بامرأة من رشيد وعاملها معاملة السيدات الفرنسيات إذ كان يمد إليها يده كلما هم بالدخول معها إلى غرفة الطعام ويتحرى لها أوثق المجالس، ويقدم إليها خير الأطعمة وأشهاها، وكان إذا سقط منديل الطعام الموضوع على فخديها بادر بأخذه وإعادته إلى مكانه، فلما روت تلك المرأة هذه الأمور على صاحباتها فى أحد حمامات رشيد لاحت لهذه النسوة بارقة الأمل فى تغيير أحوالهن وعاداتهن وحررن عرضًا قدمنه

إلى السلطان الأكبر بونابرته ليحمل أزواجهن على معاملتهن بمثل ما يعامل مينو زوجته الرشيدية» [٣].

ويرى البعض أن فى هذه القصة مبالغة، ولكنى أرى العكس، فإن المرأة المصرية كان من الصعب عليها أن تجلس مع الرجل إلى مائدة الطعام، بل تخصصها له ولأبنائه الذكور وأصدقائه وضيوفه ثم هى تأكل ما يبقى عليها من فتات الطعام هى وبناته وخدمها معًا، ويحدث هذا فى بعض قرى الريف حتى وقتنا الحاضر.

هذا، كما كان لظهور الروح القومية عند المصريين ضد الفرنسيين كمحتلين أجانب عن المنطقة، أن ثار الشعب مرتين اشتركت فيهما المرأة وتركها الرجل، وفى رأيى؛ لأنه كان مغلوبًا على أمره هذا من ناحية، ولقيادة رجال الدين لرجال المقاومة من ناحية أخرى، وتذكرهم مشاركة نساء المسلمين فى الجهاد المقدس ضد أعداء الدين الإسلامى، وكانوا ينظرون لرجال الحملة الفرنسية على أنهم أعداء هذا الدين. على أن اشتراك المرأة فى هاتين الثورتين شجعها على المشاركة التدريجية فى الحياة العامة بعد ذلك.

فبعد جلاء الفرنسيين عن البلاد سنة ١٨٠١ وقدوم ولاة الترك لمصر بعد ذلك وفشلهم فى إشاعة الاستقرار السياسى أو الرخاء الاقتصادى أو استتباب الأمن فى ربوع البلاد بالرغم من تغيرهم السريع فى تلك المدة القصيرة التى دامت من سنة ١٨٠١ تاريخ جلاء الفرنسيين إلى سنة ١٨٠٥ تاريخ تولى محمد على أمر مصر.

فقد قادت المرأة عدة مظاهرات ناجحة ضد ولاة الأتراك، أولها عندما قتل حاكم القاهرة أحد فتوات حى «باب الشعرية» فخرجت نسوة الحى يطالبن برأس ذاك الحاكم ثمنًا لرأس ابن حيهم وسرن هاتفات نائحات حتى بلغن جامع الأزهر وانضم إليهن بعض رجال الدين فضلا عن جموع غفيرة تجمعت حولهن أثناء سيرهن، وبالرغم من أن البعض ذكر لهن أن الفتوة القتيل كان بلطجيًا لا عمل له، إلا أنهن أصررن على قتل قاتله، وذهب رجال الدين معهن إلى القلعة مطالبين ومؤيدين النسوة فيما يرددنه مما دفع الحاكم التركى إلى دفع جزية كبيرة لأهل حى باب الشعرية وإقالة حاكم مدينة القاهرة من منصبه [٤].

وعندما أسرف ولاة الترك فى فرض الضرائب الجائرة على الشعب، ولم يستطع الرجال الثورة على ما حل بهم من ضرب وإهانة خرجت نساء حى بولاق وهن يحملن الدفوف وبعض الأدوات المنزلية من النحاس صائحات ناشدات بهذه الكلمات التى صارت مثلا بعد ذلك على ألسنة المصريين حتى اليوم وهذه الكلمات هى «إيش تأخذ يابرديسى من تفليسى»، وسرن ومعهن أفراد الشعب إلى جامع الأزهر واضطر جند الوالى أن ينضموا إلى الشعب ويذهبوا جميعًا إلى القلعة مطالبين بقتل «عثمان برديسى» حاكم مصر حينذاك سنة ١٨٠٣ والذى أسرف فى فرض الفردة على كل مظاهر الحياة مثل شراء ملابس جديدة يدفع صاحبها ضرائب لكى يستطيع ارتدائها، وقد أطلقت على هذه الضرائب اسم الفردة. ويصف الجبرتى نتائج هذه المظاهرة النسائية فيقول: «وفى الحال أحاطت العسكر ببيوت الأمراء، ولم يستيقظ البرديسى إلا والعسكر الذين أقامهم بالأبراج التى بناها حوله ليكونوا له عزًا ومنعة، يضربون عليه ويحاربونه ويريدون قتله» [٥] وبذلك وجدت المرأة المصرية نفسها وعرفت قدرها فى ممارسة الشئون العامة عندما يجد الجد وتجد متنفسًا من الحرية الفردية التى عمل الرجل ما فى وسعه لمنعها عنها.

وتولى محمد على أمر مصر سنة ١٨٠٥ وأراد أن ينشئ دولة كبرى فى مصر قائمة على العلوم الحديثة ليتحقق له النجاح ويستتب له ولأولاده الأمر فيها. ومن ثم استقدم العلماء من الخارج وأرسل البعثات من شباب مصر إلى الخارج، ومن هنا كان العامل الثانى فى نهوض الحركة النسائية فى تاريخنا الحديث.

● **الأجانب :**

عمل محمد على على طلب عديد من رجال العلم خارج مصر خاصة من فرنسا، ومن أشهر هؤلاء، العالم الطبيب كلوت بك الذى أنشأ كلية الطب وسعى عند محمد على لإقامة مدرسة للبنات يتعلمن فيها بعض علوم الصحة حتى تسود الوقاية الطبية ربوع البلاد؛ لأن رجال الطب من خريجى مدرسة الطب العليا لا يستطيعون القيام بواجبهم كاملاً تجاه المرضى من النساء لعدم سماح الرجال بالكشف عليهن حتى ولو أدى بهن المرض إلى الموت. وسوف أقص قصة هذه

المدرسة العجيبة فى الفصل الخاص بالتعليم كما رواها كلوت بك نفسه فى كتابه عن مصر.

ومن أعمال كلوت بك أيضًا إحضاره بعض المولدات والطبيبات للتدريس فى مدرسة المولدات المصرية أمثال الآنسة «جولييت». واختلطت أولاء الفرنسيات بالمرأة المصرية عن طريق عملهن مع الفتيات المصريات وتعليمهن اللغة الفرنسية وبعض الفنون اليدوية والموسيقى [٦].

وإلى جانب كلوت بك نجد من الأجانب أيضًا الذين استقدمهم محمد على: (إدوارد دور السويسرى) وكان يعمل مفتشًا بنظارة المعارف، وقد أصدر كتابًا سنة ١٨٧٢ ينادى فيه بضرورة تعليم المرأة المصرية؛ لأنه لا جدوى من تعليم الرجل وتفشى الجهل بين النساء؛ لأنهن يقمن بتعليم الطفل لو كنّ متعلمات وهذا أجدى على البلاد، وكذلك السيدات الأوروبيات اللائى صاحبن أزواجهن أو حضرن للعمل فى مصر.

● ذهاب البعثات العلمية إلى الخارج:

ومن العوامل المهمة فى تقدم الحركة النسائية فى مصر، ذهاب بعض شبابها للخارج للتخصص فى العلوم الحديثة، والتى لم تكن تعرف عنها مصر شيئًا مثل الطب والهندسة والصناعات الحديثة الأخرى. وعاد هؤلاء المبعوثون إلى مصر ومعهم أفكار وعادات وعقائد جديدة منها ضرورة تغيير وضع المرأة فى المجتمع المصرى ووجوب تعليمها، وإتاحة فرصة العمل الشريف لها، كما نقلوا معه نظم الحياة الأوروبية إلى مصر وعملوا على أن يعيشوا فى مساكن تشبه إلى حد كبير المساكن التى رأوها فى أوروبا بل وقلدوا طرز أثاث المنازل [٧]. وفى مقدمة هؤلاء «رفاعة رافع الطهطاوى» الذى عبر عن آرائه هذه فى كتابيه (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز) و (المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين).

وقد وصف فى كتابه الأول أحوال النساء فى فرنسا وتمنى لو تصبح المرأة المصرية مثل أختها الفرنسية، لها المكانة المهمة فى المجتمع وكيف أنها تتمتع بحرية تمكنها من ممارسة قدراتها العقلية وقيامها إلى جانب الرجل بالأعمال العامة والخاصة من أجل مصلحة الوطن ومن ثم نجد «الأنثى دائمًا فى المجالس

الفرنسية معظمة أكثر من الرجل» ونادى الطهطاوى فى كتابه هذا برفع سن الزواج إلى خمس وعشرين سنة حتى يمكن للمرأة أن تتعلم [٨].

والغريب أن محمد على اعتنى بهذا الكتاب عناية كبيرة وأمر بطبعه وتوزيعه فى الدواوين وقراءته فى قصوره ومكافأة مؤلفه الطهطاوى وإطلاق يده لعمل الإصلاح الثقافى والاجتماعى بالبلاد، مما شجع رفاعة الطهطاوى على تأليف كتابه الثانى وعبر فيه بصراحة وحرية عن استنكاره لوضع المرأة فى المجتمع المصرى وسن فيه الشروط التى بمقتضاها يمكن لمصر أن تخلص المرأة فيها من قيودها حتى تنطلق عاملة على رقى مصر ومجالات العمل المختلفة بها، بقوله فى هذا الموضوع حيث يعبر عن آرائه أصدق تعبير بأنه: «ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك، فإن هذا يزيدهن أدبًا وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً ويصلحن به مشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهن ويعظم مقامهن، لزوال ما يضمرن من سخافة العقل والطيش لما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها، وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقاتها، فكل ما يطيقه النساء من العمل فيه شرف بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل».

ويستطرد الطهطاوى فى شرح رأيه هذا مطالبًا بوجوب عمل المرأة خارج نطاق عملها كأنثى داخل جدران المعتقل الحريمى ذى الأربعة جدران، فيؤكد أن العمل «يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء، فإن المرأة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها وفيما يأكلون ويلبسون ويفرشون» [٩].

والواقع أن الطهطاوى نجح نجاحًا كبيرًا فى تصوير المجتمع النسائى فى زمنه والأزمنة التالية له، إذ عبر عن واقع المرأة غير المتعلمة والتى لا عمل لها ولا رأى، وأشير هنا أن امرأة الطبقتين المؤثرة والمتوسطة كانت فى تلك الأزمنة شبه عاطلة حتى من عملها المنزلى لكثرة الخدم ورخص أجورهم، وكان العمل فى حد ذاته

سواء أكان داخل المنزل أو خارجه يعد عار ما بعده عار، بل كانت الفتاة المنتمية لهاتين الطبقتين ترفض الزواج من الشاب الذى يعمل ولا يعيش عاطلاً معتمداً على ما ورثه من آبائه وأجداده.

ومن هنا يظهر عظمة الطهطاوى وسبقه لعصره حوالى مائة عام؛ لأن الفتاة لم تتخلص من هذه الآراء البالية إلا أثناء الحرب العالمية الثانية،ثم ظهر هذا واضحًا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وقرارات الإصلاح الزراعى والتأميم بعدها، وأترك الحديث عن هذا الموضوع للفصل الخاص بعمل المرأة. ونعود للطهطاوى ولمطالبته الملحة بوجوب تعليم المرأة وتقدمها المرأة وليس عملها فقط إذ يقول: «لا شك أن حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالأخلاق الحميدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو أجمل صفات الكمال، وهو أشوق للرجال المقربين من الجمال، فالأدب للمرأة يغنى عن الجمال، لكن الجمال لا يغنى عن الأدب» [١٠].

إذًا فإن رفاعة أراد وضع أسس جديدة تقوم عليها علاقة الرجل بالمرأة فى المستقبل بدلاً من الأسس القديمة التى سادت زمان تلك الأيام، وطالب بإدخال الصلة الفكرية فى الحياة الزوجية لتصبح أعمق وأدوم، وعدم اعتمادها على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة دون سواها. وإذا كانت دعوة الطهطاوى لم تؤت ثمارها فى حياته، فإنما كانت خميرة التطور والنهضة الاجتماعية التى ظهرت بالبلاد بعد ذلك وحمل لواءها المصلحون الذين رأتهم مصر فى أواخر القرن الماضى وبداية هذا القرن.

ومن المصلحين الذين طالبوا بإصلاح وضع المرأة فى الربع الأخير من القرن الماضى الشيخ حمزة فتح اللّه إذ قدَّم بحثًا إلى مؤتمر المستشرقين الذى دعى إليه سنة ١٨٨٩ وعقد فى استكهلم ووضع له عنوان: «باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام» وأشار فيه إلى حقوق المرأة فى الإسلام وكيف أن فى تاريخ الإسلام العلمى نبغ منهن الكثيرات لتمتع النساء حينذاك بكثير من المزايا والحقوق، ولأن: «طلب العلم مشترك الوجوب بين الرجال والنساء وبناء على هذا الأصل الدينى فقد طالما برع منهن كرائم أربين فى العلوم على ذوى العمائم، وتواريخ الأمة عابقة

بعبيرهن وزاهية بأخبارهن» وذكر عدة سيدات ممن نبغن فى العلوم مثل: كريمة بنت محمد بن حاتم المرزوية، وزينب بنت أبى القاسم وشهده الكاتبة [١١] ومن العوامل المهمة التى أدت لتطور الحركة النسائية فى مصر إلى جانب ما تقدم نجد العامل الرابع وهو:

● **السوريون أو الشآميون :**

جاء السوريون [١٢] ومعهم زوجاتهم وبناتهم إلى مصر فى الثلث الأخير من القرن الماضى، وذلك لأسباب أهمها:

● هربًا من اضطهاد الحكم التركى لهم لمطالبتهم بالإصلاح لذهاب بعضهم لتلقى العلم بفرنسا وحملهم لواء الإصلاح بعد عودتهم إلى بلادهم سوريا، وهذا لم يكن يرضى السلطات التركية الحاكمة، وأذكر بهذه المناسبة أنى قرأت فى المقتطف أعداد سنوات من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٢ عن مصادرة السلطات لكتب الحساب لأن بها كلمة (اضرب) إلى جانب الطرح والقسمة وهذه الكلمة سوف تثير الشعب ضد حكامه الأتراك لكثرة ما كان يعانى بعض أفراده من وسائل الضرب.

وزاد قدوم الشآميين إلى مصر بعد احتلال مصر سنة ١٨٨٢ لحاجة المستعمر الإنجليزى لعديد من المترجمين ممن يعرفون الإنجليزية إلى جانب اللغة العربية السليمة ولم يكن يفى بغرض الإنجليز فى هذا إلا أبناء سوريا لإتقان كثير منهم اللغات الأجنبية إلى جانب العربية، لذهاب الإرساليات الأجنبية خاصة الفرنسية إلى بلادهم منذ القرن السابع عشر وإنشاء مدارس لتعليم الثقافات الأجنبية بين الشبيبة فى المشرق العربى.

وجاء الشآميون إلى مصر وعملوا فى المهن التى يتقنونها وهى الترجمة والكتابة فى الصحف التى أنشئوها لغرض المعيشة ومهاجمة الأتراك إن لزم الأمر.

ولم يكن من السهل على بنات سوريا أن يقبعن بالمنزل دون عمل فكرى خارجى وأغلبهن قد تلقى العلم بمدارس الإرساليات أو على يد ذويهن بالمنزل، ووجدن

فرص العمل سهلة أمامهن بالمدارس الأجنبية التى بدأت تنشأ بمصر منذ سنة ١٨٣٦ على عهد «محمد على» الذى شجع القائمين عليها ودعى بعض القائمات بأمرها لقصوره وتعليم حريمه وبناته لنجاحهن فى تعليم فتيات من الشعب.

ومن هنا أصبح جميع مدرسى اللغة العربية بالمدارس الأجنبية وقتذاك من السوريات، ولم يكن بمصر حتى نهاية القرن التاسع عشر فى مهنة التدريس غيرهن باستثناء مدرسة المولدات التى عملت بها بعض خريجاتها مثل «جليلة تمرهان» أول كاتبة صحفية فى العالم العربى إذ كانت تحرر بعض مقالات متخصصة فى مجلة يعسوب الطب سنة ١٨٦٥.

ومن أولاء السوريات ظهرت رائدات للحركة النسائية، فأول من حمل لواء الصحافة النسائية فى مصر منهن، وأول من نادى بقيام الجمعيات النسائية لترعى مصالح المرأة وتعمل على رقيها منهن، وأول من مثلت مصر فى أول مؤتمر نسائى عالمى لنزع السلاح منهن، وشهيرات المصاحفات بالصحف المصرية منهن أمثال (زينب فواز) وهى صاحبة كتاب التراجم النسائية الشهير (الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور) وحملت لواء الدعوة لتعليم المرأة وإلغاء أسواق الرقيق التى كانت منتشرة فى الشرق الغربى وقتذاك، وعبرت عن رأيها فى عدة مقالات نشرت فى صحافة تلك الأيام فهى تكتب عن: (المصريون والمدارس) ونادت فيه بإتاحة فرص التعليم للمصريين جميعًا وإيجاد عمل لخريجى المدارس؛ لأن الخريجين على قلتهم لايجدون عملاً بعد تخرجهم، وهذا من أسباب تدهور الحياة بمصر(١٣).

كذلك مقالات عن (تحرير الرق) وأكدت فى هذا المقال أن وجود الرقيق فى المنازل المصرية يحط من قدر المرأة ويذل أولادها (١٤).

وكتبت مقالاً طريفًا عن مستوى التعليم عند نساء ذاك العصر ووضعت له هذا العنوان (العلم نور) وخلاصته أنها ذهبت لزيارة والدة رزقت حديثًا بأنثى فوجدتها حزينة باكية نادبة سوء حظها، وخيم على المنزل كله سحابة كثيفة من الكآبة والتعاسة؛ لأن المولود جاء أنثى والملائكة كما تقول الأم: «تحزن لمولد البنت وتقيم المآتم فى السماء لاعنة هذه البنت التعيسة، وهذا لايحدث لو كان المولود ذكرًا فالملائكة عندئذ تقيم الأفراح فى السماء، وأن الله سبحانه تعالى يعطى البنت

نصف رزق الولد ونصف عقليته». وتبدى «زينب فواز» عجبها من هذا القول وتؤكد للوالدة أن الملائكة لاتتدخل فى هذه الأمور، وأن الله سبحانه وتعالى كما ذكر فى قرآنه الكريم يرزق الأنثى بمثل ما يرزق الذكر، وأنه خلق عقلية الأنثى مثل عقلية الذكر، وأنه عز وجل يطالبها أى الأنثى بالتعليم والعمل الصالح بمثل ما يطالب به الذكر، ولافرق إطلاقًا بينهما فى أى شىء، بيد أن الأم تجيبها بأن الأفندى - وتقصد الزوج - قال لها وهى مؤمنة بقوله «إن تعليم البنت القراءة والكتابة مكروه عند الله، ولايفعل هذا العمل المشين إلا الكفرة من بنى الإنسان كما أن النبى محمد ﷺ كما ذكر لها الأفندى يلعن المرأة التى تفك الخط. وتضيف الزوجة الأم «لزينب فواز» أنه يكفيها من التعليم ما يقصه عليها الأفندى من قصص دينية عن أم النبى السيدة خديجة، وعبثًا تحاول زينب كما ذكر ت فى مقالها، إقناع الوالدة بأن أم النبى محمد ﷺ هى السيدة آمنة وليست السيدة خديجة التى كانت زوجته، بيد أن الأم أصرت على قولها لأن «سيدنا الأفندى لايخطئ أبدًا لكن أنت ست لازم تكونى مخطئة». وتختتم «زينب فواز» مقالها مطالبة بضرورة تعليم الرجل والمرأة معًا؛ لأن تعليم المرأة وحده لايكفى لما للرجل من أثر على تربيتها ولما له من سلطان كبير يقيدها ولا ترى العالم إلا من خلال دنيا الرجل(١٥).

وإلى جانب الدعوى لتحرير عقل المرأة نجد أن أخواتنا السوريات حملن التراث العربى العلمى القديم من أماكن عملهن بدور الإرساليات والمدارس الأجنبية التى عملت على طبع الآثار العربية النفيسة لتحبب العرب فى تلقى العلم عندها والتردد عليها.

وفضلًا عن ذلك كانت المرأة الشآمية رسول الحضارة الأوروبية من عادات وتقاليد حملتها عن زميلتها الأوروبية العاملة فى تلك الأماكن المذكورة آنفًا لاحتكاكها بها عن طريق المعاشرة. ومن ثم نجد الكثيرات يطالبن بتغيير وضع المرأة المصرية مثل (لبيبة ماضى) التى كتبت عدة مقالات فى المقتطف سنة ١٨٩٩، ١٩٠٠ تطالب بأن يسمح للمرأة باحتراف مهنة الكتابة أسوة بأختها الأوروبية، وأن ذلك لن يحط من كرامتها ولا شرفها، وهاجمها (أسعد داغر) ونعتها بصفات مهيبة وردت عليه فى عدة مقالات نزالية عنيفة عبرت عن شجاعة نسائية نادرة لم يألفها زمان تلك الأيام(١٦).

ولم يقتصر نشاط السوريات فى تحريك أفكار المصريين ومطالبتهم بتغيير وضع المرأة فى المجتمع المصرى على ما كان يفعله السوريون المقيمون بمصر، بل إن بعض الصحف فتحت ذراعيها لمقالات أتت لها من سوريات خارج مصر سواء فى الوطن العربى أو من المهجر، فـ (لبيبة شمعون) [١٧] تبعث بهذا المقال الذى وضعت له عنوانًا يقول (مصيبة المرأة) إلى إحدى المجلات المصرية وتبدأه بقولها:

«إذا تحدثت المرأة بشئون الدنيا الخطيرة مثل السياسة وشئون الحكم قالوا: إن هذا ليس من شأنها وتتطلع إلى ما فوق مداركها، وإذا شغلت ذهنها بالمعرفة وأرادت التوسع فى المدنية وآدابها قالوا: إنها تزاحم الرجال وتتعدى حد المنزل وشئون المعاش، وإذا لبثت لاتعرف إلا منزلها قالوا: إنها والحيوان سواء وإنها يبنغى لها التهذيب والمعرفة، فتقف المرأة حيرى لاتعلم أى جانب تميل، الرجل الذى ينكر على المرأة مشاركتها له ومحاولتها الاقتداء به فى التفكير إنما ينكر الفائدة العامة ويمنع الخير عن نفسه وبيته». وتستمر فى مقالها مبينة وجهة نظرها فى أسباب ذلك فتقول: «لأن الدنيا ليست البيت فقط ولايمكن للعقل مهما كان ضعيفًا أن تكون دائرته هذا المكان الضيق فإن السياسة وفنون الأدب لاتفيد المرأة ماديًا مثل الرجل، ولكن يفيدها فائدة أدبية أهمها اتساع عقلها حتى إن وجدت مادة لاتفيدها فى المنزل ألقتها إلى ابنها ودستها فى ذهنه فينشأ عليمًا».

ثم تنتقل إلى رأى آخر وهو عدم إتاحة فرص التعليم أمام جميع الرجال فتكتب متعجبة أن الرجال لم يتيحوا الفرصة أمام الرجال كلهم فى التعليم بل وضعوا له قيودًا لايتخطاها إلا ذوى اليسار فما الظن بالنساء وهن أضعف منهم.

وتضيف إلى ذلك أنها: «لاتطلب من المرأة أن تكون شريكة للحداد. والنجار، ولا أن يكون من النساء قواد الأساطيل ومديرو الممالك والأمم، بل نريد لها أن تتعلم الفنون التى تستطيع استيعابها والإفادة منها؛ لذا فما يضر المرأة منا إذا كانت شاعرة وأم؟ وماذا يؤثر فى زوجها لو كتبت فى العلوم؟، وإن المرأة التى لا تتقن العلوم المختلفة تكون عاجزة عن إتقان فنون المنزل لقصر عقلها عن التحصيل سواء أكان الطهى أو الفلسفة».

ثم تختتم مقالها بإيمانها بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة لأنهما سيان، وما سمعنا عن عالم أنساه علمه امرأته، ولا بكاتب أذهله قلمه عن أولاده، بل التقصير والذهول يكونان حيث لا أدب وينشئان من حيث لا تهذيب، وقد يقول البعض: إن الدنيا ليست بحاجة لإنتاج النساء، وتجيب على ذلك أنها حجة العاجز الذى يكسب قوت يومه ويستغنى عن غده، إن الرجل الذى يظن أن المرأة متى تعلمت زاحمته هو عاجز، والذى يعتقد أن فى عمله الكفاية فهو بخيل، والذى يتوهم أن فى علم المرأة ضررًا هو جاهل»[١٨].

ولقد أتيت بهذا المقال كاملاً كمثال عما نشرته الشآميات فى الصحافة المصرية فى أواخر القرن الماضى ودعون فيها إلى تعليم المرأة وتحرير عقلها، وأشير هنا إلى أن السوريات لم يكن ينظرن إلى المصريات على أنهن غريبات عنهن، بل إنهن أخواتهن لوجود الراية العثمانية الحاكمة تظلهن جميعًا، وماسورية أو مصر إلا ولاية من ولايات الدولة العثمانية الواحدة.

● **النساء الأتراك:**

فى أواخر القرن الماضى ظهر فى الحياة المصرية العامة بعض نساء الأسر الراقية يشاركن فى الحياة الأدبية، وكان لمشاركتهن هذه أثر كبير فى وضع المرأة المصرية وتغيير النظرة القديمة لتكون شخصيتها، من مخلوق أنثوى فقط إلى إنسانة لها نفس مدارك الرجل العقلية وفضائله الأخلاقية.

وعندما أقول: تركيات فلا أعنى أنهن آتين من تركيا، بل أعنى أنهن انحدرن من أسر تركية، وفى مقدمة أولاء الأميرة (نازلى فاضل) كريمة الأمير (مصطفى فاضل) وهو صاحب أكبر مكتبة علمية فى عصره كانت نواة دار الكتب الحالية والأميرة (نازلى فاضل) خرجت للحياة المصرية العامة بعد احتلال الإنجليز لمصر وتذمر الشعب المصرى من البيت المالك لاعتقاده أنه سبب هذا الاحتلال البغيض وساء الأميرة ذاك الشعور وأيقنت أنها الإنسانة الوحيدة التى يمكنها أن تعمل على كسب عطف الشعب وحبه، خاصة وأن والدها كان محبوبًا عند المصريين لانصرافه عن أمور السياسة إلى أمور العلم والأدب واهتمامه بترقيتهما فى البلاد.

ومن ثم أفسحت الأميرة مكانًا فى منزلها لأولى العلم والأدب من صفوة المصريين وقتذاك أمثال: «فتحى زغلول» و«سعد زغلول» و«إبراهيم المويلحى» و«إبراهيم الهلباوى» و«الشيخ محمد عبده» وأستاذه الفيلسوف الأفغانى السيد جمال الدين والصحفى السورى الثائر «أديب إسحاق».

وبذلك أنشأت هذه الأميرة أول نادٍ أدبى رأته مصر الحديثة، وكان رواده يتدارسون أحوال البلاد السياسية والأدبية ويقرءون الكتب الأجنبية التى تصدر عن مصر بالخارج وتهاجم النظام الاجتماعى فى بلادنا مثل كتاب المحامى الفرنسى «داركور» عن مصر والذى وضع له عنوان (سر تأخر المصريين). فكانت الأميرة تفند مزاعم هؤلاء الأجانب بالحجج السليمة مستمدة من التاريخ وتدفع بحماسها هذا بعض أعضاء ناديها للرد على هؤلاء المدعين.

وعاد «قاسم أمين» من فرنسا وكتب عدة مقالات فى صحيفة المؤيد يهاجم فيها المرأة المصرية ويحط من قدرها ويطالب بقبوعها بالمنزل وعدم ممارستها لأى أمر خارج حدود شئونها المنزلية، وغضبت لذلك «نازلى فاضل»، وطلبت من «الشيخ محمد عبده» أن يطلب من صديقه «قاسم أمين» الكف عن هذا الهجوم وتصحيح الوضع؛ لأن نساء مصر لسن بهذا التأخر وضيق الأفق وتفاهة العقل وضعف الشخصية، وأن يبلغه استيائها الشخصى وغضبها من مسلكه.

وحدَّث «الشيخ محمد عبده» صديقه «قاسم أمين» عن هذا الأمر وأخبره أن المرأة المصرية ليست كما يعتقد، وأنها متمدنة، ولاتقل عن الرجل فى فهمه للأمور، ومثال ذلك الأميرة المصرية «نازلى فاضل» ودعاه للذهاب معه إلى ناديها الأدبى وهناك وجد «قاسم أمين» سيدة تتحدث الفرنسية والإنجليزية والتركية فضلا عن العربية كإحدى بناتها، ولها رأى ثاقب فى الأمور العالمية والداخلية وصاحبة شخصية فذة مهابة من الرجال وهم عظماء البلاد، فجلس مبهوتًا لايصدق عينيه وأذنيه وأنه أمام امرأة مصرية حقًا، تدافع عن مصر ونسائها وتجادل فى ذلك الكتَّاب الأوروبيين الذين زاروها عند زيارتهم لمصر. وخرج قاسم أمين» من عند الأميرة «نازلى فاضل» وقد تغيرت نظرته للمرأة المصرية وأيقن أنها لو وجدت الرعاية الكافية لتوجيهها وتربيتها تربية صحيحة لأصبحت خيرًا ممن رآهن فى فرنسا، وعلم أن الإسلام يدعو لذلك كما أفهمه «الشيخ محمد

عبده» توكيدًا من الأميرة «نازلى فاضل» ومن هنا بدأ يكتب «قاسم أمين» عدة مقالات أخرى يدعو لتحرير المرأة وتعليمها وإتاحة الفرصة أمامها لتعمل وتعول نفسها، ونشرت هذه المقالات أول الأمر فى صحيفة المؤيد سنة ١٨٩٩[١٩] وجمعت فى كتاب وضع له عنوانًا هو (تحرير المرأة) صدر بمصر سنة ١٨٩٩ وخاطب فى مقدمته المتعلمين، وطلب منهم أن يروا بأنفسهم أخطاء المجتمع، ويبحثون عن علاجه دون خجل أو التواء، ويعيب على المصريين فى تمهيد هذا الكتاب إهمال عقولهم حتى صارت «كالأرض البائرة التى لا يصلح فيها نبات» ونادى فيه بأن ننظر خارج حدود بلادنا لنرى ما يجرى حولنا فى المجتمعات المتمدينة، وكيف يسودها وعى متقدم وتفكير سليم[٢٠]، وعاب فيه على المسلمين تواكلهم، واعتمادهم على عناية الله دون أن يقوموا بعمل نافع يصلح من شأن أمتهم، ونادى بتغيير شامل للعادات والتقاليد التى توارثها المسلمون دون أن يكون لها أصل فى الدين الإسلامى، وذلك لن يتأتى إلا بتحرير عقول المسلمين من الخرافات.

ونسب تأخر الأمة إلى ما تعانيه المرأة من تأخر، إذ أنه «يتلازم انحطاط الأمة مع انحطاط المرأة والعكس غير صحيح، فمن عاش فى الاستعباد لايمكن إلا أن يكون ظالمًا مستبدًا»[٢١].

وإلى جانب مطالبته بتحرير عقل المرأة والشعب كله من قيود الخرافات والبدع الضارة، نادى بتعليم الفتاة «لترتزق وتعول نفسها حفظًا لكرامتها، فوظيفة المرأة ليست جنسية فقط كما يتمناها الرجل، بل لابد من تحريك قدراتها العقلية وصفاتها الإنسانية الأخرى» وفيما يتصل بمساواة المرأة بالرجل قال: «إن المرأة فى الريف متساوية مع الرجل هناك، فهى جاهلة وهو جاهل مثلها ويعملان معًا فى الحقل، أما الرجل الحضرى فهو قد نال قسطًا من التعليم وترك المرأة الحضرية دون تعليم» ونادى (قاسم أمين) بتعليمها حتى تتساوى معه فى هذا ولاتحرم من حق مباح له.

وتساءل عن الحجة التى يتذرع بها رجل المدينة فى حرمانه المرأة من المساواة معه فى الحقوق، وبيَّن أن الشريعة الإسلامية قد أعطت المرأة كل الحقوق والواجبات مثلها فى ذلك مثل الرجل: «لكن الرجل المسلم ترك لها الواجبات تؤديها، وحرمها من كل الحقوق التى سلبها منها لنفسه، وعمل على احتجابها

خلف قيود الحريم داخل المنزل وقيود الحجاب خارجه» وطالب بنزع الحجاب وأن تلبس المرأة الرداء كما حددته الشريعة الإسلامية(٢٢).

ثم أصدر بعد ذلك كتابه الثانى (المرأة الجديدة) ولم يخرج عن الكتاب الأول فى حماسه فى الدفاع عن المرأة، بل زاد عليه فى إيضاح نوع الميادين العملية التى تناسب المرأة مثل مهنة التدريس التى أطلق عليها «صناعة تربية الأطفال وتعليمهم»، ثم يحدد المهنة الأخرى وهى الطب لحاجة مصر الملحة إلى طبيبات من النساء يقمن بعلاج المرضى منهن لعدم استطاعة الأطباء الرجال أن يؤدوا وظيفتهم كاملة تجاه المرضى من النساء لسيادة التقاليد التى تمنع الرجل الغريب من رؤية نساء من غير أسرتهم، لذا «فإنه إذا وجد عدد منهن يعرفن صناعة الطب فلاشك أن صناعتهن تروج رواجًا عظيمًا لشدة الحاجة إليهن فى البيوت المصرية»(٢٣).

وأضاف بأنه إلى جانب هذه المهن توجد مهن أخرى مناسبة للمرأة مثل: «الحرف الأدبية والأعمال التى قوامها الترتيب والتنظيم».

ولقد هاجم قاسم أمين بعض الرجعيين أمثال طلعت حرب الذى أصدر كتابًا يرد فيه على قاسم أمين، وأطلق عليه الحجاب وتربية المرأة ولقد نال هجوم خصوم قاسم أمين من كرامته وكبريائه كرجل شرقى، ومع ذلك صمد أمامهم وظل يرد على هجومهم ولم يتخل عن فكرته لتحرير عقل المرأة ووجودها كله.

ونعود إلى نادى الأميرة نازلى فاضل؛ لأن تأثيره على حملة لواء الإصلاح فى مصر لم يقتصر على قاسم أمين، بل تعداه إلى كل مصلحى ذلك العهد أمثال الشيخ محمد عبده الذى بث دعوته الإصلاحية فى نفوس تلاميذه مثل مصطفى عبد الرازق.

وقد عبَّر «الشيخ محمد عبده» عن سماحة الإسلام وكيف أنه كرم المرأة وأن محمدًا ﷺ خاطب المرأة كما خاطب الرجل وأن الإسلام لم يخص جنس دون آخر(٢٤).

ومن السيدات اللاتى عبَّرن عن الحركة النسائية وقتذاك وانحدرن من أصل تركى الشاعرة والأديبة عائشة التيمورية والتى تعتبر من رائدات الحركة النسائية فى الربع الأخير من القرن الماضى، ومن أشهر ما كتبته عما تعانيه بنات جنسها من ظلم وإجحاف المقالة التى طبعت تحت عنوان: «مرآة التأمل فى الأمور»، وتحفظ لنا المقالة أحاسيس صاحبتها ومشاعرها تجاه نساء عصرها ووضعهن فى المجتمع لدرجة أبعدت عن عينيها الكرى:

«فكم من ليال طوتها عنى أيادى الفكر، وسلبتها منى أكف التأمل بين أرق وسهر، وكم أيام أرتنى مرآة الوقت بها عبر غريبة أشكال وأشكال لمن اعتبر».

وتمضى فى قولها فتذكر كيف أن الرجال حرفوا قول الله سبحانه بأن:

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» فالرجل يقوم بأمر الزوجة مجتهدًا فى حفظها وصيانتها وأداء كل ماتحتاج إليه.. غير أنه من:

«الغريب العجيب أن معشر الفتيان فى هذا الزمان أعرضوا عن تلاوة هذه الآيات فضلاً عن تدبير معانيها ولم يعبأوا بشىء من ظاهرها ولاخافيها، حتى محيت من مدركتهم حقائق الأمور... حتى أن كل إنسان هم بالاقتران من وضيع ورفيع كان بحثه عن الحلى والحلل والضياع والعقار، لا عن النسب والتدين والعفة وهى أمور تضحك السفهاء ويبكى من عواقبها الحكيم». وأخذت عائشة التيمورية تعدد الصور التى سوف يصير إليها الزوج بعد أن يستولى على أموال زوجته وأنه سوف ينفق هذا المال خارج المنزل على ملذاته وإخوان السوء ويعود إلى منزله كل ليلة فى حالة يرثى لها مخمورًا لايدرى من شئون المنزل أو أهله شيئًا:

«حتى إذا نفذ من يده الدينار والدرهم وغاب الصديق وحضر الويل والهم وقد فر الرشد عنه وضاع الفكر منه فتقابله الزوجة بأشد النفور وتقوم بالخدمة ولكن بقلب مكسور، كيف لا والبيت لايقبل فى النفقة أعذارًا وحالة العسر تأبى الاستتار».

ثم أتت بقصة مفادها أن أسدًا اعتمد على زوجته فى طعامه وأمرها بالخروج للصيد وأطاعته الزوجة بعض الوقت ثم صارت تعطيه ما تبقى من طعامها، فلما ثار الأسد على ذلكَ وأنه لابد أن يتناول الطعام قبلها لأنه الذكر أجابته أنثاه:

«كان ذلكَ منذ كنت أنت أنت وأنا أنا أما الآن وقد انعكس الحال وصرت أنا أنت وأنت أنا فلك علىَّ ما كان لى عليك ولى عليك ما كان لك علىّ».

وتناولت عائشة إسماعيل تيمور قضية نسائية أخرى وهى قول البعض: إن النساء حبايل الشياطين، وأرجعت سوء سلوك النساء ونقص أخلاقهن إلى من يقوم:

«بتهذيبهن وتأديبهن... فالزوجة منقادة لأوامر الزوج ومناهيه؛ لأنها لاترفل فيما يرضيها من حلى وحلل وغيرها إلا بهمم مساعيه... فيجب على الزوج أن يتحمل بكل حقوقها ومصالحها كما يجب عليها طاعته والانقياد لأمره فإذا انقلب الموضوع وصار لها الولاء كيف لا تلقى وشاح الحذر وترمى برقع الحياء».

ولقد تناولت عائشة التيمورية، بمثل هذا الأسلوب بعض الصور النسائية التى أنّ منها مجتمعها وقتذاك مثل ما يترتب على هجر الزوج أولاده ومنزله وكيف أن هذا الحال يؤدى بالزوجة ذات الأخلاق إلى الموت تاركة أولادها فى يد رعاية زوج كل همه أن يستولى على ما تركته لهم من إرث فتكون النتيجة فساد أخلاقهم وتشردهم وضياعهم فى دروب الحياة[٢٥]. وبعد وفاة عائشة التيمورية بعدة سنوات ١٩٠٨ ظهرت على مسرح الحركة النسائية سيدة تركية أخرى حملت لواءها وأعنى بها نعمت راشد، وسوف أتكلم عنها بالتفصيل فى الفصل القادم.

وهكذا ترى أن وضع المرأة فى القرن الماضى وأوائل هذا القرن أثار العديد من المفكرين من كلا الجنسين وممن ينتمون إلى طبقات متباينة منهم دافع عن حق المرأة فى الخروج إلى الحياة العامة ومنهم من عارض تلك الدعوة مطالبين بعدم تعليمها وأنها فى وضع سليم.

وكان من تأثير المؤيدين والمعارضين لتحرير المرأة أن خرج رأى عام جديد يهتم بوضع المرأة ويعبر عن آرائه فى صحف ذاك الوقت وأفسحت هذه الصحف

صدرها لأقلام المؤيدين والمعارضين على حد سواء، فإننا نقرأ عدة مقالات لمحضر بمحكمة طنطا نشرها فى مجلة أنيس الجليس سنوات ١٨٩٩، ١٩٠٠، ١٩٠١ ويقول فى إحداها واصفًا حال نساء الريف وكيف حزن لوضعهن المهين هذا لأنه «ما برح يظن أن المرأة فى مصر متمتعة ببعض المزايا والحقوق التى تجعلها صالحة للوجود فى هذه الحياة» حتى قضت الظروف عليه بالانتقال لبعض بلاد الريف «فوجدت من حالتها ما يجعل الإنسان يبكى رثاء لها وينزف الدمع تألمًا لمصابها، لأن تلك المرأة التعيسة لا تزال منحطة الدرجة مقيمة فى ذل الأسر والعبودية يتصرف الرجل فيها تصرف القوى بالضعيف والمستبد بالعاجز ولاجناح عليه، ولاتبعة يجدها من منصف يحاسبه على تصرفاته الجائرة مع هذه المرأة المسكينة المذعنة لحكم الاستعباد»[٢٦].

ولقد ردت عليه قارئة لم تذكر اسمها[٢٧] قالت ردًا على مقال «محمود إبراهيم» محضر محاكمة طنطا والذى طالب فيه بوجوب حماية المرأة الريفية من ظلم الرجل وسن قوانين تحميها منه، قالت القارئة:

«إن القانون لايكفى بل سوف يضر بالمرأة أكثر من نفعها؛ لأنها لن تستطيع تفهم نصوصه لجهلها، بل قد يعرضها للمحاكمة لخروجها على القانون؛ لأن الرجل يقف لأخطائها بالمرصاد، معتمدًا على قوته وسيطرته عليها وعلى ضعفها».

ونضيف إلى هذا المنطق السليم أنه بالرغم من أن الرجل يخرج على القانون ويقصر فيما عليه من الحقوق فإن المرأة لاتستطيع أن تحاكمه، لأنها لو عملت ذلك يقضى عليها الزوج بالطرد والفراق، فتزيد الحالة خطورة وقبحًا فيكثر الشقاق والفراق أكثر مما هو الآن وتصبح العائلات فى فوضى واختلال. ثم تقترح طرق الإصلاح فتقول: «إذًا فالإصلاح الحقيقى للمرأة الذى ينشلها من هذا الانحطاط إلى مراقى المدنية هو بث روح التعليم الصحيح فيها وغرس مبادئ فضيلة فى نفسها لتعرف بنفسها الحقوق التى لها أو عليها فلا تحتاج لسلطة الحكومة أو قوانينها».

وتستطرد إلى ذلك فتقول: «إن تعليم المرأة لا يكفى وحده لإيقاف تيار الانحطاط الجارف لها وللرجل على السواء، بل لابد من تعليم الرجل وإيقافه على حقائق الأمور وأنه خلق فى العالم إنسانًا عاقلاً، عاملاً مميزًا، لا وحشًا ضاريًا، يضرب زوجته، ويريها من ضروب القسوة والاستبداد ما تقشعر منه الأبدان، وتهتز له مدنية آخر الجيل التاسع عشر تألمًا وحزنًا» (٢٨).

والواقع أن المعارضين والمؤيدين للمرأة على حد سواء قد خدموا القضية النسائية؛ لأنهم أيقظوا الرأى العام المصرى وبينوا له أهمية هذه القضية، ولذلك لا نعجب أن نجد قضية المرأة ووضعها فى المجتمع ودورها فى الأنشطة المختلفة داخل البيت وخارجه قد تصدرت القضايا الاجتماعية خلال الربع الأخير من القرن الماضى والنصف الأول من القرن العشرين، وأصبحت قضية مهمة تفرع عنها عديد من القضايا أهمها تعليم المرأة وعملها وسفورها وقوانين الأحوال الشخصية والعادات والتقاليد الاجتماعية والطرق الحديثة لتربية الطفل ومعاملة الزوج... إلخ.

وهكذا تضافرت عدة عوامل أهمها ما ذكرت لإيقاظ الحركة النسائية فى تاريخنا الحديث. ولقد أتيت بمثال لكل منها؛ لأننى لو عددتها لأحتجت إلى بحث لكل عامل منها، فالحملة الفرنسية تركت آثارًا كثيرة فى كل ميدان بالبلاد بالرغم من قصر مدة بقائها بمصر إذ لم تستطع البقاء عندنا أكثر من ثلاث سنوات، كذلك الأجانب الذين عاشوا بعد رحيل الفرنسيين أو الذين استدعاهم «محمد على» لمساعدته فى بناء دولة مصر وأغلبهم جاء إلى مصر ومعه زوجته، وأولاء الزوجات لم يعشن داخل جدران المنزل الأربعة، بل انطلقن للعمل خارج منازلهن كالتدريس بالمدارس الأجنبية للبنات أو فى قصور الحكام والطبقة الراقية لتعليم بناتها اللغات والموسيقى وآداب الحديث وأشغال الإبرة.

كما أن ذهاب الأجانب ومعهم زوجاتهم إلى الحفلات العامة خاصة بعد إنشاء دار الأوبرا فى عصر «إسماعيل» شجع المصريين على التشبه بهم وظهر هذا بوضوح بعد عودة البعثات المصرية من الخارج وتقليد أعضائها للمجتمعات الأوروبية التى عاشوا بها بعض الوقت، عند عودتهم إلى مجتمعهم المصرى.

كما أن ظهور الشآميات على مسرح الحركة النسائية فى مصر كان له أثر بعيد على تقدمها، لأنها كانت ألصق بالمصرية من الأجنبية، خاصة وأننا لابد من ملاحظة أن بنات سوريا لم ينظرن إلى مصر وإخواتهن بها على أنهن منفصلات عنهن، فسوريا حينذاك كانت ولاية عثمانية، وكذلك كان الحال بمصر، فمصر وسوريا لهما علم واحد وسلطان واحد وسياسة واحدة تحكم كلا الدولتين، ومن ثم نظرت السورية للمصرية كما تنظر القاهرية اليوم لابنة طنطا أو أسوان؛ لذا عملت الشآمية فى الميدان النسائى بدافع المصلحة المشتركة، وكان تأثيرها على وضع نساء مصر أقوى من تأثير الأجنبيات اللاتى كن يجدن عزوفًا من جانب الوطنيات.

وقامت ابنة القصور من الطبقة الحاكمة بدور مهم فى الحركة النسائية بمصر، خاصة ذات العلم والإدراك السليم والشخصية القوية أمثال: «نازلى فاضل وعائشة التيمورية والشاعرة أمينة نجيب وهدى شعراوى»، وكان نتيجة هذه العوامل التى أيقظت حركتنا النسائية فى عصرنا الحديث أن هب المفكرون والمصلحون من أبناء مصر يتدارسون وضع المرأة المصرية فى البلاد، وظهر منهم معارضون لتغيير وضعها، ومؤيدون لهذا التغيير، بل وينادون بإعطاء المرأة كل حقوق ممنوحة للرجل، وكان هذا القول حينذاك يعد خروجًا على الشرف والإنسانية وأنه كفر ما بعده كفر وخراب ودمار يهدد وجود مصر كله بالفناء، وكانَ من الطبيعى أن تظهر صحافة تدافع عن رأى كلا الطرفين «المؤيدين والمعارضين» وانضم إلى هذه الصحافة النسائية بعض الأفراد من النساء والرجال.

وفى الفصل التالى نرى إلى أى مدى استطاعت أن تخوض هذه الصحافة فى تلك الحرب الناعمة، وهى حرب القضايا النسائية أو التطور النسائى فى مصر.

هوامش الفصل الثانى

(١) نقلا عن تقرير (دون شاميل الروسى) وكان قد زار مصر فى يونيو سنة ١٨٣٧ وقام بترجمة هذا التقرير الدكتور محمد فؤاد شكرى سنة ١٩٤٨.

(٢) كلوت بك، مرجع سابق. جـ٢ فصل ٦.

(٣) كلوت بك، مرجع سابق. ص ٦٢٤.

(٤) راجع فى ذلك عبد الرحمن الجبرتى ـ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جـ٢ ص ١٩٣، وكان يطلق على حاكم المدينة وقتذاك «الجندى» وهو لقب إدارى.

(٥) راجع فى ذلك عبد الرحمن الجبرتى، مرجع سابق جـ ٤ ص ٤٢٠ وما بعدها.

(٦) من حديث مع الأستاذة زينب عبده ـ حفيدة إحدى خريجات مدرسة المولدات السيدة صفية عبد النبى.

(٧) راجع فى ذلك عبد الرحمن الرافعى ـ عهد إسماعيل جـ٢ القاهرة ١٩٣٤.

(٨) راجع فى ذلك رفاعة الطهاوى ـ تخليص الإبريز فى تلخيص باريز طبعة وزارة الإرشاد سنة ١٩٥٨.

(٩) رفاعة رافع الطهطاوى ـ المرشد الأمين تعليم البنات والبنين القاهرة سنة ١٨٧٢ ص ٦٦.

(١٠) رفاعة رافع الطهطاوى ـ مرجع سابق ص ٦٧.

(١١) انظر فى ذلك أنور الجندى ـ تطور الصحافة العربية ـ القاهرة سنة ١٩٦٧.

(١٢) عندما أقول سوريون أعنى أبناء سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، لأن هذه المناطق كانت تسمى سوريا فى ذلك الوقت.

(١٣) زينب فواز ـ صحيفة النيل ـ «عددا» ٦، ٩ ـ السنة الثانية ١٨٩٢.

(١٤) زينب فواز ـ النيل لحسن حسنى الطويرانى عدد ٩ السنة الثانية سنة ١٨٩٢.

(١٥) زينب فواز ـ الفتاة العدد ٣ ـ السنة الأولى سنة ١٨٩٢.

(١٦) راجع المقتطف منذ سنة ١٨٨٥ حتى العشرة الأوائل من هذا القرن؛ لأنه حمل أقلام نسائية أخرى أمثال: مهجة بولس من طنطا، وأولجا ديمترى من ديروط.

(١٧) لبيبة شمعون كريمة الكاتبة والشاعرة السورية الشهيرة وردة اليازجى.

(١٨) لبيبة شمعون ـ أنيس الجليس ـ السنة الأولى سنة ١٨٩٨.

(١٩) نشرت أول مقالة فى المؤيد بتاريخ ١٥ مايو ١٨٩٩، والثانية فى ٢٠ مايو ١٨٩٩، والثالثة فى ٢٨ مايو سنة ١٨٩٩ وقال على يوسف يقدمه: «ألف العالم المفضال صاحب العزة قاسم بك أمين كتابًا

جليلا فى أهم مواضيع الهيئة الإسلامية باسم تحرير المرأة» مثل فيه المرأة المسلمة أوضح تمثيل مبينًا أن الحالة السيئة التى صارت من مميزاتها هى السبب الأول فى تأخر العالم الإسلامى الحاضر. ارجع فى ذلك إلى المؤيد ١٥ سنة ١٨٩٩.

(٢٠) قاسم أمين ـ تحرير المرأة ـ الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٤١، ص ٧.

(٢١) قاسم أمين ـ المرجع السابق، ص ٩

(٢٢) راجع فى ذلك بالتفصيل المرجع السابق.

(٢٣) قاسم أمين ـ المرأة الجديدة ـ ص ٧٣ ومابعدها ـ القاهرة ١٩١١.

(٢٤) تشارلز أدمز ـ الإسلام والتجديد فى مصر ترجمة عباس محمود.

(٢٥) ارجع فى ذلك إلى عائشة التيمورية ـ مرآة التأمل فى الأمور ـ القاهرة سنة ١٢٩٤هـ.

(٢٦) محمود إبراهيم ـ أنيس الجليس ـ العدد الأول السنة الثالثة ١٩٠٠.

(٢٧) وأشير هنا أنه كان من العار على المرأة وقتذاك أن يعرف اسمها، وقد يجلب عليها هذا العمل القتل لو صرحت باسمها لغريب، ومن هنا نجد أن الكاتبات بنات مصر لم يكن يجرءون على الجهر بأسمائهن حتى كانت سنة ١٩٠٨ عندما قامت «جمعية ترقية المرأة» ونصت إحدى موادها على أنه ليس من العيب أن تذكر السيدة اسمها، بل إن ذلك من الشرف ونشرت أسماء أعضائها فى الأعداد التالية من المجلة.

(٢٨) أنيس الجليس ـ العدد ٣ السنة الثالثة سنة ١٩٠٠.

الفصل الثالث

أثر الصحافة النسوية فى تطور الحركة النسائية

ظهرت الصحافة النسائية بمصر سنة ١٨٩٢، ولم تكن قد عرفتها دولة عربية أخرى، وذلك لأنه كانت مصر حينذاك تشاهد نهضة صحفية لم تعرفها البلاد من قبل و هى حديثة عهد بالصحافة وبصناعة الأقلام، ولما كان أغلب أصحاب الصحافة وحملة الأقلام بها من الشآميين، كان من الطبيعى أن تسعى نساؤهم لإنشاء صحف تعالج قضايا المرأة تشبهًا بذويهن من الرجال.

وهذا ما حدث ، فقد أنشأت «هند نوفل» وهى فتاة لبنانية أول دورية نسائية فى الشرق وهى من أسرة صحفية، فوالدها «نسيم نوفل» وعمها «سليم نوفل» اشتغلا بالصحافة والترجمة فى الحكومة المصرية. ومن قراءة مقدمة العدد الأول من المجلة يتضح هنا أن «هندًا» أرادت أن تصنع ما تصنعه غيرها من نساء أوروبا حتى تتقدم الحياة النسائية فى مصر وتتشابه مع زميلتها فى بلاد الغرب، ونقرأ معًا ما يؤكد لنا هذا القول ، فهى تفتتح مجلتها قائلة تحت عنوان : «إيضاح والتماس واستسماح»:

«سيداتى:

إن مبدع العالم ومدبر الكائنات قد أوجد العناصر وأودعها من خصائص الفعل والانفعال والتجاوب والتدافع والتواصل والتفارق، وميَّز كل منها بخواص مختلفة، وأوضاع شتى على وجه غريب ونمط عجيب ثم ألف منها عالمًا كبيرًا، ركب من شموس وأقمار وكواكب ونجوم، لا تعد ولا تحصى ، وخلق الأرض ذات نباتات متشابهة وغير متشابهة».

جريدة علمية تاريخية أدبية فكاهية

الفتاة

الجزء الخامس من السنة الاولى

في ١ نيسان «افريل» سنة ١٨٩٣ — موافق ١٠ رمضان سنة ١٣١٠

مدام بالمر

الكتبخانة الخديوية المصرية

غلاف العدد الخامس من أول مجلة نسائية رآها الوطن العربى

وأخذت تعدد خلق الله فى البهائم كما بينت اختلافها فى الجنس والطباع، وخرجت من ذلك بأن الرجل أيضًا يختلف عن المرأة، ولكن الرجل يدهش إذا وجد نساء متعلمات أو اتصف بعضهن بالعقل والكمال مثل الباسلة «جان دارك»،والفليسوفة «هيباتيا» أو شاعرة «كالخنساء» ومضت تقول فى نفس المعنى بأنه:

«لا غرو إذ ظهرت الفتاة بحلة العصر وهى تتفيء بظل ظليل اللواء الحميدى، لواء سيدنا السلطان عبدالحميد ، فإن الغازى أيد الله ملكه مدى الدوران، وبظهورها فى السنة الأولى من تولى، خديونا المعظم «عباس حلمى الثانى» «الأريكة الخديوية».

ثم أخذت تعرف مجلتها وكيف أنها لن تخوض فى الأمور السياسية و«المشاحنات الدينية، بل أنها سوف تهتم بكل ما يتصل بالنساء مثل «الخوض فى آداب الهيفاء ومحاسن النساء، فإن مبدأها الوحيد الدفاع عن الحق المصرى والاستلفات إلى الواجب المطلوب» ثم تضيف ما سوف تفعله فى هذا الميدان فإنها:

«ستذكر على التتابع بعدد بعد آخر حلة المرأة ومركزها الطبيعى فى الأزمنة الغابرة والقرون المتوسطة وما وصلت إليه فى هذا العصر، عصر التمدن ، والآداب سواء أكان فى العلم والآداب أو فى الطباع والأخلاق أو فى الملابس والأزياء أو التربية أو بكل ما هو لازم لها من الخياطة والتطريز و التخريم والنقش والرسم والتصوير وكافة أشغال الإبرة مع تركيب المنزل وتربية الأولاد».

ومن هذه الكلمات يتبين لنا مدى الخدمات الجليلة التى قدمتها ظهور الصحافة النسائية فى المجتمع المصرى فى ذلك الوقت المبكر من نهضتنا النسائية الحديثة، وإلى أى مدى كانت جامعة نسائية شاملة، أفادت بلا شك الحياة النسائية فى نهاية القرن الماضى، ووضعت بعض أسس لمستقبل المرأة فى مصر بعد ذلك، فهى تبين للقارئات أو بمعنى أوضح للقراء؛ لأن الرجل كان هو

الصلة بين الصحافة النسائية والمرأة لتفشى الأمية بين نساء ذاك العصر من ناحية وسيطرته على المنزل بما فيه من مخلوقات من ناحية أخرى، فكان لا يسمح لأحد فيه بالاطلاع على شىء إلا بعد استئذانه ومن هنا كان الرجل هو الذى يقرأ المجلات لنساء منزله.

ونعود إلى الفتاة وهى تتحدث عن المرأة المصرية لأول مرة من خلال أول وسيلة إعلامية نسائية ظهرت بالشرق العربى، إذ تطلب من القارئات أن يعتبرن المجلة: «جريدتهن الوحيدة المدافعة عنهن ،وأن يكاتبنها ولا يعتبرن ذلك مما يحط من القدر، أو يخدش العفاف، ولا يتوهمن بأن مكاتبة «الجرائد» يحط من مقام «العفاف» أو يمس الطهر والأدب، كلا فإن أعظم نساء الإفرنج علمًا وأدبًا وأرفعهن حسبًا ونسبًا هن محررات بعض الجرائد، وقد ورد فى جرايدهن بأن «مس كارفور» تكاتب جريدة «الديلى نيوز» فى مدينة باريس».

ثم أخذت بعد ذلك تعدد أسماء الصحفيات اللائى يزاولن مهنة الصحافة فى كل من صحف إنجلترا وأمريكا وقتذاك مثل «الديلى نيوز» «وأخبار لندن المصورة» «والديلى تلجراف» ذلك فى لندن وفى نيويورك جاءت باسم صحيفة ولسلى، لكن مجلة الفتاة عددت كثيرًا من صحف ومجلات نسائية تصدر فى فرنسا مثل «مدرسة النساء» و «الزى اللطيف» و «واجبات البنات والنساء» و «حقوق النساء» و «الأمهات» و «التأنق الباريزى» و «حياة العائلة» و «باعة الأزياء» و «فرنسا العايقة» و «جريدة البنات» و «الزى الحاضر» و «الأزياء» و «الزى الصناعى» وتلاحظ هنا الترجمة الركيكة والحرفية لأسماء الصحف مثل «فرنسا العايقة».

كما تلاحظ كثرة المجلات والصحف النسائية المتخصصة والتى ضمتهم فرنسا فى ذاك الوقت المبكر، ولقد أضافت المجلة إلى ذكرها أسماء الصحف النسائية الفرنسية قولها: «وفضلاً عمن ذكر فكثيرًا ما يرى من بنات البيوتات الملكية يكاتبن الجرائد، كـ «البرنسيس كريستيان لويزا» و «البرنسيس بياتريس» و «دو قة رتلد» و«دوقة ملبر» و «كونتس فرتلند» و «كونتس برشموت» وغيرهن من بنات الشرف والمجد حتى أن بعضهن يكتبن فى مواضيع زراعية لا يظن أنهن يكتبن فيها».

ثم أتت مجلة «هند نوفل» أو لمجلة نسائية فى مصر، بإحصائية عن عدد النساء المشتغلات بالكتابة فى فرنسا وكانت كالآتى ، مع ملاحظة تاريخ ذلك العدد من المجلة وهو ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٢: «١٢١ كاتبة يؤلفن الروايات المعروفة بالرومان و ٢١٧ يؤلفن الكتب العلمية للتدريس و ٢٨٠ ينظمن القصائد والأشعار و ٤٢٥ يشتغلن بإنشاء مقالات وفصول متنوعة البحث والموضوع، وبين ٢١٣٣ يوجد ١٢١٩ عضوًا فى جمعيات الآداب اللغوية و ٣٢ مؤلفة الروايات التمثيلية و ٢٣٧ يكتبن فى الجرائد».

ثم ختمت «هند نوفل» افتتاحية مجلتها بالدعاء لوالدة الجناب العالى وكريمتيها «ذوات العصمة» وأن الفتاة لتفخر وتنشر مآثرها وتخليد فضائلها بما لا يبقى ذكرًا لسميراميس وخبرًا لبلقيس ووقعت مقالها الأول باسمها «هند»[1].

ولقد أتيت بجل المقال لما له من أهمية فى نقل صورة واقعية عن حال المرأة حينذاك من اعتقاد بأن التى تكتب فى الصحف أو مهنة الكتابة والتأليف الفنى والأدبى بوجه عام تسىء للشرف والكرامة، بل هو عمل يخدش العفاف ويمس الطهر أيضًا. ودور «هند» فى الحركة النسائية كرائدة للصحافة النسائية فى البلاد كان له أثر فعال، فقد حاولت بقدر إمكاناتها - أن تضىء الطريق لنساء ذاك العصر ولنساء الأجيال القادمة لممارستها مهنة الكتابة عمليًا وضربها الأمثلة من نساء الدول الأجنبية فى موضوعات مجلتها بعد ذلك، كما أنها أفسحت صدر مجلتها لأقلام سيدات من مصر والدول العربية يعبرن فيها عما يختلج فى رءوسهن من أفكار وأحلام وأمانى لفتاة المستقبل، ومن أولاء السيدات نقرأ «زينب فواز» التى كتبت عدة مقالات اتصفت بالقوة والنقد اللاذع للمجتمع النسائى المصرى، و «لبيبة حبيقة» الحكيمة بالقصر العينى والتى كتبت مقالات عدة تبين للقارئات أن الكتابة ليست عيبًا ولاعارًا بل هى من واجب المرأة تجاه أختها. كما كتبت عن: «الصحة والجنس اللطيف» ولو أن أسلوبها شحن المحسنات وتاهت المعانى فى دهاليز هذه المحسنات. كما كتبت من لبنان «عبلة نوفل» و «مريم خالد» و «أستير أزهرى» ومن حمص «وردة فركوح» ومن حلب «مدوم شكر الله» ومن طرطوس «جميلة عواد» ومن يافا «ليزا نوفل» كما كتبت «ألجا ديمترى» من

ديروط و «مهجة بولس» من طنطا التى نادت فى كتاباتها بتعليم المرأة؛ لأنه حق المرأة فى الحياة وأنها بدونه تصبح كما قال الشاعر:

«أن النساء شياطين خلقن لنا أعوذ بالله من شر الشياطين»

كما كتبت «عفيفة آظن» من طنطا أيضًا عن «العلم والعمل»، وإلى جانب الكاتبات العربيات نشرت مجلة «الفتاة» عدة مقالات بقلم المحامية الفرنسية «روزاليون» وذكرت فى مقدمة أول مقال لها والذى وضعت له هذا العنوان:

«المرأة وواجباتها وحقوقها» إنها عرفت من أحد السوريين الذين يتلقون علومهم بالعاصمة الفرنسية بخبر ظهور مجلة نسائية بالشرق، ففرحت وأرسلت للمجلة هذا المقال الذى يصور كفاح امرأة فى فرنسا لنيل حقوقها، وبينت فى هذا المقال والمقالات التالية مكان المرأة الاجتماعى والسياسى فى القانون الحديث، ثم عددت حقوق المرأة مثل حق العمل بالمحاماة والطب والمهن العلمية الأخرى، وأن على المرأة فى الشرق أن تطالب بحقها هذا فى العلم والعمل فى هذه الميادين، لأن القانون يعطيها هذا الحق ويؤيدها، كما بينت فى مقال آخر حقوق الزوجة قبل الزوج، ورأى القانون فى حقوق الزوجة عندما يعتدى الزوج عليها أو يهينها أو يعتدى على مالها. وضربت مثلاً من نساء فرنسا، وكيف أنهن قدمن عريضة «للسلطات قبل الثورة الفرنسية الكبرى يطالبن فيها بالعمل على تعليم المرأة والتوسع فيه حتى تستطيع النساء الدفاع عن أنفسهن ضد سوء الحال والفاقة» وقد قام بترجمة مقالات «روزا المحامية الفرنسية» الشاعر «مطران خليل مطران» و «زكى مايرو»[٢].

وقدمت «س. ن» صفحة الأشغال وتكلمت عن تاريخ أشغال الإبرة وعن ثمن أقدم قطعة منها توجد بالعالم وهى ما طرزته الملكة «ماتيلدا» وصورت فيه فتح إنجلترا على يد «غليوم دوق نورماندیا».

ولقد أخذت الآنسة «س. ن» تشرح للقارئة معنى التطريز وكيفية صنعه، وفى العدد التالى تكلمت عن اللحم وفوائده وأنواعه وذكرت أن أهم اللحم هو لحم الضآن وتكلمت عن الأسماك بعد ذلك وعن خواص بعض الخضراوات[٣].

وأكتفى هنا بالحديث عن مجلة الفتاة لـ «هند نوفل» ولقد تكلمت عنها بشىء من الإطناب لأنها رائدة الصحافة النسائية فى الشرق، والصحافة النسائية هى فى الواقع أهم ظاهرة حية للحركة النسائية فى القرن الماضى والنصف الأول من هذا القرن، ولقد شاهدت مصر بعد مجلة الفتاة ثلاثين مجلة وجريدة نسائية منذ سنة ١٨٩٤ حتى يومنا الحالى وذلك عدا مجلات مدارس البنات أو الهيئات النسائية الدينية، ولن أتعرض لها لأنها تخاطب فئة معينة من النساء وليس عامتهن.

ومن أهم الصحف النسائية التى شاهدتها بلادنا وكان لها دور فى تطور الحركة النسائية هذه الصحف مرتبة ترتيبًا تاريخيًا:

● **«أنيس الجليس» سنة ١٨٩٨ . سنة ١٩٠٨:**

لصاحبتها ورئيسه تحريرها «الكسندره أفرينو» فقد قامت بترجمة الكثير من التقاليد والعادات الحديثة الأوروبية عن اللغات الأجنبية، وطلبت من المرأة اكتسابها، كما بينت لها الطرق السليمة لتربية الطفل منذ ولادته حتى ذهابه للمدرسة ، وما يناسبه من ملابس.

وكانت صاحبة مجلة «أنيس الجليس» المتحدثة الرسمية للحركة النسائية فى مصر فى وقت صدور مجلتها، ودعتها من أجل ذلك رئيسة أول مؤتمر نسائى عالمى يعقد لنزع السلاح لحضوره ممثلة لنساء الشرق كله، وسوف أتكلم عن هذا المؤتمر بالتفصيل فى المكان المناسب له من هذا الكتاب.

وزار «مارك توين» الكاتب الأمريكى الساخر مصر فى أواخر القرن الماضى وبعد عودته لبلاده كتب عن ذكرياته ومشاهداته عندنا، ومن ضمن ما كتب مقال وضع له هذا العنوان: الحيوانات الأربع فى مصر:

ولقد قرأت «الكسندرة» هذا المقال وترجمته ونشرته فى مجلتها بنفس العنوان، وكان كما يلى:

«ذكرت إحدى الصحف الأوروبية أنه يوجد فى مصر ثلاث حيوانات فقط كافية لحاجات أهلها، وهذه الحيوانات هى: «الجمل والثور والحمار»، ولكنه إذا

جاز التوسع فى ذلك فقد يصح أن يضاف إليها حيوان رابع هو المرأة؛ لأنها تشبه الجمل والثور والحمار كل المشابهة، من حيث إن كل الشقاء واقع عليها، وكل الصبر مطلوب منها، ولكنها قد تختلف عن تلك الحيوانات بأنها تنفع، وأما تلك فلا».

وتعلق مجلة «أنيس الجليس» على قول الصحيفة الأوروبية فتقول «ولعل الجريدة على صواب؛ لأن المرأة فى مصر تكاد أن تكون أشقى مخلوق فيها لكثرة جهدها وفرط صبرها واحتمالها، ولذلك تجدها حارثة للأرض، حمالة للأثقال، سائقة للبهائم، ومشاركة لها فى كل أعمالها» وتضيف «الأنيس» فى حماس مدافعة عن وضع المرأة فى مصر، وقد تغيب حقيقته فى زحمة ما حصلت عليه المرأة الآن من انتصارات فتقول:

«ثم هى فوق ذلك أم تامة، ولولا أن تكون أمًا لما كان من البعيد أن تجند، وتساق إلى الحرب كما يفعل نساء الأمزون، ولكنه إذا أضيف إليها مشاكل الطلاق وتعدد الزوجات، وما تصاب به من فعل الغيرة والتزويج، وتقصدالزواج المبكر قبل السن الموافق وبغير الرضا أحيانا كثيرة، كانت الحيوانات الثلاثة المذكورة على راحة أتم من راحتها بكثير» ثم تصل إلى قمة التهكم من امتهان كرامة المرأة فى البلاد الشرقية فتقول: «ولقد وجد فى هذه البلاد جمعيات حسنة للرفق بالحيوان وجمعيات لمقاومة الرقيق الأسود والأبيض ومقاومة السل الرئوى، فلو وجدت أخرى لحماية الفلاحة المصرية بالخصوص وفقيرات المدن بالعموم من شدة الإرقاق وصنوف العذاب والتعب لكان الأجر منها وحدها يعادل الأجر من كل تلك الحيوانات[٤]. والواقع أن هذه المجلة لم يخل عدد منها لم يضم مقالاً يحث المرأة والمسئولين على وضع حد لما تعانيه المرأة من مذلة وهوان وقتذاك. كما نشرت موضوعات كثيرة عن أفضل الوسائل لترقية مدارك المرأة العقلية.

وكما نلاحظ على هذه المجلة أنها بالرغم من أن موضوعاتها الأخرى لا تخاطب فيها المرأة وتطالب لها بإنصافها، تتصف بالسجع وبقية المحسنات البديعية، فإن المجلة فى موضوعات المرأة وحقوقها تتحرر من هذا الأسلوب

وقيوده وذلك لحماسها الشديد فى هذه الموضوعات واهتمامها الكبير بالفكرة وإيمانها بها ما ينسيها ويصرفها آنذاك عن موضوعاتها البلاغية.

وأسوق هنا مثالين ليتبين القارئ معى هذه الحقيقة، كتبت المجلة تنتقد العادات المصرية وقالت تحت عنوان: «المآتم والأعراس»:

«ما السماء إذا انفطرت، وما الكواكب إذا انتثرت وما البحار إذا فجرت، وما القبور إذا بعثرت.... بل وما الشمس إذا كورت، وما الجبال إذا سيرت، وما الجحيم إذا سعرت، ما كل ذلكم بأشد من هول ما رأينا ولا أعظم من خطب ما ألقينا، رأينا نساء صائحات، وبنات نائحات، وفتيات لاطمات، وعذارى صارخات، وسمعنا كلامًا يخرج من أفواههن، والله يعلم مطويات قلوبهن،، كل ما أخذته مقلدات، وتعلنه آثمات بصورة تقشعر لها الأبدان»[٥].

ولا أدل على هذا الكلام لو قارناه بما مر بنا، إذ هنا بصعوبة نجد المعنى ، وما تريده المجلة من نشر المقال، أما الموضوعات الأخرى التى تمس صميم شئون المرأة فتكتب بطريقة أخرى، فهى تكتب عن علاقة المرأة بالزوج إذ تقول تحت عنوان: «المرأة فى الأسرة» : «إن الأم الحقيقية تعين الأب على الاستمتاع بأشرف لذات الزواج، وهى حب الأولاد ومبادلة هذه العاطفة بينه وبينهم، بل هذا ما يجب أن نعمل له بكل الجهد والقوى، إذ الأولاد هم واسطة الزواج، ولهم يبقى متين الحبل شديد العرى»[٦].

ومهما يكن من شىء فإن مجلة «أنيس الجليس» أدت دورًا كبيرًا فى إيقاظ الحركة النسائية المصرية وتطورها فى فترة صدورها وبعدها حتى توقفها سنة ١٩٠٨ ورحيل صاحبتها عن البلاد، وذلك يرجع لما امتازت به «الكسندرة» من قوة الشخصية وقدرتها على اكتساب صداقة الكبار واحترامهم حتى أنها الوحيدة بين نساء الصحافة النسائية والحركة النسائية التى حصلت على هذا العدد من الأوسمة من ملوك العالم. وسأتكلم عن هذا بالتفصيل فى الكتاب الخاص بالترجمة لحياة رائدات الحركة النسائية بمصر.

● **مجلة السيدات لروز حداد سنة ١٩٠٣ . سنة ١٩٣٠:**

ظهرت هذه المجلة لتعمل على ترقية المرأة فى وظيفتها المنزلية ومعرفة ما يدور حولها خارج نطاق المنزل، وكيف أن نساء بعض الدول يعملون فى وظائف شتى غير وظيفتهن الأساسية، وهى الزوجة والأم، وتقول فى مقدمة العدد الأول إنها سوف تعتمد على الإنتاج الأوروبى فى تحرير المجلة، مثل كتب: «قاموس سير ومبادئ شهيرات النساء» و «ما يجب أن تعلمه الفتاة» و «طبيعة الولد» و «أصول التربية والتعليم». كما اعتمدت على مجلات تصدر بالإنجليزية وهى: «مجلة النساء الخصوصية» و «المعاملة والمدرسة» و «المرأة فى البيت» و «رفيق المرأة» و «الأزياء الحديثة».

وأبواب التحرير فى المجلة تبين لنا مدى ما أفادته المرأة من مجلة «السيدات» فقد خصصت بابًا يعالج «المنزل والمطبخ والمائدة» ، واهتمت بنشر أصول ترتيب المنزل ونظافته وآداب المائدة وكيفية إعداد موائد الشاى وأصنافها، وكذلك «الأولاد على المائدة»، وأسس جلوسهم على المائدة فى جميع وجبات الطعام وما يجب عليهم أن يفعلوه، وآداب السلوك تجاه من يجلس معهم على المائدة و...إلخ.

وإلى جانب ذلك اهتمت بزينة المرأة وأزيائها وتعليم الفتاة والعمل على ترقية مداركها العقلية بما تنشره لها من موضوعات علمية وأدبية وقد وضعت شعارًا لها جملة: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وأضاف إليها بأنه «يقاس درجة مكانة الأمم من النظر إلى نسائها، فحينما يكون علو الهمم والإقدام والارتقاء، فهنالك النساء مالكات». وتضيف إلى ذلك:

« إذا أردتم إصلاح الهيئة الاجتماعية فأصلحوا النساء، وبهذا الإصلاح ينصلح الجنس البشرى، لأنهن مربيات ومدربات »[٧]

ومن هذا الشعار نرى بوضوح نظرة المجلة لدور المرأة المهم فى بناء المجتمع، ولقد سلكت طرقًا عديدة للوصول بالمرأة إلى تأدية دورها هذا، فتركت أدباء ذاك العصر يتحدثون للمرأة عن المثل العليا التى توصلت بها الخالدات من النساء وكذلك مفكرات ذاك الزمان من القيادات النسائية فى مصر وسوريا والمهجر.

ونعرض هنا بعض مادة المجلة التحريرية لنرى إلى أى مدى أفادت المرأة منها، فهى تكتب عدة مقالات عن «الحياة البرلمانية» وقد بينت فى عدة مقالات تحت ذلك العنوان «تنوع الحياة البرلمانية من بلد لآخر، والفرق بين البرلمان الديمقراطى وغير الديمقراطى، أبرلمان أم شورى»؟ وأنه «ليس كل برلمان ديمقراطى» و «تطور النظام البرلمانى فى العالم منذ القدم حتى اليوم»[٨]. وكتبت «وداد محمصانى» أين النفس الشرقية» وهتفت فى أبناء الشرق قائلة: «يا قوم حاذروا الفناء فى عبودية الغرب» ثم تضيف قائلة:

«احفظونى من الأفكار تهتف بالذرات الحية فى خفايا نفوسنا العميقة فنضطرب برهة ثم يصيبنا الدوار، فنتابع سيرنا بأنات تائهة إلى أين؟ لا ندرى، ولكننا مندفعون اندفاعًا هائلاً نحو كل ما يعرض أمامنا من الصور البراقة، فأين يحط بنا الترحال»، وتؤكد أن النهاية لن تكون فى مصلحتنا نحن الشرقيين؛ لأننا «نمحو شخصيتنا فى الشخصية الغربية» وكانت دول الغرب قد وضعت أيديها على بلاد الشرق العربى وفلسطين والعراق ومصر، وهال ذلك بعض نساء العرب، فكتب بعضهن فى ذلك ومنهن (وداد محمصانى) التى نادت فى نهاية مقالها بأن «النفس الشرقية أيقظوها وابحثوا عنها، واحموها قبل أن تتهكها القوات المتغلبة وتقذف بها إلى هاويات لاقرار لها، أحيوا النفس الشرقية وعززوا كل ما هو شرقى ، فبعزته انتصارنا»[٩]. وتلاحظ حماس الكاتبة وغيرتها على شأن الوطن العر بى مع ملاحظة اختلاف الأسلوب عما تألفه اليوم، فكلمة النفس الشرقية تقصد بها الكيان الشرقى، ووجودنا وبقاءنا نحن الشرقيين.

وأكتفى بهذا المثال من مجلة «السيدات» وأثرها فى ازدهار الحركة النسائية ونشاط هذه المجلة فى هذا المضمار، إذ لابد من الإشارة إلى الصحف النسائية الأخرى، وحتى لا أثقل على القارئ.

● **مجلة فتاة الشرق سنة ١٩٠٦. سنة ١٩٣٩:**

لصاحبتها ورئيسة تحريرها «لبيبة هاشم».

وتعد «لبيبة هاشم» من رواد الحركة النسائية فى مصر، ولا أفيها حقها فى الكلام من الكتابة عن مجلتها ودور هذه المجلة فى الحركة النسائية ، لأن «لبيبة»

تحتاج لفصل كامل فى كتاب يترجم لرائدات الحركة النسائية، لما قدمته لها ولنشاطها الذى لم يعرف التوقف منذ بدأت العمل فى هذه الحركة سنة ١٨٩٦. حتى تاريخ تركها للبلاد المصرية وهجرتها لأمريكا اللاتينية فى نهاية سنة ١٩٣٩ ونعود للمجلة وقد وضعت «لبيبة هاشم» فى مقدمة العدد الأول لأسباب إصدارها للمجلة والسياسة التى ستسير عليها فى تحريرها حيث قالت: بعد حمد الله عز وجل والدعاء لسمو «أميرنا المعظم»؛ لأنه فى عهده «تفتحت أزهار العلم وأصاب النساء نصيبًا من طيب شذاه، إننى ممن أصابهن نفحة من نسيم ذلك الروض، وأفسحت نفسى عن الصغائر وشواردها ومالت بى إلى ارتشاف كئوس العلم والتلذذ بعذب موارده فأنشأت عدة رسائل أودعتها ما تمثل لرقيه فائدة للأدباء، ونشرتها على صفحات الجرائد والمجلات، رجاء أن تقتدى بها فاضلات النساء » وتضيف بأنها: «منذ تمكنت من تحريك القلم وأنا أفكر فى إنشاء مجلة نسائية أخدم بها سيدات وطنى وبناته وأنشر على صفحاتها ما يلذ رجال الشرق مطالعته من أيدى نسائه».

ولا شك أن «لبيبة هاشم» أيقنت أن عملها هذا مظهر لتطور الفكر النسائى فى البلاد، حيث تجعل الرجال يقرءون إنتاج النساء الفكرى، وهذا فى حينه كان عملاً غريبًا لم يألفه الناس، وكانت «لبيبة» فى الواقع نموذجًا رائعًا لمصابرة المرأة على العمل، فقد كانت مترجمة المجلة ومحررتها ومديرتها وموزعتها ومخرجتها ومندوبة الإعلان فيها، أى هيئة التحرير والإدارة والتوزيع وإدارة الإعلانات لمدة ٣٤ عامًا، وعملها هذا لا يحتاج إلى تعليق منى لأؤكد استطاعة المرأة الوصول إلى النجاح عندما تريد.

ومن عرض بعض موضوعات المجلة نرى ما أدته هذه المجلة من تقدم حياة المرأة فى مصر، فهى تكتب عن: «أحوالنا الاجتماعية» و «أم المستقبل» و «الحكومة المصرية وتعليم البنات».

وفى المقال الأول بينت كيف أن أحوال مصر الاجتماعية تسوء، وأن ذلك يرجع لانتشار العادات الخبيثة واتباع الطرق التى تؤدى إلى تأخر البلاد، وأخذت توضح الوسيلة للقضاء على هذه العيوب الاجتماعية والتى تتلخص فى سد نقص التربية

البيتية والقضاء على فساد التعاليم المنزلية وأن «مدارسنا الابتدائية لا تزال لسوء الحظ وسيلة لزيادة صدأ الأذهان أكثر منها لإزالة أدران الجهل » و«التربية البيتية» والاجتماعية مجموعة سخافات وخرافات وأوهام ، فهى تربى العواطف إلى درجة التأثير الشديد وفقدان الشجاعة والثبات وتعد العقل لقبول أنواع الضلال»(١٠).

وطالبت بالعناية باللغة العربية لغة وأدبًا، وتنمية الشخصية العربية بمداومة الاطلاع والتمسك بالأخلاق، وخصصت أبوابًا «لتدبير الأطفال»، وفيها عالجت تربية الطفل صحيًا وخلقيًا، وكانت تلخص فيها أحيانًا بعض كتب الأطباء مثل دكتور «جردينى» كذلك باب «آداب وعادات» وفيه كانت تأتى ببعض العادات الذميمة وتنهى عنها مثل «البصق على الأرض» و باب ثابت دأبت على نشره فى كل أعداد المجلة وأطلقت عليه «من معلم لتلميذه» ويتناول تبسيط بعض العلوم مثل: الضوء وطبيعته ومنبعه، والهواء ، والمياه، والصوت، وبعض الأمراض، وطرق الوقاية منها وعلاجها. واتخذت مقالات هذا الباب شكل حوار بين أستاذ وتلميذ، أو أم وابنها، أو من أب لابنه، وفى هذه الحالة يتغير عنوان الباب إلى ما يناسب الموضوع مثلا «من أم لابنها» عندما يكون الحوار موجه من أم لولدها، وهكذا لو كان موجهًا من أ ب لولده، وذلك لإبعاد الملل عن القارئ.

و تسجل مجلة «فتاة الشرق» للبيبة هاشم مظهرًا مهمًا من مظاهر الحركة النسائية بمصر فى بداية هذا القرن، فقد رأت إدارة الجامعة الأهلية أن تخصص محاضرات مسائية تلقى على نساء مصر النابهات أو من يقرأن ويكتبن منهن ودعت لذلك «باحثة البادية» لتلقى عدة محاضرات وتبعتها «لبيبة هاشم» بدعوة من المسئولين بالجامعة، وذهبت «لبيبة» وألقت عشر محاضرت، وكان ذلك خلال سنة ١٩١١ وكان موضوع أول محاضرة «التربية»(١١).

ولقد اهتمت هذه المجلة عن غيرها من الصحف الأخرى بموضوع التربية وكان شعارها هو : «العمل على إيجاد المرأة الفاضلة قبل إيجاد المرأة المتعلمة» ولذلك اهتمت بنشر ترجمة لآلاف الشخصيات النسائية شرقية وغربية، ولم يخل

عدد من المجلة منها وكانت تحت عنوان ثابت: «شهيرات النساء» حتى أنها اشتهرت بهذا الباب بين القراء وقتذاك.

ونشرت بابًا ثابتًا تحت عنوان «جوامع الكلم» وكانت تأتى فيه بأمثلة حكيمة من الكلمات المأثورة مثل «أقدر أطباء النفس من استطاع أن يغرس فيها الشجاعة»[١٢]. وفى العشرينيات عالجت مجلة «فتاة الشرق» خروج المرأة من منزلها دون حاجة لذلك، وقالت: إن خروج النساء دون داعٍ ملح لذلك يحط من قدرهن، ويقلل احترام أولادهن لهن، كما هاجمت المتبهرجات فى الطرقات وقالت:

«إن اللاتى يتبهرجن لسن من المتعلمات بل من الجاهلات المتشبهات بالأوروبيات لشعورهن بالنقص» كما اهتمت فى نفس الفترة بقضية سفور المرأة و طالبت بنزع البرقع وذكرت أن جمعية تكونت بدمشق هدفها العمل على سفور المرأة، وأن أعضاء هذه الجمعية خرجن فى مظاهرة نسائية سافرات بلا حجاب لكن الحكومة السورية عملت على منعها من السير وقضت عليها[١٣].

وكانت قد حدث فى تلك الأيام أن انتشر فى البلاد المصرية موضة الأزياء الحديثة وطريقة قص الشعر القصير، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والتغيير الجذرى الذى أحدثته فى المجتمعات الأوروبية من اختفاء عروش، وتحول عديد من أمراء أوروبا وملوكها إلى أفراد عاديين لجئوا إلى مهن خفيفة ناعمة لتعينهم على ملء فراغهم وسد احتياجاتهم المعيشية فتزوجت بعض نجوم السينما من أمراء سابقين جلبًا للشهرة، ورحب الأمراء بهذا الزواج طمعًا فى أموال أهل الفن، وبالطبع اهتمت الصحف المصرية فى العشرينيات كغيرها من الصحف بنشر أخبار هؤلاء وصورهم، وكانت النساء بينهم يرتدين أحدث ما وصلت إليه بيوت الأزياء فى الخارج، وعملت بعض نساء مصر على تقليدهن، ولكى تشعر السيدة أنها تتمشى مع آخر موضة لابد من خروجها لتتمتع بنظر المارة إليها ، ولم يكن خروج المرأة مألوفًا فى مصر، ومن ثم قامت عدة حملات صحفية للهجوم على المرأة وتتطالب بعدم السماح لها من مغادرة المنزل بأى حال من

الأحوال وخاضت مجلة فتاة الشرق فى هذه القضية ونادت بعدم خروج المرأة إلا لحاجة ملحة.

ومجلة فتاة الشرق أول مجلة مصرية تعطى هدايا مجانية للقارئ، وذلك عندما وزعت مع العدد الأول من سنتها الحادية عشرة فى أكتوبر سنة ١٩١٧ رسمًا لمفرش يشغل الإبرة ثم توالت هذه الرسوم خلال تلك السنة والسنوات التالية. كما أتت فى أخريات المجلة بحديث مع المربية الفاضلة السيدة «خيرية حمدى» ناظرة الفنون الطرزية وتحدثت فيه عن شئون تعليم الفتيات بمصر[١٤].

ومهما يكن من أمر فقد أدت «مجلة فتاة الشرق» دورها بكل أمانة وصدق تجاه المرأة فى مصر، وعملت صاحبتها الشىء الكثير من أجلنا نحن النساء، وكان هدفها أن تثبت أن فى مقدور المرأة أن تجارى الرجل فى صناعة القلم، وتقول فى ذلك: «إن المجلات التى تتناول شئون المرأة يملكها رجال والمجلات التى تحررها نساء قليلة جدًا لا تكفى لتحقيق الآمال خاصة، وأن الرجل يكتب عن المرأة كما يعلم ويفكر، أما المرأة فتكتب عن نفسها كما تعتقد وتشعر، ويمكنها أن تتخذ من شعورها دليلاً على كل مستحسن فى الرجل فتدفعه إليه أو ممقوت فتقبحه فى عينه، فضلاً عن أنها أدرى بحال السيدات ومواضع الضعف منهن وكيفية اكتساب أجيالهن والذهاب بها إلى ما فيه خير البلاد وفائدة نفوسهن» ثم تختم قولها هذا مؤكدة من إنها «واثقة من النجاح بما توخيته فى تحرير هذه المجلة من الاعتماد على النفس وانتهاج سبل الفائدة والإصلاح»[١٥].

وأرى أن أكتفى بالحديث عن هذه المجلة وانتقل إلى مجلة نسائية أخرى هى:

● **صحيفة الريحانة سنة ١٩٠٧ . ١٩٠٨:** «لصاحبتها ورئيسة تحريرها جميلة حافظ».

ودور هذه الصحيفة هى إنها أول صحيفة تصدرها سيدة من بنات مصر وأعنى بذلك أنها ليست من أصل تركى أو سورى، بل هى سيدة وجدت لديها الشجاعة لأن تصدر مجلة سنة ١٩٠٧ باسم الريحانة فى مكان سكنها «حلوان» وكانت مجلة متواضعة ثم حولتها فى السنة التالية سنة ١٩٠٨ إلى صحيفة

نصفية، ولم تعش طويلاً لقلة انتشار الوعى النسائى بين القراء من ناحية وافتقارها إلى الوسائل التى اعتمدت عليها الصحف الأخرى مثل الاشتراكات والإعانات كمجلة «فتاة الشرق» التى اشتركت فيها الحكومة المصرية لتوزيعها على مدارس البنات، كما اعتمدت «أنيس الجليس» على الإعانات المالية الكبيرة من ذوى الجاه لشهرة صاحبتها فى أوساطهم كذلك الاشتراكات خارج مصر فى بلاد الشام وأمريكا اللاتينية بين مهاجرى سوريا هناك كذا كان الحال بالنسبة لمجلة «السيدات» فضلاً عن قوة مادة التحرير فيها.

أما «الريحانة» فقد كانت محاولة من سيدة شجاعة تدخل هذا الميدان الصعب وقد وضعت «جميلة حافظ» سياسة لصحيفتها قائمة على أن مصر للمصريين «كشعار غيرنا من الوطنيين المخلصين الصادقين»(١٦)

كما طالبت المصريين بأن يتمسكوا «باستقلال البلاد وألا يتوانوا عن المطالبة به بالصراحة والمجاهرة» وأن يعملوا بقول المتنبى:

«وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا»

وتستطرد واضعة سياستها تجاه المرأة فتقول:

«أما أهم مبادئ الريحانة العمرانية فهو الانتصار للمرأة والمطالبة بحقوقها التى خولتها لها الشريعة الإسلامية الغراء وتعضيد كل قائم بخدمة الأطفال والأيتام والفقراء وبالجملة الانتصار لكل ضعيف».

وظهور صحيفة الريحانة كما يتضح لنا هو مظهر لتقدم الحركة النسائية بمصر؛ لأنه يبين لنا عملا جريئًا لسيدة، كما يدل على وعى سياسى واجتماعى فهى تقصد بالعمرانى، الأعمال الاجتماعية، وكان آنذاك وجود سيدة تعى ما حولها بعقل منطقى سليم شىء نادر، أما أن تخرج هذه السيدة لتعمل على نشر الوعى بين زميلاتها وتقف على منبر إعلامى مخاطبة رأى عام فى أشد الحاجة لمن يرشده ويبين له الظروف المحيطة به وتضىء له طريق المستقبل السياسى، فهذا هو الشىء الذى يستحق الاحترام والتقدير والإشادة؛ لأنه نوع من البطولة النسائية النادرة.

• مجلة ترقية المرأة سنة ١٩٠٨:

لصاحبتها «فاطمة نعمت راشد» زوجة المفكر «محمد فريد وجدى» صاحب جريدة الدستور والتفسير الشهير للقرآن الكريم.

ومجلة «ترقية المرأة» أحد المظاهر المهمة فى تاريخ الحركة النسائية المصرية منذ مصر الفرعونية حتى يومنا هذا فهى مجلة قامت للدعوة الإعلامية لأول جمعية نسائية قامت بمصر وضمت رائدات بالحركة لا يعرف عنهن شيئًا لولا هذه المجلة، كما ضمت مقالات نسائية دون مساعدة من أقلام رجالية كما كان يحدث فى المجلات السابقة، وبذلك كانت صورة رائعة لمظهر من مظاهر الحركة النسائية لم تعرفه الحياة الصحفية عندنا.

وأحتفظ بالحديث عن هذه المجلة بالتفصيل فى الكتاب الخاص بالجمعيات النسائية إن شاء الله، لكن الذى أقوله الآن: إن مادة الزينة والطهى فى هذه المجلة كانت مستمدة من الإنتاج التركى وهذا ما يثبت لنا أن بعض أعضاء تحرير المجلة والجمعية انحدرن من أصل تركى وكن يجدن اللغة التركية لدرجة تمكنهن من ترجمة تلك المادة وتقرأ مثلا عن:

«لطاقت الأعضاء» وعالجت فى موضوعات هذا الباب تقوية الشعر وإزالة النمش من بشرة الوجه وإزالة الشعر الزائد، وكانت فاطمة نعمت راشد المتحدثة باسم المرأة فى وقتها ذاك، فقد أرسلت صحفية إيرلندية إلى الحكومة المصرية تسألها عن حال المرأة فى البلاد المصرية، فحولت الحكومة خطاب السيدة الإيرلندية إلى فاطمة نعمت راشد وطلبت منها الرد، فردت فاطمة على السيدة فى إجابة مطولة تتحدث عن تاريخ المرأة فى مصر ودورها فى الحضارة الإنسانية وكيف أن الإسلام أعطى النساء حقوقًا كثيرة مما مكَّن نساء العصر الإسلامى الأول من حضور المجتمعات والمشاركة فى المعارك الحربية، وأنه يطالب المرأة بالعمل فى كافة الميادين ؛لأن الإسلام حريص على ألا يشل نصف المجتمع، حتى يتمكن من التقدم ونشر الرخاء والسعادة بين شعوب العالم»(١٧).

كما طالبت أعضاء الجمعية والنساء جميعًا بألا يخفين أسماءهن؛ لأن اسم السيدة ليس عورة، بل إن نشر اسم السيدة من سمات طهارتها ، كما قالت إنها

تصدر مجلة شهرية «تكون ناشرة لآرائنا، ومعبرة عن شعورنا تسمع جميع الناس صوتنا حتى يعترفوا بوجودنا، وأننا نصف هذه الهيئة الاجتماعية لنا ما للنصف الآخر وعلينا ما عليه على ما حددته شريعتنا أو سمحت به مدنياتنا». وتضيف إلى ما تقدم إنها استعدت «لتكوين حركة نسائية حتى يتماسك نصف المجتمع لا أن يقف الرجال وحدهم فلا تتقدم الأمة». ثم تختتم مقالها بقولها: «إن هذه الفكرة، وجدت صدى بين سيدات الطبقة الراقية، وبذلك شرعت فى تنفيذها خاصة، وإننى علمت نفسى استعدادًا لهذا الأمر».

إذًا لا شك أن مجلة «ترقية المرأة» أدت عملاً عظيمًا لتاريخ الحركة النسائية فى مصر لتسجيلها لأفكار النساء، فقد كتب فيها نساء من أسوان إذ عبرت (زهية سالم الأسوانية) عن «مدى تأثير المرأة فى النظام الاجتماعى». ومن منفلوط عبرت (نجية أبو حسين) عن «حقوق المرأة والتعليم» ومن بورسعيد طالبت (تفيدة لهيطة) بتعليم المرأة ومن القاهرة كتبت نجية راشد وأرجعت تبرج بعض النساء إلى «ضعف الرجال وفساد أخلاق بعضهن»[١٨].

كما طالبت وجيدة حرم أحمد فايد، وبهية حسنى الطوبجى بوجوب العناية بالمرأة؛ لأنها «مربية الطفل وعماد الهيئة الاجتماعية» وأتت المجلة بخطابى نجية محمد راشد، ودولت عصمت اللتان عبرتا فيهما عن اغتباطهما لقيام «جمعية ترقية المرأة» ولست فى حاجة لأن أبين فى ختام كلامى إن أثر مجلة «ترقية المرأة» كان مهمًا فى تطور حركتنا النسائية فى فترة لم يتناولها أحد بالتاريخ.

وظهرت فى سنة ١٩٠٨ أيضًا مجلة نسائية ثالثة كان لها أثر فى موضوعنا ألا وهى مجلة:

● الجنس اللطيف من سنة ١٩٠٨ . ١٩٢١:

لصاحبتها ورئيسة تحريرها «ملكة سعد» وبالرغم من أن هذه المجلة عاصرت أحداثًا نسائية مهمة مثل ثورة النساء سنة ١٩١٩، ولم تتعرض لها من قريب أو بعيد إلا أننا نجد أنها عملت على تقدم الحركة النسائية بمصر، فقد عالجت اهتمام النساء بالزينة وإهمالهن تنمية قدراتهن العقلية، إذ قالت فى مقدمة العدد

الأول من سنتها الأولى: «إن هدف المجلة من الصدور لكى تأخذ المرأة مكانها كإنسانة تعرف أن الحرية ليست التبرج والتزين بالملابس الفاخرة وجر ذيول الافتخار والسير وراء هوى النفس «لكن الحرية هى أن نعرف مالنا، وما علينا من الحقوق فلا نهان ولا نباع كأمة بثمن، ولا نكون ألعوبة فى أيدى الجنس النشيط الذى يتصور إننا لم نخلق لنكون له عونًا، وإنما خلقنا لنكون فى وهاد الذل راتعات، نضرب كالأنعام ونحرم من الاشتراك معه فى الأعمال النافعة العمومية».

ثم وضعت مبادئ ستة لتكون عليها سياسة المجلة فى المستقبل وهى:

١ - ترقية شعور المرأة الشرقية وإعدادها بالوسائط الأدبية المفيدة لأن تكون فى يوم ما فى مستوى واحد مع المرأة الغربية.

٢ . تفهيمها حالة الوسط الناشئة فيه ومركزها بالنسبة للرجل.

٣ . تفهيمها واجبها نحو الهيئة الاجتماعية بصفتها عضوًا نافعًا فى جسم العمران.

٤ . إرشادها إلى مسئوليتها نحو وطنها وبلادها وعائلتها وأولادها وزوجها.

٥ - مساعدتها على إبطال العوائد المستهجنة.

٦ . ترويض عقل المرأة بما نكتب من حين لآخر فى هذه المجلة من النكات الأدبية الفكاهية المقبولة»[١٩].

والواقع أن مقدمة هذه المجلة قد تناولت القضايا النسائية التى شغلت بها الحركة النسائية فى تاريخنا الحديث. وما تجب أن تشغل به فى المستقبل أيضًا فقد بينت (ملكة) أن التحرر العقلى للمرأة هو المطلوب وأن التحرر الجسدى والتى شغلت به بعض النساء، ليس مفيدًا لها ولا لمجتمعها، خاصة فى فترة تطور تحتاج إلى كل الأنشطة الإنسانية فى مجالات عملية نافعة تؤدى إلى التقدم العلمى، وهذا يحتاج للفكر العقلى ومجهوده الإنتاجى وليس للاهتمام بالزينة الجسدية ، حتى إن المجلة أرادت ترقية المرأة عن طريق ترويض عقلها وليس عن طريق تنمية عواطفها.

وقد حاولت هذه المجلة أن تعمل على إعداد المرأة عقليًا وفكريًا، فنشرت لها موضوعات تبين لها كيفية تربية الأولاد تربية سليمة وكيف تعامل زوجها كزميل وشريك، وليس كتابع له ليس لها رأى، مع ضرب أمثلة من الغرب، كما نشرت مقالاً «للسيد لطفى المنفلوطى» نقلاً عن صحيفة المؤيد وكان بعنوان: «البائسات من النساء». ووصف فيه بأسلوب مؤثر كيف رأى فتاة فى الثانية عشرة من العمر تئن من أمراض الجسم والنفس وكيف إنها تزوجت من وحش يكبرها بأعوام كثيرة وعانت معه من قسوة المعاملة «فكم ضربت ضربًا مبرحًا ثم أخيرًا انتهى بها إلى الطلاق»، وأخذ المقال يصور حالة طفلة بعد طلاقها وما لاقته من ذل وهوان على أيدى أسرتها؛ لأنها لم تستطع العيش فى بيت الزوجية وجلبت لها العار.

وطالبت المجلة على لسان المنفلوطى بوضع حد لهذه المآسى بتعليم النساء وإتاحة العمل لهن(٢٠).

واهتمت المجلة بنشر كتاب (البارونة ستاف) والذى تناولت فيه:

«المرأة فى أدوارها» وقد قسمت هذه الأدوار إلى:

- حياة المرأة الأولى كفتاة منذ تولد حتى تتزوج.
- حياة الزوجية وكيفية ولوج المرأة هذه الحياة الجديدة وعوامل نجاحها فيها وعلاج فشلها إن وجد.
- حياتها فى النهاية كأم، وما يجب عليها أن تسلكه منذ يكون الأولاد أطفالاً حتى يصبحوا بالغين.

ونشرت هذه المجلة أيضًا تصريح السلطان (حسين كامل) لمجلة (الطان) الفرنسية عن رأيه فى المرأة المصرية حيث قال السلطان للمجلة الفرنسية: «إن النساء خلقن لإسعادنا لا لخدمتنا وإن وجود الأمة الراقية يتوقف على وجود المرأة الراقية» وأنه «ليس فى مسائل الشرق السياسية والاجتماعية مشكلة تضارع هذه المشكلة وهى تعليم المرأة وتحريرها فالخلاص من الجهل إنما يكون بتربية نسائنا، وجميع المسائل الأخرى يأتى حلها بعد ذلك سهلا ميسورًا»(٢١).

ثم جاءت ثورة سنة ١٩١٩ واشتركت فيها المرأة المصرية بكافة طبقاتها، و كان هذا سببًا لظهور قيادات نسائية جديدة ساهمت بالوسائل الإعلامية فى نشر الوعى الوطنى وضرورة جلاء الإنجليز عن أرض مصر، فخطبن بالمساجد والكنائس وقدن المظاهرات النسائية ، وبعد انتهاء أحداث الثورة استمرين فى نشاطهن الوطنى يساهمن فى تقدم مصر والعمل على رقيه، ومن ثم أصدرن مجلات لتكون منابر إعلامية لدعوتهن نساء مصر إلى السعى للتعليم وشق طريق العمل خارج نطاق العمل المنزلى، ومن أولاء «بلسم عبدالملك» صاحبة مجلة:

- **المرأة المصرية: سنة ١٩٢٠ . ١٩٣٩:**

ووضعت رسمًا للأميرة الفرعونية «نفرت» ليكون شعار المجلة؛ لأنها سوف تعبر عن المرأة المصرية الصميمة وبعد أن نهضت «لتأخذ بين القابعات فى ظلام الجهل» وأضافت: «وأن هذا الرسم سوف يكون فى صدر كل عدد إن شاء الله للإدلال على أن المجلة مصرية بحتة، وأنها ستقوم بخدمة المرأة المصرية التى نهضت فى هذه الأيام الأخيرة عاملة فى سبيل ترقية الأمة».

وقالت فى مقدمة العدد الأول تبين الهدف من إصدار المجلة: «إن التجارب دلت على أن المرأة كفء لحمل عبء الحياة إلى جانب الرجل». ثم أتت بنبذة عن تاريخ المرأة فى مصر وكيف أنها كانت «مبجلة وتساهم فى ترقية الأمة، وأن المرأة الآن «برزت من خدرها لتعمل إلى جانب الرجل» وتضيف إلى ذلك أنها تصدر مجلتها «لتسد فراغًا فى عالم الأدب لا يملأه غير وجود مجلة نسائية مصرية تكون ميدانًا تتسابق فيه أقلام ربات الخدور من المصريات»(٢٢)

ومعنى ذلك أن هذه المجلة تعبير عن حركة نسائية ظهرت عند بعض النساء اللائى رأين ألا يتركن مجال الصحافة النسائية بين أيدى نشاء شآميات، فقد كانت الصحافة النسائية عندئذ هى مجلة «فتاة الشرق» ، «للبيبة هاشم والسيدات: روز أنطون» وأما «الجنس اللطيف» لملكة سعد فقد كانت تحتضر إذ ما لبثت أن توقفت عن الصدور فى العام التالى سنة ١٩٢١، وأعتقد أن ملكة أيضًا منهن ويؤسفنى إننى لم أستدل على شخصيتها.

والواقع أن مجلة المرأة المصرية كانت ميدانًا عبرت فيه المرأة المصرية لأول مرة فى شكل ظاهر عن أفكارها وأحاسيسها وإنتاجها العلمى. فعندما ظهرت المجلة كانت المرأة المصرية قد أخذت تعمل فى مهنة التدريس وتذهب إلى الخارج فى بعثات علمية ووجدت هناك مظاهر جديدة للحضارة لم تكن تعرف شيئًا عنها، وتمنت لو رأت بلادها تنعم بمثل هذه الأشياء، كالمستشفيات الحديثة لمعالجة النساء والعناية بهن وأطفالهن عند الوضع، كذلك دور الحضانة ورياض الأطفال والنظم الحديثة لإدارة المنازل الإنجليزية، وكان من الطبيعى أن يتولد فكر جديد لاحتكاك الفكر الشرقى بالفكر الغربى عند فتياتنا الذاهبات إلى الخارج، ووجدن هؤلاء المدرسات فى مجلة المرأة المصرية المجال المناسب يعبرن فيها عن أفكارهن هذه.

وخاضت مجلة المرأة المصرية حملة صحفية ضد «الدكتور طه حسين» الذى طالب باستمرار المدرسات الأجنبيات فى العمل فى المدارس المصرية. وإلغاء قرار وزير المعارف وقتئذ «أحمد زكى أبو السعود» الذى نص على إحلال المصريات محل الأجنبيات فى إدارة المدارس والتدريس بها وقالت المجلة فى ذلك إن «طه حسين» يتجنى على المصرية بإدعائه أنها أقل كفاءة وعلمًا وأقل إدارة وأخلاقًا من الأجنبية وأضافت بأن «طه حسين» يقول «ذلك لهوى فى نفسه لأنه لم ير المصريات إلا عن طريق زوجته الأجنبية».

ثم عددت المجلة أسماء مصريات يقمن بالتعليم فعلاً وجديرات بأن يحللن محل الأجنبيات مثل: «نبوية موسى، ونور الهدى عبدالله، وما تيلدا عوض، ونور حسن، وحنيفة حفنى ناصف، وفردوس علوى»، ثم ختمت مقالها بأن: «كل مخلص يتمنى استقلال التعليم فى بلاده استقلالاً مطلقًا بلا قيد ولا شرط»[٢٣].

وعبرت المجلة بحق عن مشاعر رائدت الأدب النسائى فى مصر الحديثة بما نشرته للكاتبة «فاطمة حسن» صاحبة «الريفيات» منذ صدورها سنة ١٩٢٠ والتى صورت بقلمها حياة المرأة الريفية وما تعانيه وما تتطلع إليه وذلك فى عدة مقالات استمرت بالمجلة خلال العشرينيات ومنها «الفرق بين الريفية والحضرية»

و «الريفيات و تعليم البنات» ونأتى هنا ببعض فقرات من مقالها الأول حيث تصور كيف أن المرأة الريفية:

«مثال العمل والنشاط ، فبينما نرى أختها فى المدينة جاعلة همها فى الزينة واقتناء فاخر الثياب وثمين الحلى والتلذذ بالمأكل والمشرب، والتنعم باقتناء فاخر الرياش والأثاث ، وترك الزوج يجهد ويجد لإشباع إطماعها ومطالبها التى لا نهاية لها بدون أن تمد له يد المساعدة وتعينه على أمر يسعى لإنجازه، نرى الريفية تعمل مع الرجل جنبًا إلى جنب، فلا تكتفى بتأدية شئونها الكثيرة ولا بما تقاسيه من شظف العيش وخشونته، وإنما تساعده فى حقله أيضًا فنراها فى بعض الأحيان تدير معه الطنبور».

وتمضى بهذا الأسلوب معددة مظاهر الكد والكفاح التى تمارسها الريفية فى سبيل استمرار الحياة فى الريف المصرى، إلى أن تقول: «وقد تجد الفضيلة أكثر شيوعًا فى الريف منها فى المدن لأن الحياة العملية التى تعيشها المرأة الريفية شغلتها عن النظر إلى سفاسف الأمور وعن اللهو والفتنة كما شغلت الرجل أيضًا عن النظر لما يفسد عليه أخلاقه وحياته، فلو أن سكان المدن وجدوا للمرأة عملا نافعًا!!!»[٢٤].

كما أتت هذه المجلة بأمثلة من الحركة النسائية فى الخارج، وقد وضعت لها عنوانًا ثابتًا هو: «النهضة النسائية فى العالم» وتناولت أمثلة من النهضة النسائية فى الهند وفى الصين وفى أمريكا وفى بريطانيا. واهتمت مجلة «المرأة المصرية» بمظاهر النشاط النسائى التى شاهدتها البلاد فى بداية العشرينيات مثل سفر وفدنا النسائى إلى مؤتمر روما الدولى سنة ١٩٢٣، وكتبت له ما يجب على أعضائه أن يسلكنه هناك، وما يجب عليهن أن يبينوه لزميلاتهن أعضاء الوفود الأخرى. كما نشرت أعمال الوفود ودافعت عنه ضد الحملة التى شنتها بعض صحف مصر على أعضائه بادعائها بعدم أهليتهن للتمثيل الدولى، وقالت: إن ماضى المرأة المصرية يؤكد كفائتها ، ودورها الفعال فى بناء الحضارة الإنسانية[٢٥].

وفى السنة التالية لصدور مجلة المرأة المصرية رأت مصر مجلة أخرى أصدرتها زميلة «لبلسم» فى قيادة «الحركة النسائية» وقتئذ ، وهى مجلة «النهضة النسائية» لصاحبتها «لبيبة أحمد» منشئة جمعية نهضة السيدات المصريات، ومؤسسة أول جمعية لرعاية اللقيطات، وإحدى الموقعات على عريضة النساء التى رفعت إلى المعتمد البريطانى فى مارس سنة ١٩١٩، ومن كرست وقتها خلال سنوات الثورة سنة ١٩١٩ ـ سنة ١٩٢٣ للتوعية النسائية لجميع النساء والفتيات فى الأحياء الشعبية ضد الاحتلال الإنجليزى [٢٦]. ومجلة النهضة النسائية فى الواقع هى أول مجلة مصرية تستطيع أن تجند أكبر عدد من المصريات للتحرير فيها، وبذلك ظهر منهن رائدات للحركة الأدبية فى العالم العربى مثل الكاتبة صاحبة القلم الخالد الدكتورة «عائشة عبدالرحمن».

كما أن هذه المجلة قادت حملة صحفية ضد أمراض الأطفال وسوء تربيتهم، وذلك بأن حصصت أبوابًا ثابتة لعديد من أطباء مصر يخاطبون من خلالها الأمهات مبينين لهن الطرق الصحيحة لتربية الطفل والعناية به صحيًا ونفسيًا، ومن أمثلة هؤلاء الأطباء الدكاترة «إسماعيل مرتضى» و «نصر فريد» و «عبدالعزيز نظمى» و «عبدالله حرفوش»، وتأتى هنا بمثال من هذه المقالات وتكلم عن أنواع الرمد فى مصر للدكتور نصر فريد قال:

«بينما كنت أتخصص لدراسة فن الرمد فى إنجلترا، وكان الأساتذة يلقون علينا دروسهم، كان جسمى يقشعر من ذكر مصر وأنها بلد العميان؛ فبينما نجد الرمد الحبيبى فى أوروبا ٤ ٪ نجده فى مصر ٩٥٪ نسبة مؤلمة، وبينما نجد نسبة العميان فى أوروبا واحد فى الألفين نجدها فى مصر ٤ ٪ يا للهول، والرمد الصديدى هو أصل البلاء وحده يسبب ٣٨ ٪ من العميان».

وأخذ يعدد أنواع الرمد وما يسببه كل منها «فالانجلو كوما أى الميه الزرقاء تسبب ١٨٪ من العميان». ويستطرد مخاطبًا القراء فيقول: «أيها القراء الكرم إن معالجة هذه الأرماد الثلاثة فى غاية البساطة فالرمد الصديدى خطر للغاية يمكن أن يذهب بالبصر فى ٢٤ ساعة لكن دواؤه بسيط ،، وهو النظافة وعدم نزول الذباب على وجوه الأطفال، لأنه ينقل العدوى، ويسبب هذا الرمد مكروب

دقيق لا يرى إلا بالنظارة اسمه «الجونوكوك» فإذا نظفت الأم عيون ابنها دائمًا فلا يمكن حصول عدوى، لكن بكل أسف يتركون الأولاد قذرين حتى لا يصابون بالحسد وهذه فكرة خطرة أتت من جهل الأمهات، وأقول علناً: إن كل طفل يفقد نظره فهو من إهمال أمه».

ويضيف بأنه: «هناك عادة أخرى عند الجاهلات ، وهى أنه لا يلزم مس عيون الطفل بالماء قبل أسبوع من مرضه، ما شاء الله الميكروب ينتظر لأجل خاطر الأم بسلامتها ، بعد الأسبوع تكون العين ذهبت» ثم أتى بطرق العناية بالعين المصابة وغسلها بالبوريك ووضع قطرة كل ساعتين وكان تركيب القطرة كما يلى:

١ جرام بروتوجول و ١٠ جرام ماء.

ثم يختتم مقاله برفع «صوتى عاليًا مستجيرًا من المصريات وجهلهن الأعمى باستعمال الكحل، تظن السيدة أنه يجمل العين وهو مصيب العين؛ لأنه سم يتلفها ويعرضها للأخطار، وليس فى الكحل جمال، الجمال نظافة العين وقد بح صوتى من أجل عادة ترك الكحل ولكن لا حياة لمن تنادى»[٢٧].

ولم يقتصر دور مجلة النهضة النسائية فى تنبيه المصريات لعيوبهن على ما كتبه الأطباء، بل تعداه إلى الإتيان بمحاضرات ألقتها بعض المتخصصات الأوروبيات فى أمراض الأطفال فقد نشرت محاضرة مدام «لامازيير» الفرنسية والتى ألقتها فى «جمعية العناية بالأطفال» التى كانت بالقاهرة فى سنة ١٩٢٦ وقدمت المجلة المحاضرة بقولها:

«هال بعض فضليات النساء فى القطر المصرى كثرة عدد الوفيات بين الأطفال فألفن بمساعدة بعض الأطباء الاختصاصيين جمعية العناية بالأطفال وتربيتهم، وقد عنيت هذه الجمعية بإلقاء محاضرات عن أفضل الأساليب لتربية الطفل تولى الدكتور «فوركار» وبعض الأطباء إلقاء دروس فى كثير من الموضوعات العلمية التى تحتاج الوالدة والمربية إلى الاطلاع عليها». وقد ألقت مدام «أليس لازمايير» الكاتبة الفرنساوية المعروفة محاضرة نفيسة فى نادى الجمعية بشارع المغربى على عدد كبير من السيدات المصريات والأجنبيات موضوعها «حماية الطفل وواجب المرأة الاجتماعى» وتكلمت فيها عن الخطر الذى يتهدد القطر

المصرى بسبب كثرة الوفيات بين الأطفال مستندة فى ذلك إلى أرقام رسمية لا تترك مجالاً للشك فى عظم هذا الخطر ، فإن ثلاثين فى المائة من الأطفال المصريين يموتون فى السنة الأولى من عمرهم وقد زادت هذه النسبة إلى ٣٣٪ فى سنة ١٩٢٤ أما فى البلدان الأخرى فقلما تتجاوز ٧٪».

وتضيف مسجلة محاضرة الكاتبة الفرنسية فتقول:

«وقد توفى فى القاهرة وحدها فى سنة ١٩٢١ ـ ٨٦٠٠ طفل فى السنة الأولى من عمرهم، وكان معدل وفيات الأطفال فى القطر المصرى كله فى السنوات الأربعة الماضية ١١،٠٠٠ طفل فى الشهر الأول من عمرهم و ١٥،٠٠٠ طفل فى الشهر الثانى والشهر السابع و ١٠،٠٠٠ طفل فى الشهر الرابع ثم ٥،٠٠٠ طفل بعد ذلك.

أما زيادة عدد الوفيات فى الشهر السابع فقد عزته الخطيبة إلى قلة الغذاء فى لبن الأم فى ذلك الشهر وعدم إعطاء الطفل الأغذية التى يمكنه هضمها.

وتستطرد «مجلة النهضة النسائية» فى نشر محاضرة مدام لامازيير فتقول:

«إن كثرة عدد الوفيات بين الأطفال فى القطر المصرى وغيره ناشئ عن جهل الأم وأن خير وسيلة لدرء هذا الخطر هى مكافحة الجهل المنتشر بين مختلف الطبقات» وقد مضت نوادر مضحكة تدل على جهل الأمهات وناشدت السيدات المصريات أن يقمن بواجبهن فى حماية الطفولة حتى إذا ما أنقصن عدد الوفيات بين الأطفال وحفظن للأمة ٢٥٪ من أبنائها، حينئذ يتقدمن إلى الحكومة ومجلس النواب مطالبات بما يريدن المطالبة به من الحقوق؛ لأنهن يكن حينئذ قد قمن بأعظم واجباتهن وقدمن للبلاد أعظم خدمة»[٢٨].

وقد أفسحت مجلة النهضة النسائية صدرها للفتاة المصرية لتعبر عما يختلج فى رأسها من أفكار وأحاسيس ومن أولاء آنسة «سنية حسن سرور» من شبرا مصر التى أرسلت لصاحبة المجلة الخطاب التالى:

«حضرة السيدة الفاضلة لبيبة هانم أحمد.....

أتشرف بأن أقدم لك التحية اللائقة لمقامك وأهنئك بالعودة إلى الصدور من جديد ولأشد ما كان سرورى عظيمًا عندما علمت بقرب ظهور مجلتك الغراء التى

أكون أول من أسف على احتجاجها لما قامت به من خدمة جليلة نحن معشر النساء فى حاجة شديدة إليها ، فهي المرآة التى تنعكس عليها مجهودات المرأة المصرية فى الحركة الوطنية وهى المرشد للبنت فى جميع أدوار حياتها، وهى المنبر العام الذى يتبارى فيه الخطيبات للدفاع عن حقوق المرأة والعمل على تقدمها ورقيها، فالمرأة هي سر تقدم الأمم وهى أساس تربية الناشئة، فعلى أساسها يتوقف نظام العائلة ورقى الأمة، فإن تربت البنت وتهذبت وتعلمت تعليمًا صحيحًا، ربت وهذبت وعلمت وأخرجت رجالا عاملين».

وتستطرد الكاتبة فتقول: «ذلك إذا تعلمت تعليمًا صحيحًا، لأنى أرى أن بلادنا لم تنهج إلى اليوم فى تعليم البنت منهجًا صحيحًا يخرج ربة بيت ومربية كتلك التى تخرجها مدرسة الغرب. فالبنت المصرية تعتبر متعلمة متى كانت تقرأ وتكتب فإن هى أتقنت لغة أجنبية اعتبرت من الراقيات فى التعليم، فإذا عهد إليها إدارة شئون منزل فإن كانت غنية ألقت مقاليد أمور منزلها إلى الخدم يتصرفون فيها حيث شاء لهم التصرف، أما وهى رئيسة المنزل المسئولة عن حركته الملزمة بكل كبيرة وصغيرة فيه، فلا يهمها إلا تنظيم أيام مقابلاتها وزيارتها أو كل ماله مساس بزينتها». وتضيف بأنه:

«وحتى إذا رزقت السيدة بمولود فلا تتولاه إلا مدة النفاس، وهى التى بحكم الضرورة تلازم فيها منزلها حتى إذا قويت على مباشرة أعمالها الخاصة وكلت أمر طفلها إلى المرضع أو المربية أو الخادمة مع أن وظيفتها تعهد طفلها من أول عهده وتتولى تربيته الجسمية والنفسية فترتسم تعاليمها فى مخيلته فينشب عليها». وتستطرد:

«وإن كانت الأم من الطبقة المتوسطة أو ما دونها فكثيرًا ما تتفانى فى حنوها على طفلها إلى درجة تفضل بها ما يضره على ما ينفعه وهكذا مما سأعود إلى تفصيله فى أبواب متعددة ، ومن ذلك نرى أن البنات هى أعضاء المدرسة الأولى للطفل وتربيته من أساس رقى الأمم»[٢٩].

والواقع أن مجلة «النهضة النسائية» ظلت طوال حياها منبرًا للقضايا النسائية بكل أبعادها، وما يتصل بها من أطفال وشئون منزلية، وخاض هذه القضايا رجال ونساء مؤيدون لمطلبها ومعارضون لهذه القضايا.

ونجد أن صاحبة المجلة قد وضعت شعارًا لمجلتها ويحيط بصورة غلاف كل عدد بقول: «الأمم بالرجال، والرجال بالأمهات، فانهضوا بيناتكم تحيا أوطانكم».

ومهما يكن من شيء فإن إصدار «لبيبة أحمد» لهذه المجلة واستمرارها فى تحريرها وإدارتها بنجاح، جعل هذه المجلة تتصدر الصحافة النسائية من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٣٩ لهو دليل واضح على تقدم الحركة النسائية فى مصر واتخاذها مظهرًا جديدًا هو خروج المرأة المصرية إلى ميدان الإعلام وحملها القلم تعبر به عن أرائها تجاه قضايا الوطن السياسية والاجتماعية والثقافية، وتناقش الرجل على أساس منطقى وتشاركه نشاطه الفكرى، و كان هذا غريبا على مجتمع ذلك الزمان.

ومن المجلات النسائية التى كان لها تأثير واضح فى تقدم الحركة النسائية مجلة الأمل «لمنيرة ثابت» فهى أول من و ضعت برنامجًا محددًا يشمل الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهى أول مجلة نسائية حزبية تنحاز إلى مبادىء «حزب الوفد» وقدمتها صاحبتها بأنها «صحيفة الدفاع الحق عن حقوق المرأة المصرية» وأضافت بأنها أنشأت «مجلة الأمل لتواصل ما بدأته فى الصحف الأخرى فى الدفاع عن المرأة، وأنها لمهمة شاقة» ، وتستطرد: بأنها فى حاجة إلى مساعدة نساء مصر، وتضامنهن معها «حتى تكون المرأة المصرية قدوة لنساء الشرق»[٢٩].

أما برنامجها فكان هكذا: «نسائيات» وقسمت هذه النسائيات إلى الأهداف الآتية:

- السعى لترقية التعليم الابتدائى للبنات وتوسيع تعليمهن الثانوى، واشتراكهن فى التعليم العالى كالبنين سواء بسواء.
- السعى لتحرير المرأة المصرية من قيود العادات والتقاليد الضارة على اختلافها.

الأمل

صحيفة أسبوعية سياسية أدبية اجتماعية

لصاحبتها الآنسة منيره كابت

تليفون ٧٨١٢ — ٩١٥٣

صحيفة الدفاع عن حقوق المرأة

أمل أنفق فى الوادى القصيب ... وزرود فى تراه لوتجيب

فما أنا اليوم أنى عرسه ... ويبارك فيه عموم القلوب

الاشتراكات

عن سنة داخل القطر أربعون قرشا

» خارج » خمسة عشر شلنا

(الادارة بشارع الشريفين رقم ٧ مصر

العدد الثانى والثلاثون — السنة الاولى — القاهرة فى يوم السبت ١٢ يوليه سنة ١٩٢٦ — ثمن النسخة ٥ مليمات

عودة الحياة النيابية الي البلاد

مصر تتنفس الصعداء

الحق يعلو ولا يعلى عليه.

كلمات يرددها صاحب الحق كلما اكتنفته الظلمات وأحاطت به الصعاب. فلا القوة تحيد به عن مبدئه. ولا العنف يحمله على التنازل عن ذلك الحق المغتصب.

وذلك هي حالة مصر الآن. نزلت بها النوازل وحلت بها النكبات على يد وزارة اسماعيل النفسها الذكر وداست القوانين ومزقت الشرائع. فلا أصوات الاحتجاج المرتفعة من كل فج وصوب أثرت فى نفوس الوزارة الساقطين ولا صوت الضمير الذى فى أدا... يستيقظ الى عظيمة الوطن والكف عن التمادى فى الاثام و...

ولكن مصر ظلت ... تلك النكبات والملمات ثابتة فى غضبها ... محافظة على اخلاصها لغير ... البلاد الأوحد الذى تركت اليه قيادها ووثقت به ... تمها.

وها نحن الآن نرى فجر الانتصار يسطع فى أفق مصر فنهتف هاتفين: الحق يعلو ولا يعلى عليه. وتردد مصر جميعها عاصمتها ومدنها وصعيدها. هذا الهتاف المتصاعد من أعماق القلوب، مفروضا هتاف آخر. لا يقل عنه هتافا: يحيى سعد.

ذلك لأن سعداً هو ذلك الأمل والأمثل الذى تتطلع اليه مصر والمدافع عن ذلك الحق الذى طالما ... مصر والمدى الجاهد فى سبيل ذلك الاستقلال الذى تنشده مصر.

فلذا ماخفقت مصر اليوم بحياة سعدها وهاهي تهتف فى آن واحد لاسمها وآمالها وحبها واستقلالها.

ان سعد انتصاراً فى الانتخابات النيابية ... بعادته انتصار فى تاريخ. وأخر جنود سعد وأصابه فوزاً ... يعرفه من قبل حرب من الاحزاب. فهزم الحق الباطل واضطر الغاصبين الذين ظلما وعدوانا فى دست الاحكام الى التخلى عنها والاذعان لارادة الأمة مصدر السلطات جميعها. وتخلوا عن مراكزهم لمن هم أولى بها ولم يتركوا الحكم ... وتركوها لمن هم أولى بها ولمن ارادت الأمة ان تعهد بها

عادت الحياة النيابية الى البلاد. وعادت مهامها ... دستور فتوفى نوابها وحريته شرائع

«مجلة الأمل لمنيرة ثابت»

● السعى لنشر السفور المحتشم وتعضيده.

● السعى لتقرير تمتع المرأة لاستقلالها الشخصى وحريتها كالرجل، على ألا يتعدى استقلال كل منهم دائرة الأدب والفضيلة ونعنى تقرير مبدأ «الوحدة الحقيقية بين الجنسين فى دائرة الفضيلة».

● السعى للحصول على حق التصويت للمرأة ثم حق تمتعها بالعضوية فى المجالس النيابية على اختلافها.

«اجتماعيًا» وتضمنت الاجتماعيات هذه المواد:

● السعى لاستصدار قانون بتعديل شروط الزواج والطلاق لحفظ حقوق المرأة فيها ثم قانون آخر لمنع تعدد الزوجات.

● السعى لتطهير الهيئة الاجتماعية المصرية من الوباء المنتشر فيها[٣٠] الآن، وتنقية الوسط المصرى وإعدادها لظهور المرأة المصرية فيها.

● السعى لإشراك المرأة المصرية فى جميع المجتمعات والحفلات العامة الرسمية وغير الرسمية.

● السعى لاستصدار قانون لإنصاف المرأة المسلمة فى الميراث كما تقتضيه الحالة الاجتماعية اليوم.

● السعى لإشراك المرأة المصرية فى جميع المجتمعات والحفلات العامة الرسمية وغير الرسمية.

● السعى لاستصدار قانون لإنصاف المرأة المسلمة فى الميراث كما تقتضيه الحالة الاجتماعية اليوم.

● السعى لنشر الآداب والفضيلة ومحاربة جميع أنواع الفساد الاجتماعى والأخلاقى.

● السعى للاتصال بالجماعات النسائية الاجتماعية فى بلاد الشرق أولاً، ثم فى بلاد الغرب، والدفاع المستمر عن مصالح المرأة»[٣١].

ولقد خاضت «مجلة الأمل» قضايا نسائية تركت بصماتها فى تاريخ الحركة النسائية مثل الدفاع عن المدرسات واستمرارهن فى العمل بعد الزواج واقترحت لحل هذه المشكلة.

«تخويل المعلمة حق الزواج إذا أرادت ذلك وهى مزاولة لمهنتها» وكان اقتراحها هذا بمناسبة زواج «صديقنا الفاضل الدكتور/ منصور فهمى من السيدة الفاضلة ناظرة شبرا الثانوية» ودخلت المجلة معركة مع المؤيدين والمعارضين من المعلمات أنفسهن، وقد حملت لواء المؤيدين منيرة ثابت التى أخذت تطالب ببقاء المدرسة فى العمل بعد زواجها وترك الأمر لاختيارها، واستمرت هذه الحملة عدة شهور، ونشرت المجلة إلى جانب المؤيدين ما يقوله المعارضون وفى مقدمة المعارضين، «فردوس الجراحى» المدرسة بمدرسة بور سعيد، وقد طالبت بتأييد وزارة المعارف فى رأيها بخروج المدرسات من العمل بمجرد عقد زواجهن ، وتعجب فردوس من قول اللائى يقولن بزواج المدرسات وهن يعملن، تتساءل «من يربى أولاد المدرسة وهى خارج المنزل تربى أولاد الناس وماذا تفعل لو نقل زوجها من محل عمله أو نقلت هى من محل إقامة زوجها التاجر أو الزارع أو.. إلخ أتنفصل عن زوجها؟ أو ماذا تفعل؟ أيترك زوجها تجارته وعمله ويسافر معها عاطلا بلا عمل؟ أم تعيش بعيدًا عنه بدون زوج؟ وإذا كان كذلك لماذا إذًا تزوجت؟»[٣٢] بيد أن منيرة ثابت ظلت تلح فى تعديل قرار وزارة المعارف بالاستغناء عن خدمات المدرسات المتزوجات والتى تتعلل الوزارة بأن صالح العمل نفسه يتطلب ذلك وترد منيرة بأن صالح العمل «فى عدم الاستغناء عن المتزوجات فى مهنة التدريس وذلك لخبرتهن» وضربت مثلا لذلك زواج السيدة إنصاف سرى ناظرة شبرا الثانوية من الدكتور منصور فهمى وكيف أن الوزارة استثنتها لكفاءتها فقررت عدم الاستغناء عنها، وأخيرًا قررت وزارة المعارف السماح للمدرسات بالزواج دون أن يتركن عملهن.

وقالت المجلة فى مقال لها بهذه المناسبة «منذ أسابيع مضت تدخلنا فيه بين المعلمات ووزارة المعارف باقتراح تخويل المعلمة حق الزواج إذا أرادت وهى مزاولة لمهنتها، وكان اقتراحنا هذا بمناسبة زواج صديقنا الفاضل الدكتور منصور فهمى» وأضافت المجلة تحت عنوان رئيسى آخر: «انتصار عظيم لفكرة صاحبة

الأمل» وعنوان فرعى يقول: «وزارة المعارف تقرر السماح للمعلمات بالزواج مع بقائهن فى العمل» ثم أضافت قائلة:

«كانت صاحبة الأمل أول من نادت بفكرة زواج المعلمات مع بقائهن فى العمل وأول من طالبت الوزارة بتحقيق هذه الفكرة ، فصاحبة الأمل تغتبط اليوم كل الاغتباط وهى تسجل على صفحات أملها قرار وزارة المعارف» ونشرت مجلة الأمل نص قرار وزارة المعارف وكان كما يلى:

«لما كان عدد المعلمات المصريات بمدارس البنات فى نقص مستمر لتركهن الخدمة بسبب الزواج ولما كان عدد خريجات مدارس المعلمات لا يفى بحاجة الوزارة للنهوض بتعليم البنات وتوسيع نطاقه ورفعه إلى المستوى الذى ترجوه، ونظرًا؛ لأن الوزارة ترغب فى الاحتفاظ ببعض من ترى منهن الكفاءة من المعلمات المصريات ويرغبن الاستمرار فى الخدمة بعد زواجهن ، فقد قررت الوزارة أن اللائى يعتز من الزواج منهن ويردن الاستمرار سواء كن داخلات هيئة العمال أم معينات بعقود عليهن تقديم استقالتهن بسبب الزواج أولاً، ثم يرفعن طلبًا برغبتهن فى العودة إلى الخدمة على أن يعيين بعقد إذا قبلت الوزارة عودتهن، وإن كن ضمن هيئة العمال، أما المعلمات الأجنبيات الموجودات الآن بالخدمة، وغير المتزوجات فلا يجوز لهن السماح بالزواج مطلقًا مادَمن فى خدمة الوزارة، وعليهن توقيع تعهد كتابى بذلك أما المتزوجات منهن فيبقين فى الخدمة بصفة استثنائية إلى أن تنتهى عقود خدمتهن»(٣٣).

وكان من الطبيعى أن يهاجم منيرة ثابت بعض رجال مصر وقتئذ لآرائها التقدمية حينذاك ، ويرومونها بالخروج على «الأخلاق والدين، وأنها فتاة مدللة لم تعرف التربية الحقيقية»(٣٤).

وتعرضت مجلة الأمل للدفاع عن العاملات ، فقد هاجمت مصلحة التليفونات لفصلها الآنسة «فتحية محمد» من خدمتها بحجة التوفير، وكانت فتحية أول فتاة تعمل بمصالح الحكومة خارج نطاق وزارتى المعارف والصحة، عندما عينها سعد زغلول فى تلك المصلحة إلا أن وزارة «نوبار» التى تلت وزارة سعد فصلتها، ولكن

أعيدت للعمل بعد حملة المجلة العنيفة ضد هذا العمل الذى قامت به الوزارة النوبارية تجاه أول عاملة بمصلحة التليفونات.

وهاجمت مجلة الأمل أيضًا وزارة المعارف لتعيينها سويديات فى مناصب التفتيش على اللغة الفرنسية والإنجليزية، وكان ذلك فى سلسلة مقالات تناولت فيها مدارس تعليم البنات فى مصر، وكيف أن الوزارة تعمل على عدم استقرار الحياة العلمية فى هذه المدارس وذلك لنقلها المدرسات من مدارسهن إلى مدارس أخرى كل ثلاثة شهور. وتقول بالنسبة لتعيين مفتشة سويدية:

«وأغرب ما حدث من ذلك القبيل تعيين مفتشة سويدية بمرتب ضخم ، لتقوم بالتفتيش على اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وهى لا تحسن التفاهم بالأولى، ولا تنطق الثانية، فهل انعدمت الكفايات فى الإنجليزيات والفرنسيات كما انعدمت فى المصريات فلم تجد وزارة المعارف من تشهد لهن بالكفاية إلا فى بلاد السويد»؟

ثم تضيف ساخرة: إن السويدات لا يتفوقن إلا ببهاء الطلعة، وهى بعد مدة ثلاثة شهور سوف تؤهلهن للتفتيش على اللغة العربية»(٣٥).

وأكتفى بهذه الأمثلة على ما قدمته مجلة الأمل فى إيقاظ الوعى النسائى بمصر خاصة وأنها أفسحت مجال النشر فيه لبعض النساء اللاتى كتبن فى السياسة مثل عائشة صالح التى أيدت حزب الوفد ودافعت عنها وهاجمت خصوم الوفد ومبادئهم السياسية وفاطمة فهمى ناظرة معلمات بلبيس ونعيمة محمود، وفاطمة حسنين، ورتيبة قمر وهن من المدرسات بمدارس البنات، وكتبن عن انطباعتهن تجاه تعليم البنات وتربيتهن.

بعد ذلك لم يبق لدينا من الصحافة النسائية التى أثرت فى وضع المرأة على أرض مصر إلا هذه الصحف «أمهات المستقبل» لتفيدة علاَّم و «المصرية» لهدى شعراوى و «الفتاة» لنبوية موسى و «فتاة الغد» و «بنت النيل» وأترك مجلات: المصرية والفتاة وبنت النيل وفتاة الغد، للحديث عنها فى أماكن أخرى غير هذا البحث، مثل صحافة المرأة وقضية فلسطين والجمعيات والأحزاب النسائية، إلا

أن اتجاه بعض النساء فى المجتمع المصرى بإصدار صحف تعبر عن أفكارهن وتسجل نشاطهن لهو فى حد ذاته دليل واضح على تطور الحركة النسائية من ناحية وما طرأ على عقل المرأة المصرية وشخصيتها من تغيير من ناحية أخرى.

وأنصع دليل على ما أقول هو ما فعلته الفتاة «تفيدة علام» فقد رفضت العمل بالمدارس الحكومية كمدرسة بعد تخرجها من معلمات السنية، وعملت فى مدرسة البنات الخاصة التى أنشأتها جمعية «أمهات المستقبل» والتى كانت تفيدة عضوًا بها ثم أصبحت عضو مجلس إدارة الجمعية، وأبدت من النشاط والكفاءة ما أهلها لأن تحتل رئاسة الجمعية بعد وفاة رئيستها السابقة «حرم حسين فهمى باشا» وإدارة المدارس التابعة للجمعية إلى جانب منصبها كناظرة لمدرسة «أمهات المستقبل» ولا شك أن عمل فتاة من صميم الشعب المصرى هذا لهو جدير بالتسجيل خاصة وأن جمعية «أمهات المستقبل» أنشأتها بعض سيدات البيت المالك السابق، ولم يكن بها من عامة الشعب إلا تفيدة التى تمكنت من أن تستحوذ على ثقة المسئولين بالجمعية ككفاءة علمية وكفاءة إدارية فى آن واحد ومجلة أمهات المستقبل التى صدرت بمصر سنة ١٩٢٠ وعاشت إلى سنة ١٩٣٢ تسجل لنا قصة جمعية «أمهات المستقبل» ثم «جمعية الشابات المصريات» كما حفظت لنا أسماء الأعضاء بها وأهدافها وقد رأست تفيده علام تحرير مجلة أمهات المستقبل وامتلكت حق امتيازها وقالت عنها إنها لسان حال «الشابات المصريات» وهى الجمعية التى أنشأتها تفيدة علام وتضمن برنامجها أهدافًا تقدمية إذا قيست بغيرها من الجمعيات السابقة عليها.

وقد ذكرت تفيدة فى مقدمة العدد الأول من مجلة أمهات المستقبل أنها تنشئ المجلة بعد أن: «أيقظت صيحة قاسم أمين المدوية أناسًا شل الرقاد جنوبهم وعقد الخمول أفئدتهم ، فشاركوا أهل الكهف نومة طويلة» وتضيف بأن المرأة يجب عليها أن تكافح من أجل تحرير نفسها بكسر القيود التى و ضعت حولها وخضعت لها راضية، وقالت: «إنها لا تلوم الرجل على ذلك لأنه لم يلوث بدم هذه الفريسة المعذبة، فبرجليها دخلت سجنها المظلم وعلى رجليها تود أن تخرج منه لتستأنف

المكاتبات
تفيده علام
شارع جزيرة بدران رقم ٤١

أمهات المستقبل

البلة
لسان حال جمعية
امهات المستقبل والشابات
المصريات تليفون ٥٢٥٦٧

(العدد ٢٢) اول سبتمبر سنة ١٩٣٢ (المجلد الثالث)

تفيده علام تتصدر غلاف أحد أعداد مجلتها

الشباب والحياة والجهاد». ويختتم قولها بأنها: «تلقى تبعة هذا الضعف على عاتق هذه التى استكانت للذل واستعذبت للعبودية»[٣٦].

ومعنى ذلك أن مجلة أمهات المستقبل تقدم لنا نموذجًا جديدًا للفتاة المصرية الطموحة فقد حملت على حزب الوفد حملة شعواء وانضمت إلى خصومه ومن ثم أبدت الحكومة المعادية للوفد ، والتى كانت فى الحكم سنة ١٩٣٠، وهى حكومة إسماعيل صدقى.

وإلى جانب ذلك أتت بأمثلة من كفاح نساء العالم من أجل الحصول على حقوقها لذا أتت المجلة بنبذة عن تاريخ كفاح نساء العالم مثل الإنجليزية «ولستون كرافت» التى وضعت كتابًا عن «حقوق المرأة» وقد «عرضها هذا، لألوان من التعذيب و الاضطهاد»، كما ذكرت ما نادى به الفيلسوف الأمريكى «جون استيورات مل» سنة ١٨٦٩ بوجوب إعطاء النساء حقوقهن والعمل على تحريرهن. وكتبت مقالا عن «امرأة متممة للرجل» قالت فيه:

«المرأة نصف الشعب، هذا قول حق لا شك فيه، ومتى كانت المرأة عاملة مع الرجل كان الشعب كله عاملا، وتنحى المرأة جانبًا عن مساعدة الرجل معناه فقدان نصف قوة الأمة، وقد جاء الوقت الذى يتحتم علينا أن ننتفع فيه بهذه الكمية التى طالما أهملناها من قبل، والتى كان الشعب لا ينتفع بها بتاتًا ومما يترفع عن الجدال والشك أن وظيفة المرأة إذا فقدت كل وظيفة من وظائفها هى الأمومة».

وتختتم مقالها بأنه «لا غرو أن ننادى دائمًا بوجوبَ العناية بشأن المرأة والاهتمام بأمرها»[٣٧].

ومهما يكن من شىء فإن ظهور الصحافة النسائية فى حد ذاته يعد من أبرز مظاهر التطور الذى اعترى الفكر النسائى فى مصر وخرج به عن سابق عهده حيث كان منصبًا على التفكير فى أمور أنثوية فقط إلى التفكير فى أمور عامة تمس القضايا الوطنية بأبعادها المختلفة، كما أن تناول هذه الصحافة للقضايا النسائية المعاصرة لكل منها وإفساح صفحاته للمؤيدين لإنجاح هذه القضايا، أو

للمعارضين لها أضاء الطريق أمام المرأة وبيَّن لها سبل النجاح وأمدها بقوة تحدت بها الواقفين فى سبيلها وقضت على كثير من العقبات.

ومن ثم أعطت الشجاعة للمرأة لأن تطالب بحقوق لم تكن تفكر فيها من قبل، مثل حق التصويت والتمثيل فى المجالس النيابية، والقضاء عل تعدد الزوجات وبيت الطاعة والحد من الطلاق، واعتلاء الوظائف العامة الصغرى منها والكبرى وما كان هذا يخطر ببال الرواد الأوائل للحركة النسائية فى القرن الماضى، وما كان هذا الحديث أيضًا لولا الصحافة النسائية التى نجحت فى التعبير عن الحركة النسائية منذ فجرها، وظلت تلازمها على مدى الأعوام ولم تخل منها الحياة المصرية لحسن الحظ، بل كانت دائمًا تسلم الصحيفة النسائية المصباح قبل احتجاجها عن الصدور إلى أختها حديثة العهد بالحياة الصحفية فى البلاد، كما كانت ميدانًا فسيحًا لتدريب بعض عناصر الحركة النسائية فى مصر وصقلها، وما كان هذا متاحًا للمرأة المصرية فى مجالات غير مجال الصحافة النسائية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك لبيبة هاشم ولبيبة أحمد ونبوية موسى وعائشة عبدالرحمن ، وكانت العاملات فى ميدان هذه الصحافة أمثلة حية ومشرفة للناشئات من بنات مصر، واللائى يردن المساهمة فى الحركة النسائية الجادة النافعة التى تتطلع إليها بلادنا اليوم.

هوامش الفصل الثالث

(١) هند نوفل ـ الفتاة ـ افتتاحية العدد الأول ـ السنة الأولى – ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٢.

(٢) راجع ذلك فى مجلة الفتاة، السنة الأولى ص ٢٦٠ سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣.

(٣) المرجع السابق العدد ٦ ص ٣٦٥ وأعتقد أن (س ن) هو عم هند الصحفى سليم نوفل؛ لأن كثيرًا من الرجال الذين كانوا يكتبون فى الصحف النسائية ينتحلون أسماء نسائية حتى يقرأ لهم.

(٤) راجع فى ذلك أنيس الجليس سنة ١٩٠٠.

(٥) المرجع السابق العدد ٤ سنة ١٩٠٠ ص ١٠٦.

(٦) المرجع السابق العدد ٧ سنة ١٩٠٠ ص ٢٢٨.

(٧) راجع شعار مجلة السيدات، منذ بدايتها سنة ١٩٠٣ حتى نوفمبر سنة ١٩٢٢.

(٨) راجع كتاب مجلة السيدات، السنة الخامسة سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٤ بعددها السابع ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٩) راجع مجلة السيدات، السنة الخامسة سنة ١٩٢٣، ١٩٢٤ بعددها السابع ص ٤٢٢ و٤٢٣ سنة ١٩٢٤.

(١٠) فتاة الشرق، العدد الأول، السنة السابعة ص ٦.

(١١) راجع فى ذلك فتاة الشرق، فبراير سنة ١٩١١.

(١٢) راجع فتاة الشرق العدد الأول والثانى السنة ١٧ أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٢١.

(١٣) راجع مقال «سفيرات السفور بدمشق» فتاة الشرق، العدد الأول السنة ٢٢ ص ٣٧ سنة ١٩٢٨.

(١٤) راجع فتاة الشرق ـ العدد الثالث السنة ٣٤ ص ١٦١ سنة ١٩٣٩.

(١٥) لبيبة هاشم ـ فتاة الشرق ـ مقدمة العدد الأول ـ السنة الأولى سنة ١٩٠٦.

(١٦) جميلة حافظ ـ الريحانة ـ مقدمة العدد الأول مارس سنة ١٩٠٨.

(١٧) فاطمة نعمت راشد ـ ترقية المرأة ـ السنة الأولى ـ ص ١٩٤ سنة ١٩٠٨.

(١٨) المرجع السابق مقدمة العدد الأول والأعداد التالية ١٩٠٨.

(١٩) راجع فى ذلك مقدمة العدد الأول من مجلة الجنس اللطيف سنة ١٩٠٨.

(٢٠) لطفى المنفلوطى نقلا عن المؤيد الجنس اللطيف العدد رقم ٤ السنة الثانية ص ٩٧.

(٢١) الجنس اللطيف العدد الأول السنة الثامنة ص ١٢ أبريل سنة ١٩١٦.

(٢٢) انظر فى ذلك المرأة المصرية مقدمة العدد الأول السنة الأولى يناير سنة ١٩٢٠.

(٢٣) المرأة المصرية العدد الأول السنة الخامسة ص ٢ ـ ١٥ يناير ١٩٢٤

(٢٤) فاطمة حسن ـ المرأة المصرية العدد الخامس السنة الثانية ص ١٨٦ سنة ١٩٢١.

(٢٥) المرأة المصرية العدد الخامس السنة الرابعة ص ٢٤٣ سنة ١٩٢٣.

(٢٦) من حديث مع بعض طالبات مدارس البنات ١٩١٩ وبعض ربات البيوت القاهريات وظللن على قيد الحياة حتى اليوم، ومع كريمتها السيدة زينب عبده.

(٢٧) د. نصر فريد ـ النهضة النسائية العدد ٥ السنة الرابعة ص ١٧٠ أبريل سنة ١٩٢٦.

(٢٨) النهضة النسائية ـ العدد ٢ ـ السنة الرابعة ص ١٣٥ سنة ١٩٢٦.

(٢٩) سنية حسن سرور ـ النهضة النسائية العدد ٤ السنة الرابعة ص ١١٨ سنة ١٩٢٦.

(٣٠) بعد الحرب العالمية الأولى ونزوح أغلب قوات الحلفاء من مصر انتشرت المغامرات من الأوروبيات واللائى كن يقمن بالترفيه عن الجنود فى المجتمع المصرى ويمارسن حرفًا غير شريفة، مما دعا المجلة لتطالب بتطهير المجتمع منهن.

(٣١) الأمل ـ مقدمة العدد الأول ـ نوفمبر سنة ١٩٢٥.

(٣٢) فردوس الجراحى ـ الأمل العدد ٤٢ ـ السنة الأولى ص ٩.

(٣٣) راجع فى ذلك مجلة الأمل العدد ٤٧ السنة الأولى ص ٨.

(٣٤) راجع فى ذلك مجلة النهضة النسائية فى سنتها الرابعة سنة ١٩٢٦ إذ ضمت مقالات لكامل البنا شديدة اللهجة ضد منيرة ثابت.

(٣٥) راجع فى ذلك الأمل العدد الرابع السنة الأولى ص ١٤.

(٣٦) تفيدة علام ـ فتاة المستقبل العدد الأول السنة الأولى يناير ١٩٣٠.

(٣٧) تفيدة علام ـ المرجع السابق ص ١٤.

الفصل الرابع

أثر الحركة النسائية فى المجتمع المصرى

عاش المجتمع المصرى مدة طويلة يؤمن بقيم وتقاليد موروثة عن الحضارات المختلفة لبعض الدول التى ألقت بظلها الثقيل على أرض مصر فى شكل موجات للاحتلال، منذ الاحتلال الرومانى سنة ٣٣٢ ق.م. حتى نهاية الاحتلال التركى فعليًا لمصر وبداية عصر النهضة، وقد ظهر هذا بوضوح فى المجال الاجتماعى فى أواخر القرن الماضى عندما خرجت للحياة أصوات تنادى بإنصاف المرأة، ومنحها حقها فى الحياة إلى جانب واجباتها تجاه هذه الحياة.

ولقد عبر بعض الكتاب الأجانب عن رأيهم فى وضع المرأة عندنا إذ كتب القاضى الفرنسى بالمحاكم المختلطة المصرية «دار كور» كتابًا عن المجتمع المصرى، وأرجع سر تأخره إلى قبوع المرأة خلف قضبان الحريم وما تعانيه من قيود الحجاب، ورد عليه الغيورون على المجتمع أمثال «قاسم أمين» وقال: إن حجاب المرأة لا يعوق تقدمها، بل هو رمز لطهارتها وعفتها، وأن المرأة المصرية سعيدة كل السعادة بوضعها الحالى وقتئذ، وأن نساء مصر لو خلعن الحجاب، سينحط المجتمع ويهبط إلى الهاوية، وقرأت هذا القول الأميرة نازلى فاضل، وغضبت أشد الغضب من قاسم أمين لتجنيه على المرأة ووقوفه فى وجه تقدمها، وطلبت من محمد عبده أن يبلغ ذلك لصديقه قاسم أمين، وكانت القصة المعروفة بعد ذلك، والتى ذكرتها منذ قليل، وتزعم أنصار حرية المرأة وأخذ يهاجم معارضى هذه الحرية، وعلى رأسهم طلعت حرب.

ولكى ندرك ما قدمته الحركة النسوية للمجتمع المصرى، نذكر هنا قصة الفتاة المصرية منذ ولادتها حتى لحدها، وكيف كان المجتمع يستقبلها على غير رغبة

منه، فهى تولد فى الأسرة، فتخيم على سماء هذه الأسرة سحابة كثيفة من حزن وكآبة وينسب إلى يوم ولادتها كل الشؤم الذى يواجه أى إنسان يمت للأسرة بصلة.

والعكس صحيح مع مولد الولد، فإنه عندما يخرج إلى الحياة يعم المنزل موجة من الفرح والسرور، وترتفع الزغاريد فى سماء المنزل بدلاً من العويل فى حالة أخته البنت، ويسرع الوالد فيحيط الوالدة بكل عناية ورعاية، وتقام حفلات «السبوع» وتقدم «النقطة».

ويشب الولد والبنت فى منزل واحد، لكن المعاملة تختلف أشد الاختلاف، فإذا مرض الولد يستدعى الطبيب، وإذا طلب شيئًا يلبى هذا الطلب فى الحال، وإذا ارتكب ذنبًا تعاقب عليه البنت، ولا يلام هو بكلمة واحدة، لأنه يكفيه فخرًا إنه ولد!! ولقد ترتب عن هذا كله أن توارث الشعب أغانى تقولها كل أم مصرية تقريبًا لأولادها وتشيد بالولد، وتحط من قدر البنت كإنسانة مثل شقيقها، وأذكر من هذه الأغانى، الأغنية الشهيرة والتى تقولها الأم وهى تهدهد وليدها فإذا كانت أنثى تهدهدها بقسوة وحزن وهى تقول:

هو.. هو.. هو..

لما قالوا دى بنية ... هدموا الحجرة عليه
وجابوا لى البيض بقشره ... وبدال السمن ميه

أما إذا كان المولود ذكرًا فهى تهدهده بحنان ورفق، وهى تقول:

هاها.. هاها.. هاها..

لما قالوا ده ولد ... انشد ظهرى وانسند
وقلت يا خى وحبيبى ... ده أنت كل العتاد

أو: هاها.. هاها.. هاها..

لما قالوا ده غلام ... ارتفع بختي وقام
وجابوا لى البيض مقشر ... وعليه السمن عام

كما توجد أغنية أخرى تقال للأنثى، وهى تهدهد لتنام فحواها هذه الكلمات القاسية والتى تصور بحق ظلم المجتمع لإنسانة لم يكن لها يد فى أن تخرج للحياة أنثى:

يا ضربة وإن جيتيها ... على المغرب ما تخليها
وعلى التربة ونوديها ... وفى التراب ونواريها

وهى تعطى نفس المعنى الذى نهى عنه القرآن الكريم بعدم وأد الفتيات.

وهذه الأغانى الشعبية التى توارثها المجتمع العربى جيلاً بعد جيل، هى صورة حية لواقع المرأة عندنا، وكيف كان عليها أن تعيش حياتها كلها فى كفاح مرير؛ لكى تنفى عن نفسها تهمة خطيرة لم تفكر فى ارتكابها فضلاً عن وجود ضلع لها فيها ألا وهى خروجها للحياة أنثى، وما كان لها ذنب فى هذا كما لم يكن للذكر فضل فى خروجه للحياة ذكرًا.

ولقد نشرت بعض صحف القرن الماضى بعض النوادر عن هذا الموضوع ساخرة من المجتمع تجاه هذه القضية الخطيرة، فقد قالت مجلة «مرآة الحسناء» سنة ١٨٩٦ تصف استقبال المنزل المصرى، بل الشرقى لمولد الأنثى قالت: «البنت فى هذه البلاد لفظة مرادفة للمصيبة يقول الواحد للآخر: ولدت إيه امرأة صاحبنا؟ فيجيب الآخر وقد قلب شفته وكسر جفنه وهز رأسه (بنت) فيقول الأول وقد لاحت على وجهه لوائح الكدر الله يساعده». وتعلق المجلة على ذلك بأن: «كل إنسان فى حاجة لمساعدة الله، ولكن هؤلاء أكثر احتياجًا إلى تلك المساعدة؛ لأن عقلهم صغير وأجسامهم كبيرة، فالإنسان لا يمكن أن يتخلى عن البنت ولا يستغنى عنها لأن منها أمه وأخته وحبيبته وصديقته»[1].

ولجأت الصحف النسائية إلى الدفاع عن الأنثى، وأنها ليست كما يقول الشعراء فالبحترى يرثى ابنة أحد ممدوحيه من بنى حميد بقصيدة عدد فيها مساوئ وجود الإناث واقرأ هذين البيتين:

أتبكى من ليس يخطر بالسيو ... ف حشيما ولا يهز اللواء
ولعمرى وما العجز عندى إلا ... أن تبيت الرجال تبكى النساء

وابن الرومى يرثى ابنة الحسيب فيقول:

لعل الذى أعطاك ستر حياتها ... كساها من اللحد الذى هو أستر
فكم من أخ حرية قد رأيته ... بنار ذوى الأمهار يكوى ويصهر[٢]

وجاء رفاعة رافع الطهطاوى فى كتابه المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين ببيت من الشعر يعبر به عن النظرة الخاطئة إلى البنت، ويقول هذا البيت:

أبناء أبنائنا بنونا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وبعد ذلك بعدة سنوات نشرت مجلة الأمل لكاتب مقالاً يناقش فيه هذا الموضوع ووضع له هذا العنوان: «حياة المرأة فى بلادنا».

وبدأه بقوله:

«تولد الطفلة فى بلادنا فتقابل بالغم والأسى، وبنظرات تنم على فقدان الريح بعد تعب طويل وبالسحب السوداء تمر على الوجوه، تولد البنت فتجر فى أذيالها الشقاء على والدتها، ولا تفنأ هذه تسمع قارص الكلمة، وأشد الألفاظ، كأنما كان لها دخل فى الجريمة، هذا إذا لم ينته الأمر بها إلى أن يتزوج زوجها بأخرى غيرها لكى تلد له ولداً سعيداً يرث أباه، ويمنع الغريب من الاستمتاع بما له».

وأخذ يصف بعد ذلك حال الزوجة القديمة والدة البنت، وكيف أصبحت سجينة لا ترى زوجها إلا شاتماً بعد عودته من لهوه وسمره مع الخلان، وخلص إلى أن علاج هذه الحالة، هو أن تتعلم المرأة، فإن تعليمها يبدل «ظلمتكم نوراً وباطلكم حقًا، علموها لتوقف تيار ظلمكم، وأنفتكم الفارغة، وشعوركم الكاذب بسيادتكم على المرأة.. علموها تبث فى صغاركم الوطنية الصادقة، علموها ولا تخافوا من تعليمها، فهى لن تزاحمكم فى مراكزكم، بل تساعدكم فى أعمالكم وتمدكم بتلك الروح الطيبة التى تبث فيكم روح الجهاد وروح الأمل والمثابرة»[٣].

ووضع المرأة الشرقية غير العادل لفت أيضًا نظر بعض فلاسفة الغرب ومفكريه فإننا نجد مجلة الجامعة سنة ١٩٠٠ تنشر كتاب الفيلسوف الفرنسى

جول سيمون (المرأة فى القرن العشرين) حيث يصف حياة المرأة الشرقية وواقعها ويقول:

«إن النساء الشرقيات يعشن منفردات فى دائرة لا يدخلها الرجال وما هن بمسجونات، ولكن لا يخرجن من منازلهن إلا متحجبات، ولا يختلطن بالرجال فى سفر أو فى نزهة ولا يزرن إلا النساء، أما الزوج فإنه لا يرى إلا نساءه ولا يطلب منهن سوى المسرة وليس بينه وبينهن امتزاج فى العواطف والأفكار»[٤].

ومن هنا رأى بعض مفكرى الإصلاح الاجتماعى بمصر، أن حال النساء بها لابد من إصلاحه، ورأوا أن الطريق الوحيد والسليم لتحقيق ذلك، هو تعليم المرأة، وكانت القصة المثيرة التى ستمر بنا فى الأسطر القادمة، وسوف نجد كيف عاش نساء لا عمل لهن ولا فكر إلا المطالبة الجادة والملحة لتعليم المرأة، وفى مقدمة أولاء نبوية موسى بالطبع التى وهبت قلبها طوال حياتها من أجل هذا الهدف السامى ولم يقتصر كفاحها على ما كتبته فى مجلتها «الفتاة» بل إنها نادت بذلك فى البلاغ الأسبوعية» منذ سنة ١٩٢٦ ـ سنة ١٩٣٠ وفى «العفاف» سنة ١٩٢٢ دافعت عن حق النساء فى الحياة الحرة مثلها مثل الرجال وفى الأهرام فى بداية العشرينيات وفى مجلة النهضة النسائية خلال تلك الفترة أيضًا، ونأتى هنا ببعض فقرات من أحد مقالاتها فى تلك الفترة حيث قالت تحت عنوان: «تعليم البنات وعلاقته بتعليم البنين».

«يدور بحثى فى موضوعى هذا على نقطة واحدة، هى، أن المرأة شقيقة الرجال فما يفيد فى تهذيب عقله وتثقيفه ينفع فى تربيتها، وتوسيع مداركها، ولا تختلف عنه فى احتياجها إلى التربية والتعليم إلا بمقدار ما تختلف عنه فى احتياجها إلى ما يختلف المعلم فى تربيته عن الطبيب والمهندس والقاضى مع اختلاف عمل كل منهم عن غيره اختلافًا عظيمًا، وما الأم إلا المعلم الأول لأطفالهم والمدير المدبر لحركة الأسرة بتمامها، لهذا أبحث فى موضوعى هذا عن أدوار التعليم وفى أى دور منها يجب أن يتفق الجنسان ومتى يجب أن يتخصص كل شخص لعمله».

ثم قسمت التعليم إلى دورين «الأول يعنى فيه بتهذيب العقل وتثقيفه تثقيفًا عامًا أو إعداده لفهم المسائل المختلفة على الوجه الصحيح ليستطيع الناشئ فهم ما يحيط بالعمل الذى يتخصص له فى مستقبل حياته».

وبينت أن الطالب يتعلم فى الدور الثانى علم المهنة التى يريد لنفسه العمل بها وأن هذا الدور لا يمكن أن يأتى بنتيجة إلا إذا سبقته القاعدة الثقافية التى يشكلها الدور الأول، وهى عبارة عن فترة الدراسة الابتدائية والثانوية فى تلك الأيام، ولذلك «حتموا على الطبيب قبل أن يتعلم الطب أن يعرف قسطًا وافرًا من قواعد اللغات وآدابها، كما يتعلم مبادئ كثير من العلوم كالتاريخ والجغرافيا مثلاً، وليس بين هذه العلوم وعلم الطب علاقة مباشرة فلا ينتظر من الطبيب أن يصرف أمام مريضه فعلاً ليصرف عنه العلة، ولا أن يطربه بملح أدباء الشرق ولطائف شعراء الغرب ليزول مرضه، ولكن يتعلم الطبيب كل ذلك لتقوى مداركه ويستطيع فهم مهنته التى يزاولها، وبهذا يصبح رئيسًا للمرضى الذى قضى حياته بين الأدوية والأدواء وهو فضلاً عن هذا يعرف القراءة والكتابة وربما تطفل على بعض كتب الطب أو لكن إهمال تربيته فى الدور الأول من التعليم يعوقه عن أن يكون طبيبًا نافعًا».

ونستخلص من هذه المقدمة الطويلة بأن الفتاة، وهى صانعة النشء لابد من أن تمر بالدور الأول من التعليم حتى إذا كانت مهمتها الوحيدة فى الحياة هى رياسة المنزل وتربية الأطفال.

وذلك لأن: «علماء الأمم وعقلاء ها اتفقوا على أن عمل المرأة أهم فى نتيجته من عمل المعلم والطبيب والقاضى وناظر المدرسة ولقد أعجبنى من سيدة إنجليزية قولها فى مؤتمر الاتحاد النسائى فى روما سنة ١٩٢٣ لحى الله هؤلاء الرجال يهتمون بتربية من ينتج لهم القطن والفول ويربى البهائم، بل ومن يصنع لهم الأحذية، ولا يهتمون بتربية من يصنع لهم الرجال، وهى المرأة التى يترتب على إنتاجها وتربيتها لمن أنتجتهم ارتقاء الأمم أو انحطاطها».

وتضيف بأنها تطالب «بمساواة الفتاة بالفتى فى الدور الأول من التعليم... ولدينا الآن من البراهين العملية على صحة هذه النظرية مما لا يقبل الشك، فإن ربات المنازل اللاتى قصرهن أولياء أمورهن على مباشرة أعمالها بعد معرفة القراءة والكتابة، قد برهن على عجزهن عن فهم ما يعرض لهن من مختلف الأمور وعدم سرعة خاطرهن فى انتهاز الفرص التى تمربهن دون أن يستفدن من مرورها».

ثم قصت هذه القصة وهى أن قريبًا لها تزوج من فتاة ربت تربية منزلية «فهى تحسن الطهى والكى والغسل وكل ما يعمل فى المنازل، فكنت أتوق إلى معرفتها عن قرب بها إلى أن دعا زوجها أخى إلى تناول الغذاء عنده ودعانى معه، فلما وصلنا إلى المنزل تركت أخى مع ذلك القريب فى محل الرجال وصعدت إلى السيدة، ولما دخلت غرفة استقبالها هالنى ما رأيت فيها فقد رأيت ملابس طفلها الصغير القذرة ملقاة على مقاعد تلك الغرفة حتى لا يكاد يخلو منها مقعد، وسألت الخادمة عن السيدة فقالت إنها تكوى بعض الملابس ثم جاءت بعد قليل، وجلسنا نتحدث تارة وتنظر إحدانا إلى صاحبتها تارة أخرى إلى الساعة الثانية بعد الظهر، وقد ألمنى الجوع ومللت انتظار الطعام والسيدة لا تحرك ساكنًا، إلى أن جاء زوجها وسألها مندهشًا عن هذا التأخير فقالت إن الطاهى قد انتهى من الطعام منذ مدة والطعام فى انتظار الآكلين وقد برد، فكدت أصعق لعقلية مدبرة ذلك المنزل، ولا غرابة فقد تعلمت الطهى والكى وظل عقلها قاصرًا، فلم تستطع إدارة منزلها إدارة حكيمة نافعة والمنزل فى حاجة إلى مدبرة حكيمة منه إلى خادمة تتقن أعمالها الآلية».

وتستطرد إلى ذلك شارحة رأيها فى وجوب العمل على إيجاد الزوجة الصديقة والشريكة الفكرية للرجل فتقول بأن: «اختلاف الفتاة عن الفتى فى المعارف العامة، قد فرق بين روحى الزوجين فزال الائتلاف الذى كان يربط الرجل بامرأته أيام أن كانا فى مستوى واحد من الجهل، وفسدت العلاقة الزوجية منذ أخذ أولو الأمر يعلمون الفتى فى كليات أوروبا والفتاة فى كتاتيب مصر الصغيرة وليس من

المعقول أن يرتاح مثل هذا الفتى لمجالسة فتاة جاهلة، أو أن يسكن إليها ويستطيب البقاء معها؛ لأنها بعيدة عن روحه فلا تفهمه ولا يميل إليها، وليس لديه ما يقوله لها إلا بعض ألفاظ محصورة يجاملها بها فلا تلبث أن تفرغ فيضطر هو إلى مغادرة منزله للبحث عن نفس قريبة من نفسه». وأرجعت نبوية الفتور الذى ينشأ بينهما وهو ما بئن منه مجتمعنا المصرى، وما هو يحادث فى المجتمعات الأخرى ومن ثم «ساءت أحوال كثير من الأسر المصرية لعدم تعاون الزوجين على إسعادها، فلم تستطع السير فى طريقها إلى الأمام، ولا عجب فحال الأسرة المصرية كالرجل الذى طالت إحدى ساقيه وقصرت الأخرى فهو يسير فى طريقه مثقل الخطى» ومن أجل ذلك طالبت نبوية موسى بالمساواة التامة بين الجنسين فى التعليم بمراحله الأولى والابتدائى والثانوى فى جميع المواد ما عدا الأعمال اليدوية، فلا بأس من اختلافهما فيها وأن يخصص كل منهما لعمله فى التعليم العالى «وهذا ما فعلته الأمم الأخرى التى اهتمت بمساواة النساء بالرجال فى التعليم وقد ظهر من بين نسائها أفضل الأمهات، ولم تعقهن مساواتهن للرجال فى التعليم عن إصلاح حالة الأمومة وتدبير المنازل تدبيرًا حكيمًا، بل كان هذا التعليم سببًا لسبقهن باقى النساء فى هذا، فلم نجهد أنفسنا الآن فى استنباط أنجع الطرق فى تعليم الفتاة. بعد أن استنبطه غيرنا من الأمم منذ أكثر من قرن، فقد مر هذا الدور من التردد والغموض بجميع الأمم الأخرى، ومازالت حتى أقنعها البرهان العملى بفساد ما كانت تتوهمه» وأرجعت تقدم دول الغرب وحكمها للآخرين لسماحها للمرأة لأن تأخذ نصيبها من التعليم أسوة بالرجل، وطالبت نبوية موسى المسئولين بمصر بأن يأخذوا درسًا من إنجلترا وأن يسرعوا بتقدم البلاد وذلك بالسماح للفتاة بأن تتلقى نفس تعليم الفتى[٥].

ولقد ترتب عن تفاوت نسبة التعليم بين الرجل والمرأة أن لجأ بعض شباب مصر إلى الزواج من أجنبيات، لأنه كما قالت نبوية موسى، إن الولد سبق أخته فى طريق التعليم، ومن ثم انفصل عنها فكريًا، كما كان لظهور المسارح بمصر ودعوة الرجال وزوجاتهم إلى حفلاتها أسوة بالأجانب، أثر فى اتجاه بعض الشبان إلى الزواج بالأجنبيات ـ كما ذكرت ـ وترتب عن هذا قضية نسائية واجهها

مجتمعنا وهى إهمال الفتاة المصرية من الفتى المصرى المثقف ودخول عناصر نسائية أوروبية إلى المجتمع بتقاليد أجنبية غريبة وبعيدة عن قيم مجتمعنا وعاداته وعرفه وتقاليده.

وحملت لواء هذه القضية «لبيبة أحمد» إذ حاربت الزواج من أجنبيات فى عدة مقالات افتتاحية بمجلتها النهضة النسائية فهى تكتب فى أحدها بأن هذا الزواج «بدعة جديدة لو استمر مرضها يعمل فينا فسوف تنتشر فى جميع الطبقات وهذا سوف يذهب بالعادات الموروثة والقومية المصرية» وتضيف بأن: «الذين يذهبون لتلقى العلم أو للنزهة فى أوروبا ويتزوجون من الأوروبيات إنما يعلنون بأن المرأة المصرية متوحشة، لا تصلح لهم زوجة بعد أن تعلموا وأصبحت المرأة المصرية لا تصلح أن تكون أمًا لجهلها». وترجع جهل نساء مصر إلى رجالها فتقول: «هم الذين جنوا عليها، وهم الذين ساعدوا على تأخرها وهم الذين سكتوا طويلاً ولم ترتفع أصواتهم مطالبين الحكومة أن تعلم البنت التعليم الذى يؤهلها أن تكون عالمة محيطة بكل أحوال الزوجة وتربية الطفل وإدارة الشئون المنزلية أو معرفة قواعد الدين حتى يطمئن لها القلوب الواجفة»[٦].

وقد ترتب على احتكاك المرأة المصرية بالمرأة الأوروبية عدة قضايا اجتماعية غيرت من وضع المرأة فى المجتمع المصرى ومكانتها فى تاريخ الحريم وعصر الحجاب بمصر فقد أدى خروجها إلى التعليم وتقليدها الأوروبيات إلى التحرر من الحجاب وقامت ضجة كبرى فى هذه البلاد شغلت بها الهيئات والطبقات المصرية المختلفة وكان لها أنصار ومعارضون، وخرجت صحف من أجل الدفاع عن الحجاب أو للهجوم عليه وظلت هذه القضية تشغل بال الرأى العام المصرى سنوات طوال لدرجة جعلت بعض المفكرين[٧] يطلقون عليها معركة السفور، وكان بدايتها صيحة قاسم أمين لتحرير المرأة من قيود الجهل وبالى التقاليد وطالب بأن تتحرر المرأة طبقًا لتعاليم العقيدة الإسلامية وشريعتها ومن هذه الشرائع أن تسفر المرأة عن وجهها، وهاجمه الناس وفى مقدمتهم طلعت حرب. ودافع عن السفور بعد قاسم أمين لطفى السيد وهو من صالون نازلى الأدبى وساعدت على ذلك صحيفته الجريدة ثم زادت حدة هذه القضية عندما أنشئ قسم ليلى فى

الجامعة الأهلية تلقى فيه المحاضرات الأدبية والثقافية على النساء وكان عليهن أن يخرجن من منازلهن لسماع المحاضرات وبالرغم من أن أغلب تلك المحاضرات كانت تلقيها نساء، فقد تجمع الرجال أمام دار الجامعة - وهى مكان الجامعة الأمريكية الآن - للتعرض للنساء ومنعهن من الحضور؛ لأن ذلك سيؤدى لخروجهن على الآداب ويرفع عنهن صفة العفاف التى تتحلى بها كل قابعة بالمنزل.

والغريب أن خروج المرأة لسماع هذه المحاضرات تمخضت عنها قضية غريبة من قضايا السفور فقد أرسل سكرتير الجامعة الأهلية حينذاك سنة ١٩١١ الأستاذ عبد العزيز فهمى (باشا) خطابات إلى نساء الطبقة الواعية يدعوهن للحضور، وعلم بذلك بعض الغيورين على الأخلاق العامة أمثال حسن جمجوم وعدوا وجود أسماء نسائية على أظرف الخطابات ويراها رجل البريد، معناه العار والفضائح الكبرى والتى لا يمحوها إلا الدم فأرسلوا خطابات تهديد بالقتل لعبد العزيز فهمى ليقلع عن هذا العمل المشين وتعرض شخصيًا لصنوف متعددة من الاضطهاد والشتائم وظهرت آثار هذه الحملة الشاذة على صفحات الجرائد، ومن يراجع صحيفة الأهرام خلال سنة ١٩١٢وسنة ١٩١٣ يرى عجبًا من هجوم الرجال ودفاع النساء اللائى لم يكن لديهن الجرأة ليعلن عن أسمائهن.. وقد استشهدت بعض نساء ذاك العصر بما كان يحدث للنساء فى صدر الإسلام من خروجهن للاجتماعات العلمية والدينية ليتفقهن فيما ما يسمعنه مما أدى إلى ظهور طبقة من العالمات والفقيهات من نساء المسلمين.

ونترك قضية سفور أسماء النساء إلى قضية سفور وجه المرأة، إذ كتب سليمان السليمى وهو الذى أصدر صحيفة العفاف سنة ١٩١١ ليمنع سفور المرأة وخروجها للعلم أو لأى سبب من الأسباب وفى مقدمة العدد الأول من السنة الرابعة يعدد أهدافه من إصدار صحيفته كالآتى:

أولاً:

إعطاء المرأة المصرية كافة حقوقها الشرعية واعتبارها ذات مركز فى المجتمع الإنسانى يعادل مركز الرجل.

ثانيًا:

محاربة السفور والاختلاط بشدة لما فيهما من الأضرار بوظيفة المرأة وشرفها.

ثالثًا:

بما أن المرأة من يوم أن تولد حتى تلحد تنتقل من رعاية رجل إلى رعاية آخر وبما أن الرجال قوامون على النساء شرعًا، فالذنب كله يقع على الرجل إذا فسدت المرأة فهو وحده المسئول عن كل الشرور التى اندلع لهيبها فى المدن وتطاير شررها إلى القرى». وكان قد أتى بمقال سبق هذه المواد قال فيه: إن صحيفته تعود بعد احتجاب لتكون حربًا على المنكرات وسلاحًا ماضيًا على رقاب المحرمات وسهمًا مسددًا إلى أحشاء الموبقات، ينصح الجنسين ويهدى الزوجين، ويدفع عن المرأة أذى الرجل و... ويصور لها جمال خدرها وضرورة القرار فيه ويستظهر الخلاعة وما وراءها والتبرج وما يجره من سوء إلا حدوثة وباهظ النفقات[٨].

وعالج قضية السفور فى مقال بعنوان (مكانكم يا غربان السفور) فى مقال وبدأه بقوله: «عاد السفوريون إلى المنعيب فى جو مصر الاجتماعى وقد يوجد من تشجيه هذه الأصوات المنكرة وإن كانت لا تزال نذير السوء ورسول الخراب والدمار. إن للحجاب أنصارًا وللسفور أنصارًا. هؤلاء الآباء والأزواج المسئولون عن نظام العائلات». ويستطرد فيرجع هذا البلاء فى نظره إلى: «بعض شبابنا الناهض من ذهب إلى أوروبا فمنهم من عصم ربك فنظروا إلى الحالة هناك نظرة دقيقة بعيدة استبانوا بها ما وراء ذاك الزخرف المموه من الأضرار الاجتماعية فجاءوا مؤيدين لديهم ثابتين على يقينهم ومنهم من خلبته البوارق وحكمته عاطفته دون عقله فهام فى المجتمعات والمراقص ورأى فى هذا كمال الرقى الإنسانى».. إلى أن يقول: «وفى كل مكان أباح له دين السفور مجالستهن ومعاشرتهن فلما هبطوا مصر وفى أذهانهن تلك الحياة المزوقة التى نعموا بها هناك.. ورأوا البحر المتوسط بفصله القارتين قد فصلهم عن ميولهم أظلمت المرأة أمام أنظارهم ونسوا أنهم اغتربوا عن وطنهم لينقلوا إليه العلم والنور لا المفاسد والفجور».

وعاب عليهم تنكرهم لآبائهم وأمهاتهم ولوطنهم وعملهم على هدم القيم، ولما فشلوا فى تحقيق غرضهم بسفور النساء «انقبضت نفوسهم» خاصة وأن السليمى قاومهم حتى اختفوا «بيد أنهم اليوم أطمعتهم نهضة السيدات الحديثة فى الظهور ثم يخاطبهم بقوله: «أيها القوم مكانكم أن السفور لا تلتهب فى هذا البلد تارة ويتغلغل فى أحشائه عاره إلا إذا أمكنكم ردم هذا البحر العظيم القائم بيننا وبين أوروبا». وفى ختام مقاله يحلل الجو النسائى فى مصر خلال ١٩٢٢ فيقول «المرأة المصرية واقفة الآن أمام أحزاب ثلاثة الأول حزب المحافظين الذين يريدون بالمرأة أن تقف أمامهم كما كانت فى العصور السالفة كمية مهملة محرومة من كل أنواع الحرية وأن تدفن فى منزلها حية وتعيش عيشة الأسير المقيد ليس لها من الأمر شىء حتى أمر نفسها وألا تتذوق للعلم طعمًا.

أما الحزب الثانى.. فهو «حزب السفور الذى جاء يعارض الأول على خط مستقيم فهو يعطى المرأة من الحقوق والحرية ما للرجل تمامًا مع أن الله سبحانه وتعالى قال الرجال قوامون على النساء فلها أن تبرز سافرة كنساء الفرنجة ولها أن تخالط الرجال وتغامر فى الحياة مغامرة الرجال» ثم جاء بالحزب الثالث وهو حزبه الذى يتوسط الحزبين السابقين فهو يمنع المرأة من الخروج من منزلها ويعارض سفورها، ولكنه يترك لها حرية الزواج بدون إرغام(٩).

ولم يكتف سليمان السليمى بقلمه فى التعبير عن رأيه فى تطور المرأة، بل ترك صفحات جريدته لبعض الشباب يعبرون عن رأيهم فى المرأة أيضًا فنحن نقرأ مقالاً بعنوان «فتاة اليوم» يقول فيه بأن: «المرأة اليوم أصبحت لا تصلح لشىء وعبثًا يحاول الناس أن يقنعونى بصلاحيتها اليوم حتى فى ميدان الزواج.. فتاة اليوم مملوءة بالخيلاء مملوءة بالرعونة وأنك لواجد من فتاة اليوم واستهتارها بالحياة وتلاعبها ما يدعوك إلى الشك فى أمرها والريبة فى عقلها فتظنها مجنونة أو مدعية الجنون»(١٠).

واشترك فى معركة السفور كثيرون غير السليمى وصحيفته فقد كتب كثيرون يهاجمون الأزياء النسائية فى ذلك الوقت لأنه: «لا يليق بأى حال أن ترتدى السيدة ثوبًا شفافًا ينم عما تحته من أعضاء الجسم أو تلبس الياسًا من لون مغاير

(العدد ١١) (السنة الثانية)

العفاف

جريدة أدبية أخلاقية اجتماعية نسائية

تصدر كل أسبوع مرة

المراسلات والمكاتبات

تكون باسم صاحب الجريدة

وعنوانها المشهور

سليمان أحمد سليمان السليمى

بساحل سليم

اشتراكات

عن سنة

١٠٠ قرش الديوان

لا تعاد المراسلات ولو لم تنشر ولا ترسل الجريدة إلا لمن يدفع الاشتراك مقدمًا

مصر فى يوم الجمعة ١١ ربيع الثانى سنة ١٣٤١ — ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢

مكانكم يا غربان السفور

ويشبه الكاتب شقاء الجنس البشرى الى شقاء المدينة لأنها أخوت قدم القديم مرة فلسفا لا يتسبون الآن هذا الشقاء الى ادم الجديد وهو ينوى حواء الجديدة كل يوم ألف مرة؟؟

[illegible]

هذا السفوريون الى التعب فى جو مصر الاجتماعى [illegible] من تشبيه هذه الأصوات المنكرة والى كانت [illegible] ورسول الحجاب والحشمة

ان للحجاب أنصارا وللسفور أنصارا

أولئك هم الآباء والأزواج المسئولون من تخلد العائلات [illegible] روح الحكمة العالية التى وجهها الى أمته النبى الأمين صلى الله عليه وسلم (التى خير وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب) وهؤلاء هم من التشبيب الذى نعم فى أوروبا فعاد الى بلاده حيات نفسى

كثير من شبابنا الناهض من ذهب الى أوروبا فتهم من عصم ربك فنظروا الى المخالطات نظرة تحقيقة بعيدة تستبقوا بها ما وراء ذلك الزخرف فلم يروه من الأسرار الاجتماعية فأخذوا مؤمنين لدينهم [illegible] على يقينهم ومنهم من خلبته البوارق وحكته عاطفته دون عقله فباع فى ٣ سنوات وتراخص ورأى فى هذا كل الرقى الانسانى والتمدن الرحيب [illegible] خشب يبهرق جو من الفاتنة فسيح [illegible] بخ على كل شجرة، ويرشف من كل زهرة فى القاهرة والملكات، فى المنازل والطرقات، وفى كل مكان بعد سيدات أبى له دين السفور جالسين ومسايرين ومسافرين فى [illegible] مصر ومن أنظمهم تلك الحياة الزوجة التى عيشوا بها هناك ورأوا [illegible] لا يبغى التوسط بخصلة الفاضلين فقد فضلهم من عدم أخذ [illegible] مقارنة نفوسهم اشتهوا هى وشبهاتها الى العلم والتمدن [illegible] وتحسبوا كل شىء الا الجمع بين الحسنيين [illegible] من سكنه مصر [illegible]

[illegible] الفتيات والمراقص فتحتال فيها شياطينهم كما شاءت وشاء لها الهوى [illegible] تقبضت نفوسهم فقاموا مبدئيا بدعوتهم صريحة وطلبوا فقط السفور حتى استشروا فقاموا من القتيل والقتيلات متاقف كل جديد، بلدته لا تألفه. فقاوموها حتى اختفوا فها بهم اليوم أطمعتهم نهضة السيدات المدينة فى الظهور

أيها القوم: مكانكم!! ان السفور لا تلتهب فى هذا البلد الأمين تارة. ويتغلغل فى أحشائه عاره الا اذا أمكنكم ردم هذا البحر العظيم القائم بيننا وبين أوروبا والا استطعتم مواجهة الحضارة بأمكنكم المنطرحة فيها أن تقفى أبصاركم على أبواب الاسكندرية أشعة القناطر

•••

المرأة المصرية واقفة الآن أمام أحزاب ثلاثة، الأول حزب المحافظين الذين يريدون بالمرأة أن تقف أمامهم كما كانت فى العصور السالفة كمية مهملة محرومة من كل أنواع الحرية. أن تدفن فى منزلها حية وتعيش عيشة الأسير المقيد ليس لها من الأمر شىء حتى أمر نفسها، وألا تتذوق للعلم طعما

والثانى حزب السفور الذى جاء يعارض الأول على خط مستقيم فهو يعطى المرأة من الحقوق والحرية ما للرجل تماما مع أن الله سبحانه وتعالى قال الرجال قوامون على النساء) فلها أن تبرز سافرة كنساء الفرنجة ولها أن تخالط الرجال وتغامر فى الحياة مغامرة الرجال

[illegible]

صحيفة العفاف تدافع عن حجاب المرأة

لذوق الناس ومشربهم وأنه إذا ذكرت المصرية وزيها الآن ذكر معها السخط والحنق فقد طرحت لباس أمها وجدتها وقلدت الغربيات، وليتها إذا عولت على المحاكاة حاكت الإنجليزية وبساطة ثوبها ودماثة أخلاقها وحذت حذو الألمانية فى رجولتها وتربية أولادها ونسجت على منوال التركية فى وطنيتها والاعتناء ببيتها وإتقان فن الطهى وتدبير شئون منزلها». ثم تترحم على أيام العرب الكرام حيث كانت المرأة والرجل صنوان لا تفضيل بينهما وكانت تقرع للرجل الحجة بالحجة... أما الآن فعلى الحشمة العفاء وعلى الوقار الرثاء، فالعوائد قد تفشت وسمومها انتشرت، ولم يقتصر الرزء على المدن لاحتوائها على الأوروبيات بل تعداها إلى الريفية فى كوخها[١١].

وفى قضية أزياء النساء أيضًا كتبت عائشة عبد الرحمن فى بداية عهدها بالكتابة عن انطباعاتها عن نساء القاهرة عندما رأتهن لأول مرة فى مقال اعترافى تخيلت فيه أنها تخاطب صديقة لها فتقول: «ستذهبين إلى القاهرة وتدخلين فى دنيا جديدة وتشعرين بحال غريبة، فتثور فى نفسك ثورات كامنة لا عهد لك بها إذ تجدين الفتيات عاريات إلا ما يستر عوراتهن وستريهن فى حالة مهيجة قبيحة يمشين كاسيات عاريات ضاحكات ساخرات، كأنهن بين جدران مخادعهن أو من وراء ستار»[١٢].

وأعتقد أن مسألة الأزياء وتبرج النساء مسألة نسبية. إذ أن نساء القاهرة حينذاك لم يكن على هذه الدرجة التى وصفتهن الدكتورة بنت الشاطئ، بل قالت ذلك لأنها كانت فى بيئة مقفلة تمامًا على النساء لا يخرجن إلا فى ملابس سوداء تخفى ما تحتها تمامًا وعندما يجن الليل فإذا بها تجد نساء سافرات يلبسن ملابس ملونة ودون ملس أو حيرة تخفيها، وفى الواقع أن هذا شىء غريب على نساء ساكنات خارج القاهرة وعقليتهن وقتذاك..

لقد أتيت بالآراء المتضاربة عن تطور المرأة فى حياتها المنزلية والمطالبة بتعليمها وكيف نظر البعض إلى تلك القضايا على أنها خطايا ترتكبها المرأة ضد الأخلاق وضد الدين وأنه لو صح ذلك لتهدمت الحياة فى مصر وانتهى أمر المجتمع.. ومع ذلك سارت الفتاة المصرية بالرغم من كل هذه المعوقات التى حاول

واضعوها إعاقة المرأة عن السير وتحقيق مطالبها ومن ثم تقدم المجتمع. وواجهت المرأة المصرية الكثير، ولكن إصرارها على تحطيم قيود سجنها مكنها من أن تنال الحرية الفردية واستقلالها الاقتصادى الذى هو أساس كل تحرر فكرى واجتماعى.

ولابد من أن نعترف هنا أن بعض الرجال وقفوا إلى جانب المرأة ودافعوا عن حقها فى الحياة وحاربوا قوانين الأحوال الشخصية التى تحط من كرامة المرأة مثل إلزامها ببيت الطاعة وترك حرية الطلاق للرجل يفعل به كيف يشاء دون نظر إلى ما يترتب عليه من أضرار جسيمة تصيب أطفاله وفى هذا الموضوع يكتب محمد صادق عبد الرحمن خطابًا مفتوحًا إلى أصحاب المعالى أعضاء الوزارة البرلمانية الاندماجية وطلب من كل وزير ما يعتقد أنه يستطيع أن يقدمه لصالح الشعب إلى أن جاء دور وزير الحقانية فقال له: «أنتم ذلكم المصلح، ارحم المرأة من ظلم الرجل الجاهل، لا تجعل الطلاق بأيدى أولئك الجهلة. أنه سلاح يستعمل فى إذلال المسكينة فكم من مسكينة ذاقت البؤس هى وأطفالها من جراء استعمال هذه الأداة» ويستمر فى وصف الآثار التى تترتب على سوء استعمال الرجل لقوانين الأحوال الشخصية ويطلب من وزير العدل وقتذاك بأن: «اجعل الطلاق بأيدى قضاة عدل لينصفوا المرأة من ظلم استعمال هذا السلاح»[١٣] والواقع أن موقف قانون الأحوال الشخصية من المرأة فى مصر يحتاج إلى إعادة النظر فيه مرة أخرى خاصة بعد أن تغير وضع المرأة فى المجتمع ولقد ظلت القيادات النسائية تطالب بتغيير هذا القانون منذ العشرينيات حتى يومنا هذا، ولكن للأسف لم تصل المرأة إلى ما تريد من عدالة تجاه قانون الأحوال الشخصية فمازال بيت الطاعة قائمًا وأن منع أخذ الزوجات إليه بقوة البوليس. كذلك قضية حضانة الأولاد وسهولة عملية الطلاق عند الرجل كل هذه القضايا تحتاج لدراسة عميقة على أسس موضوعية قائمة على العلم.

لقد كسبت المرأة المصرية بعض قضاياها تجاه قانون الأحوال الشخصية وكان لهدى شعراوى الفضل فى جعل سن الزواج للفتاة لا يقل عن السادسة عشرة والثامنة عشرة للفتى وكان ذلك سنة ١٩٢٦ ورفع سن حضانة الأم لابنتها إلى

الحادية عشرة وأمسكت أمينة السعيد الخيط من هدى شعراوى ونادت مرارًا على صفحات مجلة (حواء) بضرورة تعديل قانون الأحوال الشخصية بما يكفل إصلاح أحوال المجتمع المصرى خاصة ونحن فى هذه الحقبة الخطيرة من تاريخنا الحديث.

إن مجتمعنا المصرى لهو فى أشد الحاجة لجهود النساء فى المجالات العملية والعلمية والفكرية، ولم يكن مجتمعنا يشعر بهذه الحاجة إلا بعد أن نجح بعض نساء مصر بعملهن الدائب فى تغيير نظرة المجتمع إلى المرأة وإشعاره بحاجته إليها، فى فترة قصيرة إذا قيست بالزمن الطويل الذى عاشت خلاله دون تقدير منصف لأعمالها الإنتاجية فى بناء حضارة مصر.

ولكى تؤدى المرأة دورها فى التطور الحضارى لمصر تحتاج إلى جهود وعقول تكرس نشاطها فى مساعدتها على ذلك، فالأنثى عندما كانت ومازالت تخرج للحياة تجد أمامها تحديات ومعوقات تقف فى سبيل تحقيق أعمالها الإنتاجية الفعالة وتغير من سير البعض فى الطريق السليم، ومن هذه المعوقات نظرة بعض الرجال إلى عمل المرأة على أنه عمل غير لائق أو غير ضرورى وأنه بدعة ويضر بالمجتمع وباقتصاديات البلاد أكثر مما ينفع، وأنه يزيد من البطالة بين الرجال، ونسى هؤلاء أنه ليس من العدالة ولا من المنطق أن تحرم المرأة الكفء العمل لا لسبب إلا أنها امرأة وتعطيه لرجل دونها فى الإدراك العقلى لا لسبب أيضًا إلا لأنه رجل.

والعمل الآن لم يعد فى حاجة إلى القوى العضلية بعد التقدم الآلى ومن ثم فنظرة المجتمع للمرأة من حيث القدرة الجسدية لابد أن تتغير تبعًا لذلك ولابد من أن ندرك تمامًا أن تحقيق الاشتراكية الصحيحة لن يتحقق إلا بعد مشاركة المرأة العملية والعلمية والفكرية الفعالة فى الإنتاج المصرى بكل أبعاده، ولن يحدث هذا إلا بعد أن يكون أمر نساء مصر موكول إلى فئة فاضلة منهن تنظر للرجل على أنه خلق مثلها ليعمل على بناء وطنها وتقدمه وليس على أنه خلق لترفه هى عنه أو ليرفه هو عنها كما تؤمن بالدفاع عن المظلومين من النساء والرجال على

حد سواء ومحاربة الفساد والظلم أينما يوجد وأن تسمى الأشياء بمسمياتها الصحيحة مهما كانت الظروف المحيطة بهذه الأشياء.

إن المرأة المصرية لم تحقق الانتصارات فى مجالات العلم والعمل إلا نتيجة لكفاح فئة فاضلة من نساء مصر عاشت من أجل تحرير المرأة وحمايتها، فقد طالبتها بعده الجرى وراء بدعة الموضة وأن تأخذ من الأزياء بما يتفق وعملها فى المجتمع الحديث بميادينه المختلفة. وكان من الطبيعى أن نجد أن خروج المرأة فى الطريق يلفت نظر الرجل المصرى وهى ذاهبة إلى المدرسة، ولم يكن يراها إطلاقًا إلا من وراء حجاب باستثناء والدته وأخته فكان طبيعيًا أن نجد الرجال يتعقبون النساء وهن يتفوهن بألفاظ تخدش الحياء وهال هذا الوضع فئة فاضلة من نساء مجتمع مصر سنة ١٩٠٨ فاجتمعن وأصدرن مذكرة أرسلتها إلى (سعادتلوا أفندم محافظة العاصمة) وكان مضمونها كالآتى: «نحن أعضاء جمعية ترقية المرأة نرفع لسيادتكم أمرًا جديرًا وهو أن المرأة فى كل بلد متمدنة محل العناية وملحوظة بعين الرعاية، فما من أمة راقية الشعور إلا وقد سنت هذا الجنس الكريم من النظامات والقوانين ما يكفل العناية به ويضمن مكانته من الهيئة الاجتماعية قد أصبحن اليوم فى مصر هدفًا لمعاكسات العامة من أسفل طبقات الأمة فلا تكاد المرأة تمشى فى طريق حتى تتناولها الألفاظ البذيئة مما يجعلها تتعثر فى أذيالها، بل ربما يتعرض لها أهل الدعوة بلا خجل فلا نجد من الجالسين على القهوات والحوانيت من تأخذه حمية الغضب فيقوم بحمايتها من أولئك الأوباش ولا تجد تلك من البوليس أيضًا مساعدة الذى يظن أن ذلك خارج عن وظيفته.

وبناء عليه نرفع إلى سعادتكم هذا الأمر محتجين على إغفال البوليس أمر حماية النساء وراجين وضع لائحة فى هذا الصدد وتشديد التنبيه على رجال البوليس لضبط كل من يتجاءر على مس كرامة سيدة كائنًا من كان»[١٤].

وتعد هذه المذكرة أول صيحة تطالب بإنشاء بوليس للآداب العامة لحماية الشرفاء من النساء وقد أنشئ هذا البوليس فعلاً سنة ١٩٣٤ بعد انتشار الحوادث المخلة للآداب بتشجيع سلطات الاحتلال للمغامرات من نساء أوروبا القادمات للترفيه عن جيوشهم المقيمة بالأراضى المصرية ثم استطونت تلك الفئة من النساء

مصر وبدأت تتستر خلف العمل فى مجال الفن لازدهار حياة المسرح والنوادى الليلية.

ولقد كان المجتمع المصرى ينظر للمرأة التى تخرج من منزلها(١٥) على أنها تخرج لتبحث عن نشاط جنسى وليس لها مصالح شخصية أو عائلية تستدعى خروجها من المنزل حتى خروجها للعلم فلا داعى له فى نظرهم، ولقد دفع هذا الاعتقاد نبوية موسى إلى اتخاذ زى خاص لملبسها يشبه فى خشونته إلى حد كبير ملابس الراهبات، وعاملت الرجال بصرامة وأطلقت على مدارسها التى أنشأتها لتعليم البنات اسم (مدارس بنات الأشراف) وذلك لتؤكد عمليًا أن تعليم البنت وخروجها للسعى إليه لا يدفعها إلى البحث عن الرجل كذكر، بل يبعدها عن هذا الطريق كلية وقد فسر بعض المؤرخين كلمة بنات الأشراف بأن نبوية موسى كانت من الطبقة البرجوازية أو على الأقل المتشبهين بها والمتقربين إليها بيد أن كل من يعرف نبوية موسى وعاش مع مخلفاتها الأدبية يعرف أن نبوية موسى عاشت حياة كلها معاناة وكفاح فى سبيل لقمة العيش وفى سبيل تحقيق أهدافها فى تعليم نساء مصر، وكلمة الأشراف كانت تقصد بها المعنى المشتق من الشرف والشرفاء أخلاقيًا ولم تقصد بها معناه الطبقى والمادى ولم يكن يعنيها هذا كثيرًا وهى التى انحدرت من صميم الشعب وعاشت طوال حياتها تعانى الأمرين من أجل رفع مستوى الشعب، فتعليم بنات مصر كما كانت تؤمن نبوية موسى هو حجر الأساس لتقدم مصر وتطورها؛ لذا كان تعليم المرأة المصرية هو هدف نبوية موسى الأول والأخير صادقت من صادقت من أجله وعادت من عادت من أجله وسوف يأتى الوقت لا محالة لتعرف نساء مصر القصة الحقيقية لحياة هذه السيدة المناضلة التى وقفت صامدة أمام التيارات والأحداث المختلفة دون مساعدة جدية من أحد، لتعمل على تغيير وضع المرأة فى المجتمع المصرى على أساس علمى متين، ولكى ندرك جزءًا صغيرًا من كفاح نبوية موسى فى سبيل تطورنا نحن نساء مصر نعيش معها فى الأبيات التالية والتى نظمتها تنفيسًا عما كانت تكابده، فهى تقول تحت عنوان: شكوى الزمان:

أتى الليل واستعصى المنام المحبب ... وباتت توافيك الهموم وتتعب
وما أنت من أهل المجون فتسهرى ... ولا لك فى باب السياسة مأرب
فماذا أطار النوم منك وقد مضى ... من الليل ثلثاه وها الثلث يذهب
أتخشين جور الدهر؟! إنى عرفته ... وأخشى كلام الشامتين وأرهب
يقولون ماذا تستفيد من العناء ... فتاة بطول العمر تشقي وتدأب
تجد ولا تلقى من الفضل منجداً ... فلا كان قلب بالعلا يتعذب
وقد أسرفت فى الجد حتى تضاءلت ... وكادت بقايا جسمها تتغيب؟!
وهذا جزاء المسرفين فمالها ... تلوم هذا الزمان وتعتب
ولو أنها هانت لذابت همومها ... وكانت كباقى الناس تلهو وتلعب
فهذا كلام الشامتين وأنه ... أشد من الموت الزؤام وأصعب
وإنى وإن جار الزمان عزيزة ... فلا أنثني جبنًا ولا أتقلب
سأصبر فى حرب الزمان وأهله ... وأن جمعوا أعوانهم وتألبوا
أحاسبهم بالحق حتى أصدهم ... وسرعان ما يعلو الحق ويغلب(١٦)

وأعتقد أن بلاغة هذه الأبيات فى وصف ما عانته نبوية موسى وأمثالها من القيادات النسائية لهو دليل واضح عما بذلنه من أجل تغيير وضعنا نحن نساء مصر فى المجتمع ونظرته إلينا، فالمرأة المصرية اليوم لها أن تخرج من المنزل متى شاءت وترتدى من الأزياء ما يحلو لها دون رقيب إلا ضمير وذوق، وترأس الاجتماعات العامة وتتصدر القيادات الشعبية، بل وتدلى برأيها فى النظم التشريعية للبلاد وتقنن المواد والنصوص القانونية، وتعول أسر ماديًا وأدبيًا وبها رجال، وترأس إدارات متنوعة فى المصالح والمؤسسات المختلفة، وتملك محال عامة تديرها بنفسها كما يعمل تحت أمرتها عديد من الرجال، وما كان يتخيل هذا أحد منذ نصف قرن فقط من الزمان والسطور السابقة أعطتنا صورة جلية عن واقع المرأة وقتذاك ونظرة المجتمع إليها وواقع المرأة الآن، والمقارنة بين وضعها السابق ووضعها اليوم لبرهان ساطع عما وصلت إليه المرأة المصرية من مكانة عظيمة فى مجتمعها، ما كان يحلم بها أحد حتى أنصار تحرير المرأة والمطالبين بضرورة تغيير وضعها الاجتماعى.

ولقد نشر أحد الكتاب عام ١٩٢٦ مقالاً يتنبأ فيه بما سوف تصل إليه المرأة المصرية فى مستقبلها فقال: «لنا أن نقدر مستقبل المرأة المصرية بالقياس على حاضرها كما قدرنا حاضرها بالقياس على ماضيها، ولنا فوق ذلك أن نفترض ونقدر ما شاء لنا الافتراض والتقدير؛ لأن تتراكم على المستقبل نبوءة الافتراض والتقدير عنصران لا غنى عنهما فى التنبؤات» ويستطرد بعد هذه المقدمة بأن: «المرأة المصرية بعد أن خرجت من الظلمات إلى النور يستحيل عليها أن تعود القهقرى، بل يستحيل أن تقف فى طريقها قبل أن تبلغ نهاية مرحلتها، فهل هى الآن مزودة فى رحلتها الشاقة الطويلة بالوسائل التى تقوم بحاجتها حتى تسير فى سبيلها بقدم ثابتة مطمئنة وهل لها أن ترجو أن يكون لها فى المستقبل القريب وسائل للسير أسرع مضيًا وأسهل حركة من الحاضر والماضى». ثم يضيف الكاتب بأن: «الجواب على ذلك هين وميسور فأما وسائلها فى الوقت الحاضر فمحدودة لا تتناسب مع رغباتها وأمانيها، نعم إنها وسائل قد تؤدى إلى الغرض ولكن فى بطء وتمهل فقد ينفذ معها صبرها وصبرها كما علمت قليل».

ويأتى الكاتب بعد ذلك بالوسائل التى قد تؤدى إلى وصول المرأة إلى ما تريد وفى مقدمة هذه الوسائل فى رأيه هو أن يعمم التعليم وجعله إجباريًا للمرأة والرجل فى دور التنفيذ، فقد نالت المرأة كبرى وسائلها وسارت إلى الأمام بخطى واسعة سريعة»..

ويضيف بأن المرأة: «طالبت بحقها فى العلم ففازت ببعض وستفوز بأكثره فى مدى السنوات العشر القادمة، وكلما ازداد حظها من العلم ازداد شعورها بشخصيتها وكرامتها وزادت إلحاحًا فى المطالبة بحقوقها. ولما كانت المرأة نصف الهيئة الاجتماعية فسيتطور بتطورها الرجل وهو النصف الآخر من حجم هذه الهيئة وبذلك يهون عليه إجابة مطالبها والاعتراف بحقوقها ولكن إلى أى مدى»؟ ثم يجيب على ذلك بأن هذا التطور سيشمل القطاعات التالية:

«العلاقة الشرعية» فالمرأة المصرية تطلب منع تعدد الزوجات وستنال من مطلبها هذا تشريعًا يضع قيودًا لحق الرجل فى هذا التعدد، وتطلب سلب الرجل حقه فى التطليق بمحض إرادته، وسيحد هذا الحد بحدود تخفف من وطأته،

وتطلب أن يكون لها حق اختيار الزوج كما أن للزوج حق اختيار الزوجة وسيكون لها هذا الحق ظاهرًا أو مستترًا». ويمضى فى هذا المعنى فيتناول: «تطور الأسرة» ويرجع هذا التطور عندما «تقترح بعض المتطرفات طريقة الزواج المدنى، ولكن الآن نقف فى هذه الفترة عند حد الاقتراح» وستطلب المرأة «أن يكون لها حق الرقابة على الرجل وموارده ومصارفه وسيكون لها ذلك كما ستطلب أن يكون لها رأى محترم فى تربية أبنائها وبناتها وتزويجهم ومستقبلهم وسيكون لها ذلك»ويتحدث عن التطور الأدبى والاجتماعى» ويعبر الكاتب عن مظاهر هذا التطور بأن «العلاقة الأدبية بين الجنسين ستزيد وضوحًا وسنرى الجدل والمناقشة سجالاً بينهما على صفحات الجرائد بأسماء ظاهرة، وتتبادل المكاتبات الأدبية والعلمية بينهما بلا إثم ولا حرج وستلقى المرأة الخطب فى مختلف الشئون فى النوادى والمجتمعات سافرة على مرأى ومسمع من زوجها وذويها. وستزيد الثقة بين الجنسين توطيدًا، فيبيح الرجل للمرأة دخول المسارح والتنزهات متى شاءت وكيف شاءت بغير حارس ولا رقيب إلا كرامتها وحرمتها، وسيكون لها مطلق الحرية فى مبارحة دارها لقضاء مختلف حوائجها بلا استئذان وستطالب المرأة مطالبة جدية بحقها فى الانتخاب وسيكون هذا الطلب موضع الجدل فى البرلمان، ولكن لا أظن هذه الفترة كافية لتحقيقه».

ثم يعرج الكاتب على الأعمال العامة ومدى ما يصيبها من تطور لدخول المرأة ميدانها، فيتنبأ بأن المرأة ستطالب بنصيبها فى مختلف وظائف الحكومة غير قانعة بوظيفة المعلمة والقابلة[١٧] (وهما المهنتان المصرح للمرأة بالعمل فيهما وقتذاك) وستنال منها حظًا يسيرًا، بل إنى أتنبأ وفى نبوءتى هذه بعض الجرأة بأنه سيكون من بنات الطبقة المتوسطة كاتبات وبائعات فى بعض المتاجر الوطنية الراقية».

ثم يختم الكاتب مقاله هذا فيقول بأن: «هذا مدى ما يمكن أن يصل إليه تطور المرأة فى مصر، وهذا التطور فى ذاته نهضة قومية وسيكون تأثيره فى حياتنا الخاصة ترقية الأسرة وتخفيف كثير من أعباء الحياة على الرجل وتوكيد الثقة وروابط العلاقة والتضامن بين الجنسين، وفى حياتنا العامة نهوض الأمة

الاجتماعى والعلمى نهوضًا يعلو بها إلى مقترب من مستوى الأمم الراقية، فتراها عن كثب وتعترف لها بالكرامة القومية وبحقها فى الاستقلال بشئونها ومرافقها من غير مرشد ولا رقيب»[١٨]. ومقال حسن صبحى هذا يؤكد لنا مدى التطور الذى اعترى وضع المرأة فى مجتمعنا المصرى من ناحية والعوامل والأسس المكونة لهذا المجتمع من ناحية أخرى بعد أن تدخلت المرأة فى مقومات المجتمع فكريًا وثقافيًا واقتصاديًا بالوسائل العلمية، والتى لم تكن متاحة لها فى الأزمنة الماضية فحتى سنة ١٩٢٦ لم يكن فى استطاعتها أن تتدخل فى شئون منزلها ولا فى تربية أطفالها ولا يمكنها مغادرة منزلها إلا بعد استئذان وفى حراسة مشددة من رجل، ولا يباح لها ارتياد الأماكن العامة بحال من الأحوال خوفًا من ارتكابها جريمة لم تفكر فيها، بل ولا تعرف شيئًا عنها، فقد كانت المرأة المصرية تولد وتموت دون أن تعيش ودون أن ترى الدنيا التى خلقها الله عز وجل وكم نساء ولدن ومتن دون أن يعرفن شيئًا عن خارج أبواب دورهن، بل ولم يسمعن عن بلدان أخرى خارج دنياهن الصغيرة المنحصرة فى جدران المنزل الأربعة، وعلى ذلك كانت قلوبهن تسقط بين أقدامهن خوفًا وهلعًا عندما يترامى إلى أذهانهن صوت أبواق السيارات المارة بالشوارع القريبة من منازلهن، ولم يسمح لهن بمعرفة الاختراعات التى تسمى سيارات أو ماذا تشبه وكيف تسير إلا أنها من عمل الشيطان، وكثيرًا ما كن يرددن هذه العبارة عندما يسمعن أبواق السيارات أو يترامى إلى علمهن بأن صندوقًا خشبيًا سوف يتحدث ويرتفع منه صوت القرآن الكريم فيصحن: يا رب أخفينا ولا تورينا أى أنهن كن يفضلن الموت على مشاهدة هذه الأشياء التى هى من صنع الشيطان كما كان يقال لهن ويصدقنه لسذاجتهن.

ومما لا شك فيه أن ما تتمتع به المرأة المصرية الآن من مكانة اجتماعية ومقومات وركائز حضارية يعود فضله إلى المعاملات فى الحركة النسائية الجادة والعاملين بها والذين حملوا العبء كله دون النظر إلى مصالح شخصية تعود عليهم.

كما أن التطور الخطير الذى أصاب مجتمعنا المصرى بعد تحرير المرأة من الخرافات وخروجها من سجنها المنزلى لتساهم فى بناء مجتمعها إلى جانب

الرجل، بإدراك وجد لا يقل عن إدراك الرجل ونشاطه، لأثر عظيم من آثار الحركة النسائية فى مصر الحديثة، ربما لم نر نتائجها الجذرية بعد، لقصر المدة التى خرجت فيها المرأة مساهمة وعاملة فى الحياة العامة بمجالاتها المختلفة.

ولقد بذلت المرأة فى مصر جهودًا جبارة فى سبيل توكيد مكانتها الطبيعية فى الحياة إلى جانب جهودها فى مجالات العلم والعمل، فهى واجهت نظرة المجتمع إليها بأنها دون الرجل إدراكًا وجسدًا وتحملاً للمسئولية، وتدفع دفعًا منذ طفولتها لأن تتشبه بأمها وترضى بما رضيت به الأم من سجن وحرمان من ممارسة أى مظهر من مظاهر الحرية الإنسانية، وفى جانب آخر ترى أخاها الذكر يدفع دفعًا لأن يتشبه بأبيه الرجل لكى يصبح مثله عظيمًا ومسئولاً عن المنزل والأسرة بل والحياة المحيطة به. ومن ثم فمن العدالة حتى ندرك ما قامت به المرأة المصرية من أثر فى مجتمعنا الحديث، لابد من أن نضع نصب أعيننا كفاحها من أجل تحرير نفسها ماديًا ومعنويًا وكفاحها من أجل تطوير المجتمع وتغيير قواعده البالية وإعادة بنائها على أساس جديد من العدالة والمنطق وتكافؤ الفرص بين كلا الجنسين، الرجل والمرأة، ولكى تدرك فتاة اليوم مدى التغيير الذى اعترى مجتمع المرأة عندنا منذ كانت حبيسة سجن الحريم حتى الآن، إن بعض النساء اعتقدن عندما خرجن ليلاً بعد طول حبس أن السماء سقف الدنيا مرصع بمصابيح وأنوار كمصابيح المنزل وأنواره. لقد وصلنا إلى ما نحن فيه الآن على أكتاف سيدات ورجال شرفاء كرسوا حياتهم من أجل الدفاع عنا، ومن ثم لابد وأن نتذكر فضلهم ونحن ننعم بالحرية وبكل هذه الحقوق التى حرمت منها أمهاتنا وجداتنا، واقرأ معى ما نشرته مجلة (أنيس الجليس) تحت عنوان (العذاب فى مصر): حيث وصفت حال المرأة فى المجتمع إبان القرن الماضى إذ تقول فيه منبهة الحكومة المصرية «إلى المنازل وما يجرى فيها من تعذيب النساء والفتيات، فكم امرأة هناك تسأم أشد أنواع القساوة والتعذيب من زوجها أو أخيها ولا يدرى بها شرطى، وكم فتاة تكره على الزواج بمن لا ترضاه فلا ترضى فيلقى عليها من صنوف العذاب بما لا يحتمل حيوان، وكم حبلى تجهض من وقع الضرب ولا يدرى بها أحد وكم... وكم... وكم... من هذا المخلوق الناطق الضعيف يعذب

بين أثناء المنازل أو يسجن فيها الدهر الطويل فلا يعلم بحالته إنسان، ولا يتعرض لإنقاذه حاكم». ثم تضيف المجلة فترفع «صوتها الضعيف إلى حكامنا الأقوياء وتسألهم بالنسبة للمرأة الضعيفة والفتاة الساذجة أن يجعلوا لهن شرطة سريين من نساء ورجال يطلعوهم على ما يجرى فى منازل العامة الجاهلين وقصور رجال التقاليد المجانين وهى ـ أى الحكومة ـ كفيلة لهم بأنهم يجدون كثيرات يقاسين أشد أنواع التعذيب والألم ويشكين أباءهن المجانين شكوى الجريح إلى العقبان والرخم»[١٩].

واترك هذه الصورة المؤلمة للمرأة فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى وتلفت حولك وأنت ترى المرأة تجلس على كرسى الوزارة وترأس اللجان العلمية وتحاضر الرجال فى العلوم المختلفة، وتؤثر فى الرأى العام وفى السياسة العليا للبلاد وفى اقتصادياتها لتعرف بنفسك مدى ما سببته الحركة النسائية من تغيير لا فى وضع المرأة فى المجتمع المصرى فحسب بل فى قواعد وأسس الحياة المصرية والعربية بأبعادها المختلفة.

هوامش الفصل الرابع

(١) مرآة الحسناء ـ العدد ٧٢ ـ السنة الأولى، ص ٣٠٠ سنة ١٨٩٦.

(٢) أنيس الجليس ـ العدد ١٢ ـ السنة الثالثة ديسمبر سنة ١٩٠٠.

(٣) جلال إبراهيم رأفت ـ الأمل ـ العدد ٤ ـ السنة الأولى سنة ١٩٢٥.

(٤) راجع ـ مجلة الجامعة ـ الجزء العاشر السنة الثانية، ص ٥٩٢٠ أكتوبر سنة ١٩٠٠.

(٥) انظر مقال نبوية موسى ـ النهضة النسائية ـ العدد ٥ ـ السنة الرابعة ص ١٥٦ إبريل ١٩٢٦.

(٦) لبيبة أحمد ـ النهضة النسائية ـ مقدمة العدد الأول السنة الثالثة ١٩٢٣.

(٧) من هؤلاء الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن.

(٨) سليمان السليمى ـ مقدمة العدد الأول من صحيفة العفاف السنة الرابعة أول إبريل سنة ١٩٢١.

(٩) راجع فى ذلك مقدمة العدد الأول السنة ٥ من صحيفة العفاف ٤ ديسمبر ١٩٢١.

(١٠) راجع فى ذلك العفاف العدد الثانى السنة الخامسة سنة ١٩٢٢.

(١١) راجع فى ذلك منيرة منصور ـ شجرة الدر افتتاحية العدد ٣ السنة الأولى ٢١ يناير سنة ١٩٢٣.

(١٢) راجع فى ذلك عائشة عبد الرحمن النهضة النسائية السنة الثامنة ص ٢٤٩ سنة ١٩٣٠.

(١٣) محمد صادق عبد الرحمن ـ النهضة النسائية ـ العدد ١٠ السنة الرابعة ص ٢٨١ سنة ١٩٢٦.

(١٤) من وثائق جمعية ترقية المرأة.

(١٥) كانت المرأة المصرية ابنة الطبقة المتوسطة والعليا لا تبارح المنزل أبدًا إلا فى الليل وفى حراسة رجل من أسرتها وتخرج عن هذه القاعدة المرأة الريفية ابنة الطبقة الدنيا؛ لأنها كانت تخرج لمساعدة الرجل فى أعمال الحقل وتذهب إلى السوق للبيع والشراء.

(١٦) نبوية موسى ـ مجلة الفتاة ـ العدد ٢٢٧ السنة الخامسة ص ٤ ـ ٧ يناير سنة ١٩٤٣.

(١٧) القابلة ـ المولده أو الداية.

(١٨) حسن صبحى ـ النهضة النسائية العدد ٩ السنة ٤ ص ٣٠١ أغسطس ١٩٢٤.

(١٩) انظر فى ذلك مجلة أنيس الجليس ـ العدد الثامن السنة الثانية ص ٣٥٠ أغسطس سنة ١٨٩٩.

الفصل الخامس

تعليم المرأة فى مصر

ترتب على تطور الحركة النسائية فى مصر الحديثة أن برزت فى المجتمع المصرى عدة مظاهر مهمة لم يكن له سابق عهد بها قبل قيام الحركة النسائية، وقد مرت هذه المظاهر بعدة مراحل اتخذت كل مرحلة منها قضية ظلت تدافع عنها وتعمل لها.

والواقع أن ظهور كل مرحلة جديدة من مراحل قضية المرأة الكبرى فى مصر كانت تأتى كنتيجة حتمية لنجاح المرحلة السابقة عليها.

وأول مراحل الحركة النسائية فى مصر كانت تنمية تعليم المرأة، فقد فكر المهتمون بشأن إصلاح حال المرأة فى البلاد، أن يعتنوا بتنمية إدراكها العقلى إلى جانب إحساسها بوجودها الأنثوى وعزوا انحطاط مكانتها الاجتماعية والثقافية إلى إهمالها الجانب العقلى من تكوينها الإنسانى، ومن ثم طالب المصلح (رفاعة الطهطاوى) بتعليم المرأة لاعتقاده إنه حجر الزاوية فى إصلاح حال النساء فى مصر، ومن ثم إصلاح المجتمع المصرى كله. كما طالب كلوت بك بتعليم المصريات، لا من أجل تقدم النساء، بل من أجل تقدم الحياة الصحية فى البلاد،بعد فشل الأطباء فى علاج المرضى من النساء وتفضيل ذويهن لهن الموت على أن يراهن رجل غريب حتى ولو كان طبيبًا.

ثم قدوم البعثات التبشيرية الدينية من أوروبا وبها عديد من النساء واللاتى تطوعن للعمل بها، وكان من الطبيعى أن يكون نشاطهن متجهًا إلى تعليم البنات

لجذب الأنظار إليهن فأنشأت هذه البعثات المدارس الكثيرة التى انتشرت فى أرجاء مصر، وقامت المتطوعات للعمل بها من الأوروبيات بالتدريس فيها، وأول من أنشأ مدرسة من هذا القبيل الإرسالية الإنجليكانية سنة ١٨٣٥ وتولت إدارتها والتدريس بها « مس هاليدى[١] ».

ثم جاءت جماعة الراعى الصالح الفرنسية فأنشأت أول مدرسة لها للبنات سنة ١٨٤٥ بالموسكى، ثم تلتها أخرى فى حى شبرا سنة ١٨٦١، وكان الخديو قد أقطعها قطعة أرض فى شبرا لإقامة مدرسة عليها. وأنشأت الأخوات الفرنسيسكان دارًا سنة ١٨٥٩ لإيواء الجوارى بعد عتقهن وإعدادهن للعمل بالمنازل، ثم فى سنة ١٨٧٥ تحولت هذه الدار إلى مدرسة لتعليم البنات. واتجه الآباء الفرنسيسكان إلى الوجه القبلى لإنشاء مدارس للبنات فقط،فأقاموا فى (نفادة) مدرسة للبنات سنة ١٨٥٥ وفى قنا وطهطا وأخميم سنة ١٨٦٣.

وقد كان لتشجيع الخديو إسماعيل للمشرفين على هذه المدارس أن اتسع نشاطها مثل ما حدث لجماعة الأخوات الفرنسيسكان اللائى أنشأن فرعًا يتبع مدرستهن فى شبرا، فى حى بولاق سنة ١٨٦٨ وأقمن أول مدرسة بمدينة المنصورة سنة ١٨٧٢ وفى السنة التالية أقمن أخرى فى كفر الزيات وفى سنة ١٨٧٤ اتجه نشاطهن إلى الإسماعيلية حيث أنشأن مدرسة بها [٢]. ونشير هنا إلى أن طالبات هذه المدارس كان أغلبهن من بنات الجاليات الأجنبية، وقليلاً جدًا من المصريات وهن من أخواتنا المسيحيات، لأن الأب المسلم كان يخشى على بناته التحول عن الدين الإسلامى وعلى ذلك كان بالمدارس التى أنشأتها البعثات البروتستينية عددًا أكبر من المصريات لتسامحها الدينى وعدم التفرقة بين الأغنياء والفقراء ومن هنا نجد تأثير هذه المدارس فى رفع ثقافة المرأة المصرية كان ضئيلاً.

وبالإضافة إلى مدارس الإرساليات ومدارس الجاليات الأجنبية والتى لم تكن تقبل من المصريات إلا ما ندر، أقامت الهيئات الخاصة مدارس قليلة للبنات وهذه الهيئات هى:

الجمعية الخيرية الإسلامية التى أنشأت أول مدرسة خاصة بالبنات تابعة لهيئة إسلامية سنة ١٨٧٨ وأطلقوا عليها اسم «مدرسة اليقظة النسائية» وكان من أعضاء هذه الجمعية الكاتب والصحفى المعروف عبد الله النديم.

كما أنشأت الجمعيات القبطية أول مدرسة للبنات حوالى سنة ١٨٦٠ فى حارة السقايين، ثم تلتها مدرسة أخرى بحى الأزبكية.

ولم يكن لهذه المدارس تأثير يذكر فى تقدم تعليم البنت فى مصر، وذلك لعدم تشجيع الآباء ذهاب بناتهم إليها، وبسبب تفشى الأمية بين الرجال أنفسهم، وللعقائد والعادات البالية التى كانت تحرم فى اعتقاد الشعب تعليم البنت وتعده من عمل الشيطان، وأن تعليم البنت يجب أن يكون منحصرًا فى معرفتها واجبها تجاه الزوج وإرضاء رغباته وطاعة أسرته، وإذا كانت بعض الأسر سمحت لبناتها بتلقى بعض العلوم مثل الدين ومبادئ الحساب واللغة فإن أرباب هذه الأسر كانوا من رجال الدين وجاءوا بمعلمين إلى منازلهم لتلقين فتياتهم الصغيرات [٣] العلوم التى ذكرتها، وكانت نسبة أولاء القارئات ضئيلة جدًا إذا قورنت بعدد الأناث فى البلاد.

ويرجع ذلك لاعتقاد أولى أمر البنات أنهن لسن فى حاجة إلى التعليم، وأن حاجتهن منحصرة فى التعليم المنزلى الذى يشكل الأسس المهمة للحياة النسوية فى حاضر البنات ومستقبلهن؛ لأن الرجل وهو المؤثر فى رواج السلعة النسائية فى البلاد أو كسادها، لم يكن يريد إنسانة مفكرة تبادله ما يدور فى رأسه، بل كان يريد تابع مطيع وخادم أمين وجسد جميل.

على ذلك لم يهتم أولو الأمر فى البلاد بإنشاء مدارس لتعليم البنت وترقية مداركها الفكرية، حيث إنه عندما طالب كلوت بك بإنشاء مدرسة للمولدات سنة ١٨٣٠ بحجة تفشى الجهل بين الأمهات المصريات مما يترتب عليه من سوء الحالة الصحية بين النشء المصرى ويؤثر تبعًا لذلك على زيادة السكان من ناحية اللياقة البدنية والقدرة الإنتاجية من ناحية أخرى، وعندما وافقته الحكومة

المصرية على ذلك وأنشأت المدرسة فعلا سنة ١٨٣٢ لم يجدوا والدًا واحدًا يقبل التحاق ابنته بالمدرسة رغم أن الدراسة والإقامة والملابس على حساب الدولة، ودفع هذا (محمد على) إلى مخاطبة الجند فى أمر إرسال بناتهم إلى المدرسة وكانت فئة الجند هى الطبقة الخاضعة كلية لأوامر محمد على، ومع ذلك وبالرغم من الوسائل الترغيبية والترهيبية التى لجأ إليها (محمد على) رفض الآباء من الجند وقبلوا العقوبات التى وقعها عليهم محمد على على أن يرسلوا بناتهم إلى المدرسة، مما دفع المسئولين عن المدرسة إلى أن يلحقوا بها فئة إنسانية أخرى لها حق معاشرة النساء وهى طبقة (الأغوات) وصغار الجوارى واللائى كن لا يجدن من يشتريهن فى أسواق الرقيق لصغر سنهن، ومن ثم لافائدة تذكر من وجودهن بالمنازل [٤] وضمت المدرسة فى بدء حياتها ١٠ جوارى وفشلت التجربة مع الأغوات؛ لأنهن لم يكونوا بإناث ولم يكونوا كذلك بذكور ولتعقد تكوينهم النفسى تبعا لذلك ومن وضعهم الإنسانى والاجتماعى الشاذ بين الجماهير.

كذلك فشلت تجربة صغار الإماء لعدم ملائمة المناخ فى مصر لهن، فقد كن من الإفريقيات عادة ولحياتهن حياة تسودها نظام لم يألفنة بالمدرسة؛ لذا لم يمض سنتان على افتتاح المدرسة حتى كانت تلك الجوارى قد مرضن وتوفيت الكثيرات منهن.

وفكر كلوت بك مرة أخرى فى أنجح الوسائل لنجاح هذا المدرسة ولم يكن قد ظهر فى الجو ما يؤيد نجاحها، وأشارت عليه الآنسة: «جولييت الفرنسية» والتى كانت تدير المدرسة من قبل كلوت بك والذى استقدمها من فرنسا لهذا السبب، بأن المدرسة لن تقوم لها قائمة إلا باعتمادها على البنت المصرية لتكيفها مع البيئة من ناحية المناخ ومن ناحية العقلية المصرية، ولإمكانية إشعارها بحاجة المجتمع المصرى إلى هذا الإصلاح الصحى الذى يتوقف نجاحه على جهودها هى، لا غيرها.

وذهب كلوت بك للمسئولين وعرض الأمر عليهم طالبًا فتيات مصريات بأية وسيلة وعاود «محمد على» الكرة على الشعب من طبقة الجند وطبقة الفلاحين،

ورفضت الطبقتان هذا الأمر رفضًا باتًا مفضلين الغرامة والعقاب على استجابتهم لهذاالطلب الذى سوف يجلب لهم العار، ولن يمحى مهما كانت الظروف. وأخبر «محمد على» كلوت بك أنه لم يستطع عمل شىء مع الآباء وعلى ذلك لن تدخل فتاة المدرسة، وله أن يرى ما يريده فى هذا الموضوع.

وتلفت كلوت بك حوله حائرًا ووجد الحل فى بعض الفتيات الصغيرات اللائى ولدن بالمستشفى التابع لمدرسة الطب العليا زعبل منذ ست سنوات وتركتهن والداتهن دون قيد فى سجل المواليد، ولم يطالبن بهن عندخروجهن من المستشفى، واستأذن كلوت بك المسئولين فى أخذ أولاء الفتيات وكن ستة ليكن نواة لطالبات المدرسة من المصريات، وكان ذلك سنة ١٨٣٦ ولم يكن بها من الإماء إلا ثمانية فتيات زدن إلى ١٣ وإلى جانب ساقطات لقيد والجوارى، ألحق كلوت بك أيضًا بعض الفتيات الصغيرات اللائى كن مريضات بالمستشفى وعولجن، ولم يتقدم أحد للسؤال عنهن أو أخذهن بعد إتمام شفائهن، فضمهن أيضاً كلوت بك إلى طالبات المدرسة، هذا فضلاعن بعض الخادمات اللائى كن يكابدن من سوء المعاملة عند مخدوميهن وتتقدمن للالتحاق بالمدرسة هروبًا من وضعهن، ومع ذلك ومع هذا الخليط من الفتيات واللائى جمع بينهن بالمدرسة سوء حالهن وضياع وجودهن بالمجتمع فقد كن نواة المرأة المتعلمة فى مصر الحديثة إذ على أكتافهن حملن النواة الجديدة لوظيفة المرأة المصرية الحديثة خارج نطاق عملها الأنثوى.

ونجحت المدرسة وزاد الطلب على دخولها من أولياء أمور الفتيات أنفسهم وذلك للامتيازات التى منحت للخريجات فقد كان زواجهن مستحيلاً من رجال ذاك العصر للنظرة غير العادلة التى كانت تنظر إليهن على أنهن غير شريفات، ولم يكن فى مجتمع مصر حينئذ رجل يقبل على نفسه أن يكون محلا للنظرات المؤسفة من الجماهير ومن ثم فكر «محمد على» فى حل مشكلة زواج الخريجات ولم يجد ذاك الحل إلا فى إلزام مدرسة الطب العليا من الذكور بالزواج من خريجات مدرسة المولدات، وكان يقام لذلك الغرض حفل كبير بمناسبة تخرجهم يلتقى فيه الأطباء بالمولدات ليختار كل واحد منهم واحدة من الخريجات، وبعد ذلك يعقد قرانهم الجماعى، وينتقل كل زوجين إلى منزل مؤسس أعدته السلطات

المصرية لحياتهما بالمجان مع منح كل واحد من الزوجين دابة وهى عادة بغلا لاستعمالها فى تنقلاته فى عمله. وما كانت هذه الحياة الميسرة المستقرة ذات الخلين لكل من الزوجين، بمتوافرة لطبقات الشعب الأخرى، مماشجع على زيادة الطلب على القبول بالمدرسة وكثر عدد الملتحقات بها.

وكان للخريجات فضل تقدم الحياة النسائية فى مصر فقد كانت أول كاتبة فى الصحف المصرية من خريجات هذه المدرسة وهى المولدة «جليلة تمرهان» التى كتبت فى مجلة «يعسوب الطب» وهى أول دورية متخصصة فى شئون الطب وعالجت جليلة فى مقالاتها صحة الحامل وإرشادات صحية وتربوية لتنشئة الطفل بطرق سليمة، كذلك كانت بعض قيادات الحركة النسائية إبان ثورة سنة ١٩١٩ وبعض من حملن لواء الصحافة النسائية فى مصر من بنات خريجات هذه المدرسة أمثال السيدة لبيبة أحمد وهى كريمة الدكتور طبيب أحمد عبد النبى خريج مدرسة الطب العليا والمولدة صفية خريجة مدرسة المولدات.

ولكون هذه المدرسة أول مدرسة للبنات بمصر التحقت بها الفتاة المصرية التى تنتمى إلى طبقات الشعب وليس لطبقة الموسرين والحكام،أرى أن آتى بالظروف التى أحاطت بإقامة الفتاة داخلها والشروط التى كانت لابد من توافرها فى البنت حتى تقبل بهذه المدرسة. فقد كان سنهن يتراوح بين ٩، ١٣ سنة أبكارًا ويتصفن بحسن السير والسلوك لا ثيبات ولا مطلقات لأن هؤلاء لا يكون لهن قابلية للتعليم. ولم يعترض على أميتهن بالطبع لعدم توافر الملمات بالقراءة أو الكتابة وأن «يضمنهن مشايخ الأتمان»[٥] وافتتحت المدرسة بعشر جاريات سنة ١٨٣٢ لكن ما أن جاءت سنة ١٨٣٧ حتى كان عدد الطالبات ٥٠ بنتًا منهن ١٣ جارية والباقى مصريات، وكان منهج الدراسة عبارة عن: مبادىء اللغة العربية، تعليم فنون التوليد نظريًا وعمليًا،كيفية العناية الصحية بالحوامل والنساء أثناء الوضع وبالأطفال حديثى الولادة وأثناء سن الرضاع، وعلم الأدوية المتداولة وتجهيزها كما تناولت هذه العلوم طرق علاج الأمراض السرية ومبادىء الجراحة الأولية لعلاج الأورام الالتهابية، وتضميد الجروح البسيطة ووضع اللزقات[٦]. وضمت مناهج الدراسة أيضًا فى مدرسة المولدات طرق تلقيح الجدرى وأخذ الكاسات

الهوائية، وعمل الحجامة والقضاء على الديدان. هذه كانت المقررات التى كان يمتحن فيها الطالبات، وإلى جانب ذلك كان هناك علوم أخرى تدرس للبنات فى أوقات فراغهن من الدروس وهى:

تعليم اللغة الفرنسية ووسائل النظافة البدنية، وتولت هذه النظافة (بلانة) عينتها الدولة لهذا الغرض براتب شهرى ٤٠ قرشًا تخصم من مرتب التلميذات وإلى جانب ذلك تعلمن كيفية اختيار الملابس النسائية المناسبة لحياتهن الجديدة وتشجيعهن على القراءة فى مكتبة المدرسة وخروجهن للأحياء الشعبية لتطعيم الأطفال.

وكان يمنح للطالبات مرتبًا شهريًا مقداره عشرة قروش صاغ فى السنة الأولى ثم تزداد بالتدريج إلى خمسة وثلاثين قرشًا لطالبات السنة النهائية وكانت تصرف لهن ملابس هى عبارة عن :

(١) طربوش تركى بإيطان حرير.
(٢) بالوكار شامى.
(٣) وسنتيان الاجه شامى.
(٤) وقميصان كتان.
(٥) لباسان بفتة.
(٦) ودكتان كتان بحرير.
(٧) بايوج (وهو عبارة عن حذاء أصفر) استانبولى وطرحتين شاش مقدارهما ٥ أذرع. كل هذه الأشياء تصرف للطالبة كل سنة، كما تصرف لها حبرة وخف كل سنة ونصف.

وقام بالتدريس فى تلك المدرسة الرعيل الأول من الأطباء المصريين أمثال الدكاترة على هيبة أفندى وأحمد الرشيدى أفندى وعيسوى النحراوى، بالإضافة إلى جولييت خريجة مدرسة مولدات فرنسا وحلت محلها بعد ذلك «جليلة تمرهان» خريجة المدرسة المصرية بعد أن رأى ديوان المدارس إحلال الخريجات المصريات محل الأجنبيات، وكان يمنح للخريجة درجة ملازم ثانٍ ويصرف لها «بالطجى وأغا وحمار»[٧] أما مجال عمل الخريجات فكان الكشف على الموتى من النساء والعمل فى أقسام الولادة وأمراض النساء بالمستشفيات العامة وفى المحاجر الصحية بالموانىء[٨] وكل الأعمال الصحية التى تتصل بالمرأة.

وظلت مدرسة المولدات هى المدرسة الوحيدة لتعليم البنات فى مصر والتابعة للحكومة المصرية حتى كانت سنة ١٨٧٣ عندما أنشئت مدرسة السيوفية للبنات، وقيل فى قرار إنشائها: «قد تفضل الخديو بإنشاء مدارس جديدة ومكاتب عديدة، واقتبست حضرة ذات العصمة ثالثة حرم حضرته من أنوار أفكاره وأنشأت هذا المكتب خاص بالبنات لإخراجهن إلى نور المعارف من ظلمات الجهالات، وهى خدمة للّه والوطن كبيرة» [٩].

وزوجه الخديوى إسماعيل الثالثة والتى نسبت إليها مدرسة السيوفية هى الأميرة جشم آفت هانم أفندى، وأطلق على المدرسة اسم السيوفية لوجودها فى حى السيوفية وتعلل الدكتورة زينب فريد انتساب المدرسة إلى الأميرة بأنه من باب جعل الأمر أكثر قبولا وأهمية من جانب الأهالى [١٠].

وكان بهذه المدرسة قسم داخلى ويضم ٢٠٠ فتاة وقسم خارجى ويضم مائة فتاة وكان أعمار الطالبات تتراوح بين سن السابعة والحادية عشرة. وكانت خريجات مدرسة السيوفية يتممن تعليمهن فى مدرسة المولدات التى أصبحت لاتقبل إلا القارئات ومن على درجة من الثقافة. ثم سميت مدرسة السيوفية باسم مدرسة السنية للبرامج السنية التى أصدرها الخديوى سنة ١٨٨٩، وتحولت إلى مدرسة ابتدائية يبيح لها قانونها منح خريجاتها الشهادة الابتدائيَة أسوة بالفتى، ونالت الشهادة الابتدائية فعلا أول دفعة ١٩٠٠، ومن الفتيات المصريات اللائى نجحن فى الشهادة الابتدائية حينئذ «ملك حفنى ناصف وفكتوريا عوض وأولجا بلنش» وفى ١٩٠٠ أيضًا أنشىء بهاقسم عال يؤهل الفتاة للتدريس، وأطلق عليه دبلوم السنية، وكانت أول ما نالته ملك حفنى ناصف وفكتوريا عوض حيث عينتا مدرستين بالسنية فى نفس العام الذى تخرجتا فيه ١٩٠٣. وتخرجت من القسم العالى فى العام التالى ١٩٠٤ آسيا عبد الفتاح وتوحيدة صبحى وأولجا بلانش وعائشة الشيمى وفاطمة عمر وهانم حامد. وفى سنة ١٩٠٥ تخرجت نورالهدى عبد اللّه وزينب فؤاد، وفى سنة ١٩٠٣ نالت نبوية موسى وبهية حسونة وعائشة صبحى ونور حسن وأديل دياب، شهادة الابتدائية ونلن الدبلوم سنة ١٩٠٦ وفى العام التالى نالت كل من تفيدة على وحبيبة نصار وكاترينا ريفنتى شهادة الدبلوم [١١].

طالبات مدرسة السنية وبعض أعضاء هيئة التدريس سنة ١٩٠٣ وهن: الجالسات من اليمين: الآنسة سعدة سابا (سورية) مدرسة الترجمة وتوحيد صبحى ونبوية موسى وأوليا بلايش وفكتوريا عوض وبهيمة بهجت. والواقفات فى الصف الثانى من اليمين: مس هامل مدرسه الكيمياء الإنجليزية ونور الهدى عبد اللّه وفاطمة عمر وزينب فؤاد وهانم حامد وملك حفنى ناصف ومس كارتر مدرسة اللغة الإنجليزية والواقفات فى الخلف من اليمين عائشة صبحى وآسيا عبد الفتاح وعلية صديق وأديل دياب.

وفى سنة ١٨٩٥ أنشأت الحكومة مدرسة عباس الأول للبنات، وظلت الحياة المصرية بدون مدارس أخرى للبنات حتى ١٩٠٩ عندما أنشأت مجالس المديريات مدارس ابتدائية فى عواصم المديريات ما عدا أسوان، ثم أنشئت مدارس البنات الراقية والأولية ١٩١٦، وفى ١٩١٧ أنشأت الحكومة أول مدرسة ابتدائية للبنات بالإسكندرية بحى محرم بك،وقامت أول مدرسة ثانوية للبنات فى مصر سنة ١٩٢٠ وهى مدرسة الحلمية الثانوية [١٢]. تلتها مدرسة شبرا حيث حصلت منها ست فتيات على البكالوريا سنة ١٩٢٨ القسم العلمى.

ولكى ندرك الفرق بين الاهتمام بتعليم الولد فى مصر دون تعليم البنت نذكر هنا أن الحكومة أنشأت أول مدرسة ابتدائية للبنين عام ١٨٣٣ وهى مدرسة المبتديان الابتدائية للبنين، كذلك أنشأت أول مدرسة ثانوية فى البلاد لتعليم البنين سنة ١٨٣٦ وهى المدرسة التجهيزية الخديوية للبنين، ومما مر بنا يتضح أن الفق بين التعليم الابتدائى للبنين كان ٤٠ عامًا والفرق بين التعليم الثانوى كان ٨٥ عامًا بالرغم من أهمية تعليم البنات للبلاد عنه من تعليم الفتيان لأن الأم المتعلمة تنشئ أطفالاً أصحاء عقليًا وبدنيًا.

أما مدارس رياض الأطفال فى مصر فقد أنشئت أول مدرسة منها سنة ١٩١٨ وهى مدرسة قصر الدوبارة وبعد قدوم البعثات النسائية التى كانت أرسلتها الدولة إلى إنجلترا للتخصص فى التربية وعلم نفس الأطفال، فقد عادت أول بعثة منها سنة ١٩٢١ ومن ثم زادت هذه المدارس حتى أصبحت سنة ١٩٢٥ أربع مدارس.

وقد يرجع عدم تقدم تعليم البنات فى مصر إلى الاحتلال الإنجليزى للبلاد والذى رسمت سياسته على عدم إيجاد العقل المفكر للإنسان المصرى، ولن يصلوا إلى هذا إلا بقبوع المرأة خلف قضبان الجهل والخرافات ويتبين لنا ذلك من تقرير اللورد كرومر عن التعليم فى مصر حيث يقول:

«إن مدارس البنات بما فيها الكتاتيب التى تشرف عليه الحكومة يبلغ عددها سنة ١٩٠٠ (٢٧١) وبلغ عدد تلميذاتها ٢٠٥٠ تلميذة» وأضاف بأن: «الأمل شديد

فى أن ما أبداه بعض الأفراد من الهمة فى ترقية التعليم الأهلى بتأسيس الكتاتيب للصبيان ووقف الأموال عليها من جيوبهم يتناول إنشاء الكتاتيب للبنات أيضًا، لأن الحاجة ماسة إليها» [١٢].

وقولى هذا لا يحتاج إلى تعليق لأنه من الواضح إن الكتاتيب التى كان ينشئها بعض الأثرياء ويلحقونها بالمساجد عادة لم تكن تعلم إلا بعض قشور من القرآن الكريم، وبعض مظاهر مشوهة للغة العربية وما كان يمكن لهذه الكتاتيب، وبعضنا عاصرها - أن تخرج قارئات أو مفكرات فيما يقرأن، بل كانت خريجة الكتاب تنسى ما تعلمته بمجرد حجزها فى البيت لبلوغها السن القانونية والمتفق عليها عند الشعب وقتذاك وهى بين ١٢،٩، إلا أذا ذهبت إلى قارئة للقرأن لتتمرن على يديها، وفى هذه الحالة لابد من أن تكون عمياء هى ومعلمتها القارئة الفقهية ومعنى ذلك أن الكتاتيب ما كانت تعطى نساء مصر تعليمًا أو نسبة تعليم، بل كانت عبارة عن مكان للتأديب يرسل إليه الأشقياء من الأولاد حتى يعودوا للمنزل أكثر هدوءًا بعد عملية الحبس والضرب التى يقاسونها على يد (سيدنا) قاسى القلب.

إذًا كان على من تلقت بعض أسس التعليم الصحيح وبعض المصلحين من الرجال أن يطالبوا تعليم المرأة تعليمًا صحيحًا أسوة بالرجل وقامت حملات مؤيدة ومعارضة لهذه القضية أيقظت الرأى العام وعرفته مدى أهمية تعليم المرأة من أجل تقدم البلاد.

وحمل لواء أول صيحة فى مصرنا الحديثة من المصريين (رفاعة رافع الطهطاوى) كما ذكرت ثم (محمد عبده) الذى أخذ على (الأميرة نازلى فاضل) اهتمامها بالأمور السياسية للبلاد وإهمالها قضية تعليم المرأة ويقول فى ذلك:

«لو أنفقت الأميرة نازلى فاضل جهودها وجمعت المال من الأميرات وأنشأت مدرسة لتعليم الفتيات وجلبت لهن مدرسات من سوريا كان النفع أعم» [١٣].

ثم جاء (قاسم أمين) ونادى بتعليم المرأة لكى يتحرر عقلها، ومن ثم تصبح أكثر نفعًا لوطنها وأسرتها ولنفسها ولقد مر بنا ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى من

هذا الكتاب. وإلى جانب هؤلاء وجدنا الكاتبة «زينب فواز ومهجة بولس ولبيبة هاشم» يكتبن فى صحف نهاية القرن الماضى مطالبات بتعليم النساء.

ثم بدأ القرن الحالى وحصلت الفتاة المصرية على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وبهر هذا النجاح بعض مفكرى شباب مصر ومنهم محضر محكمة طنطا الذى كتب عدة مقالات يطالب بإفساح التعليم العالى للمرأة طالما أنها قد حصلت على شهادة الابتدائية «وهى الشهادة التى تؤهل حاملها للتوظف فى دواوين الحكومة براتب عشرة جنيهات» وتساءل «إن ابتدائية النساء هى نفس ابتدائية الرجال، فهل يا ترى ستسمح لهن الدولة بالعمل فى نفس مكاتبها التى يشغلها حامل الابتدائية من الرجال فإذا لم تسمح لهن بذلك فلا أقل من أن تمنحها حق إتمام الدراسات التى تلى الابتدائية أسوة بالرجال» [١٤].

وكانت صيحة محمود إبراهيم محضر طنطا أول صيحة تطالب بإفساح التعليم العالى مهما كان مستحيلا أمام الفتاة وتعجب من المعارضين لسير المرأة فى طريق التعليم وعزى هذا لخشيتهم من تفوق المرأة على منافسها الرجل فى هذا المجال، وكأنه كان يتنبأ بما حدث بعد ذلك. فقد قامت أقلام نسائية ورجالية تؤيد وتعارض تعليم الفتاة وتفرع عنها قضية نوع التعليم الذى يجب أن تتعلمه الفتاة وخاضت فى ذلك أقلام كثيرة ظلت تواصل حملاتها حتى أواخر الخمسينيات ولنعش بعض الوقت مع هؤلاء المدافعين والمعارضين على حد سواء.

فقد كتبت الكسندرا أفرينوا فى مجلتها أنيس الجليس سنة ١٨٩٨ تطالب بتعليم الفتاة وأتت بإحصائية عن عدد سكان مصر سنة ١٨٩٧ وكانوا عشرة ملايين نسمة نصفهم من النساء، وذكرت أن نسبة التعليم بينهن نصف فى المائة وعلقت المجلة على ذلك بأن هذه النسبة ضئيلة فى « بلد يضم الأزهر والذى يحوى الألوف من الطلبة ووجود المئات من الكتاتيب ومع ذلك فإن سكان مصر لم يستطيعوا الإفادة منها فإن نسبة التعليم بين الرجال أنفسهم تبلغ ٣,٦٪ فقط بالرغم من وجود مدارس للحكومة» وتتساءل «هل المدارس لاتعلم أم الناس لا يتعلمون» وتستطرد إلى ذلك بأنها «تعلم أن معرفة القراءة من ضروريات الدين الإسلامى وقد جاءت فى أوامره فكيف يفوت ذلك شيوخنا الكرام، ولمن يدخرون

خطبهم ومواعظهم من بعد معرفتهم بهذا العجز الفاضح، أما رجال الفنون والإنشاء وسائر نتائج العقل فإنهم كثيرون بالقياس لعدد القارئين وقد صرنا نقرأ الإنشاء الحسن والشعر الجيد ونطالع مقالات العلم الصحيحة بعد أن كنا لانقرأ من ذلك شيئًا إلا للأوروبيين أو لعلمائنا السابقين، ولكننا على كل حال مقصرون وبيننا وبين الواجب مراحل ولذلك نرجو حكامنا أن يردوا الجهد إلى أضعافها حتى يكثر فى بلادنا القارئون والقارئات وتكون الوطنية عندنا وافرة» [١٥] وكانت الكسندرا قد ذكرت فى سنة ١٨٩٨ إن عدد القارئات من نساء مصر يبلغ ٣١,٢٠٠ بما فيهن الأجنبيات ممن يعشن فى مصر [١٦].

ونشرت مجلة النهضة النسائية بعد ذلك بعدة سنوات أن نسبة تعليم الإناث سنة ١٩١٧ بلغت ١,٨٪ ثم ارتفعت إلى ٢٪ سنة ١٩٣٧، وذلك من مجموع النساء اللائى يزيد أعمارهن عن الخامسة [١٧].

بيد أن أغلب المدافعين عن تعليم المرأة طالبوا بأن يكون هذا التعليم منحصرًا فى شئونها المنزلية والعائلية، وليس تعليمًا عامًا مثل الولد وتقول (الجنس اللطيف) فى ذلك بقلم أحد القراء بأنه يطالب بتعليم الفتاة حقًا «ولكنى لست على رأى أولئك الذين يحاولون الدفاع عن حقوق المرأة فيتطرفون بقولهم لماذا لا تشتغل بالمحاماة والطب أو الهندسة أو غير ذلك من تجارة وخلافه إذ لو صحت هذه الأحلام لأصبحنا فى حالة نفضل معها بقاء المرأة على جهلها» [١٨].

وفى سنة ١٩١٣ نادت «سارة الميهية» [١٩] صاحبة مجلة «فتاة النيل» بإلغاء التعليم كلية لا للمرأة فحسب بل لكافة أفراد الشعب لاعتقادها حينئذ أنه سيهب خراب البيوت وتقول فى ذلك: «والفلاح يرسل ابنه إلى المدرسة وهو فى أشد الحاجة لمن يعينه فى زرع أرضه وإدارة نعورته ويستدين على أرضه أموالاً باهظة لأجرة المدرسة ولكسوة خاصة بالمدرسة أو سكن قريب من المدرسة فى بلد تكون فيها المدرسة ويستودعه ولا يدرى ما يصنع إن كان يقضى عامه فى التعليم أو التنزه، وسرعان ما يأتيه آخر السنة ويستكر أبوته وعيش أبيه أو حضن أمه وإذا

كبرعلى ذلك النسق عرف طرق الملاهى فى المدائن» ثم تضيف بأن هذا الإنسان: «تنتظر عليه سعادة البلاد وتقدمها فيما إذا نجح أخيرًا، وإلا فإنه يصبح عالة على أهله ويأتى على خراب الدار».

وتستطرد إلى ذلك «أن البلاد كان أنفع لها أن يذهب الولد للكتّاب وهو صغير ويتعلم المبادئ الأولية: ثم يرجع ليكون عونًا لوالديه وهذا الذى يقولون أنه مشروع اللورد كرومر لأنه هو أمر الشارع الحكيم».

ثم جاءت بالمثل القائل بأن: «لا تعلموا أولاد السّفلة العلم» وتقول: إنها متأكدة من أن جميع الشرائع تؤيد هذا القول الحكيم بعدم إسناد المناصب الكبرى إلا لأبناء البيوت العالمية «ومن مبدئية الشرائع عدم خلط أبناء الطبقة العالية بأبناء الطبقة الدنيا».

ثم ختمت مقالها بالترحم على ذلك الرجل الفذ «محمد على باشا الذى بنى أمة وملكها وهورجل جاهل، ولو كان متعلمًا لما استطاع أن يعمل شيئًا، وأن بيوتًا كبيرة كان أصحابها أميين لكن بعضهم أعقب ذرية تعلمت، ولكن للأسف أن الذرارى كانت خراب البيوت التى شادها آباؤهم الأميون» (٢٠).

وقد زرت كاتبة هذه المقالة فى صيف ١٩٦٨ وناقشتها فى هذاالرأى فقالت إنه فى سنة ١٩١٣ لم تكن فائدة التعليم قد وضحت وكانت تخشى على اقتصاد البلاد الزراعى من التدهور لو تعلم أبناء الفلاحين وتركوا أمر الزراعة. خاصة وأن مصر كانت تعانى من قلة الأيدى العاملة لقلة السكان.

وأصدر سليمان السليمى مجلة تطالب بقبوع الفتاة بالمنزل وعدم استجابتها للغواة من أنصار التعليم والتحرر، وأطلق على مجلته اسم العفاف؛ لأنه عد كل دعوة لسفور الفتاة أو تعليمها ضد عفافها، بل تقضى على طهارتها وتلقى بها فى «وهاد العهر والفساد» على حد قوله وينشر فى مجلته أنه سمع عن قيام مدرسة للبنات فى شبرا فجاء خصيصًا من بلدته «ساحل سليم» ليعاين هذه المدرسة، ولكنه اطمأن فهى: خلف سور عال ارتفاعه أربعة أمتار، ومن ثم لا يستطيع من

بخارج المدرسة رؤية من بداخلها. وأن طالباتها فى سن ٩ ويتخرجن فى سن الزواج وهى عنده الثانية عشرة. وأن مدرساتها جميعًا من السيدات المسنات المحتشمات، ولا خوف على الطالبات من الفتنة من مدرساتهن، وبهذا المنطق العجيب حرر سليمان السليمى صحيفته «العفاف» وقد مر بنا أمرها (٢١).

ورجل آخر أخذ يعارض تعليم الفتاة بمنطق غريب فهو يؤكد أن: «الخلايا النخاعية فى عقل المرأة تقل عنها فى الرجل ولذلك اتصفت المرأة غالبًا بالنقص فى العقل والدين».

ويضيف إلى ذلك بأن الطب يقر معه بأن «جسمها وتركيبها الطبيعى وأعضاءها اللينة وشعورها الحساس أضعف بمراحل من جسم الرجل وتركيبه، وهنا تظهر الحكمة ناصعة وساطعة وهى أن المرأة لا يمكنها أن تنزل إلى ميدان المساواة العملية مع الرجل».

ويختتم مقاله هذا بقوله بأننا نريد أن تكون المرأة متعلمة مثقفة ولكن لا على نحو ما ترى من نظم تعليمها الحالية، فإننا لانريدها تتعلم كيف تجلس على الكرسى وبيدها القلم والقرطاس تسطر خطاب الشوق والتوق أو قابضة بيدها على رواية غرامية،إنما نريدها تتعلم التدبير المنزلى الصحيح (٢٢).

وهاجم محمد السوادى تعليم المرأة أيضًا بدعوة أن تعليم المرأة وثقافتها وتمدنها سوف يجلب على الأمة والمجتمع شرًا مستطيرًا، وردت عليه «جميلة العلايلى» قائلة:

«إذا كان يوجد شر من تعليم المرأة فإنه كامن فى مناهج التعليم النسوى الذى وضعها الرجل وليست فى البيئة المنزلية، فالأم ليست هى التى تعلم ابنتها الريبة والشك يا سيدى، إن الذى يعلمها هذا أنت وهو، أعنى الرجل الذى يضلل بها مرضاة لها».

وتضيف بأن البيئة المدرسية أغفلت ناحيتها الروحية وسلطت شعاعها على عقل المرأة وامتلأ بالمعارف النظرية حتى كاد ينفجر وروحها التى تستوعب وتلهم لايزال صدأ الجهالة يعلوها، فكيف باللّه تؤدى رسالتها الإنسانية». وتختتم مقالها

طالبة من السوادى بأنه «بدل أن تصرخ فى أذن الفتاة التى تتأهب لعبور قنطرة الحياة اصرخ صرخاتك المجلجلة لتبلغ مسامع القائمين على تربية الفتاة» (٢٣).

ولقد ظل النقاش محتدمًا بين المطالبين بتعليم المرأة والمعارضين له، بل إن المطالبين بالتعليم كان بينهم من يطالب به فى شكل تعليم منزلى مثل لبيبة أحمد فى أول أمرها والدكتورة عائشة عبد الرحمن اللتين طالبتا بتعليم المرأة تعليمًا دينيًا فيقدم لمصر زوجة صالحة متدينة، لا امرأة متعلمة بعلوم الرجال؛ لأنه ليس من المصلحة، ولا من العقل أن تزاحم النساء مناكب الرجال فى حياتهم العامة (٢٤).

إلا إنه بعد الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من حروب البلقان حيث استشهد عدد كبير من أفراد الشعب التركى ولجوء تركيا إلى سد نقص الأيدى العاملة فى الوظائف العامة بإفساح مجالات عملية جديدة أمام المرأة، فعملت المرأة لأول مرة فى البريد وفى البنوك التجارية، وأيدت ذلك لبيبة أحمد وقالت: إن العمل يقى الأرامل واليتامى من الفتيات ذل السؤال، وتضيف فى هذا المعنى: «إنه أكرم للمرأة أن تعمل بعد أن يتيح لها أهلها النافع من العلوم» وتهيب بهم أن يعلموها مهنة الطب أومهنة التدريس أو مهنة الخياطة، أى مهنة «تكسب منها ما يسد الرمق وما تستعين به على تربية أطفالها حتى لا تلجأ وقد نشأت فى العز إلى ما يذل نفسها» وتستطرد مفندة مزاعم المعارضين لتعليم المرأة تعليمًا عامًا خوفًا من انحرافها أخلاقيًا فتقول: «أمن العيب كما يظن البعض أن تتعلم البنت مهنة؟!».

ثم تمضى مؤكدة أن تعليم المرأة مهنة لن يدفعها للرذيلة طالما تعلمت فى الصغر التعليم الدينى، وعرفت كيف تتقى الرذيلة وتصيح بأن: «علموا البنت من صغرها الدين وخوفوها من الرذيلة وانهوها عن المنكر وثبتوا قدمها وقلبها وفؤادها على الحق ثم ألقوا بها فى أى مكان ترونها تحرص على عفتها حرصها على حياتها، علموا المرأة علمًا يجعلها تقوم بما يقوم به الرجل إذا فقد الرجال، علموها كيف تكون تاجرة وكيف تكون مهندسة وكيف تكون ممرضة، وتتدخر هذاالعمل لوقت حاجتها، علموها ولا تخافوا عليها فإن سعادتها وهناءها وعزها

وفخرها وطمأنينة قلبها وراحة فؤادها ومستقبل أيامها يتوقف على العلم العملى وأنه لكنز رفيق بها».

وتستطرد إلى ذلك مناشدة الجماهير بأن: «ارفعوا أصواتكم ولا تأخذ كم سنة ولا نوم عن المطالبة بتعليم المرأة فإنكم بهذا تنقذون المرأة من مخالب الآفات وتحسنون إليها حسنات لن تنساها لكم إذاكشر لها الدهر وأصيبت ضيقة من الأيام وتقلبات الزمان، إن من النساء بناتكم وأمهاتكم فلا تحكموا عليهن بأن تعضهن النوائب وأن تلتهمن المقادير» وتختتم مقالها مستعطفة الرجال بأن «ينظروا إلى من أزلتهن الأيام وقضت عليهن أيدى الإهمال تأخذكم عليهن الشفقة، اتركوا القديم العتيق وانظروا إلى الجديد المفيد، انظروا إلى أمم الغرب كيف تعامل نساءها وكيف تعلم بناتها، وكيف هيأوا للأمهات المعيشة الرغدة والحياة المملوءة بالآمال، وإن لنا فى رجالنا وحكومتنا والقائمين فى الأمر فينا بقية أمل لإصلاح شأننا والنظر فى عاقبة حياتنا»، ثم أتت فى النهاية ببعض الحكم لتدلل على رأيها وهى: «العلم كنز المرأة الدفين» و «المرأة الجاهلة خراب العائلة» و «أكرموا نساءكم بالعلم فالعلم سلاح الضعيفة» (٢٥).

ولقد ظلت معركة تعليم المرأة محتدمة بين التقدميين والرجعيين أو بين المعارضين والمؤيدين لسنوات عديدة حتى أنه فى سنة ١٩٣٩ نجد أحد الأفراد ويدعى «هاشم إبراهيم» ينادى بأن «الفتاة مكانها البيت» لأن «المرأة يجب أن تطالب بثقافة لا تخرجها عن أنوثتها، بل تطالب بثقافة تعدها لأن تكون ربة بيت واعية، وأن المرأة لا يناسبها غير التعليم المنزلى» ويضيف مستنكرًا: «أما إننا ندفع بالمرأة إلى غمار الحياة لأن هناك أقلية ضئيلة تشق طريقها فى الحياة التعليمية الجامعية، وأن أقلية أيضًا قداستطاعت أن تنال نصيبًا وفيرًا من التعليم وأن واحدات منهن قد تغلبن على الفتيان فى الامتحانات العامة، فهذا كله لا ينهض دليلا على أهلية المرأة للمكان الذى تطالب أو يطالبلها أنصارها بالجلوس فيه» ويستمر فى مثل هذا القول لينتهى إلى أنه: «يبدو جليًا أن زج المرأة فى ميدان العمل فى غير تسلح ولا استعداد، محاولة فاشلة وأن الخير كل الخير للأمة أن تستفيد من المتعلمات الآن بتزويجهن ليكن نواة صالحة للبيت المصرى الحديث،

ومتى صح لها أن تنحدر إلى ميدان الجهاد. وعندئذ سيرى الناس صراعًا عنيفًا بين الجنسين ولا ندرى لمن تكون الغلبة ولا على أيهما تدور الدائرة» [٢٦].

وإلى جانب الهجوم على تعليم المرأة نثرًا لجأ البعض إلى الهجوم على تعليم المرأة شعرًا ومنه:

صيروا العلم زخرفًا من طلاء — فى حياة الفتاة يسود لونًا
علموا البنت دينها فهو أولى — واجعلوا للحجاب فى البيت وزنًا [٢٧]

بيد أننا نجد سيدات كرسن حياتهن لتعليم المرأة والدفاع عنه ولم يشغل ذهنهن ولا حياتهن كلها غير هذا الموضوع، وفى مقدمة أولاء السيدات بالطبع «نبوية موسى» التى أنشأت جمعية تعمل على نشر التعليم بين الفتيات؛ لأن التعليم كان فى نظرها هو أساس تقدم مصر اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا، ومن ثم لم تهمل نبوية أمر تعليم الفتاة بعد فشل تلك الجمعية، بل استمرت فى تنمية المدرسة التى أنشأتها الجمعية فى بداية العشرينيات وحملت اسمها وهى (مدرسة ترقية الفتاة) وتغير اسم المدرسة بعد فشل الجمعية إلى (مدرسة بنات الأشراف) ثم تتبعتها مدارس للبنات أخرى تحمل نفس الاسم بمدينتى الإسكندرية أولا ثم فى القاهرة بعد ذلك وهذه المدارس ما زالت باقية حتى الآن وتحمل اسم (نبوية موسى) بعد وفاة نبوية فى أول مايو سنة ١٩٥١ وكانت قد أوقفت كل أملاكها على مدارسها على أن يتولى أمر هذه الأوقاف (وزارة المعارف العمومية) لتوليها الصرف على هذه المدارس [٢٨].

ولقد اتصفت (نبوية موسى) بأسلوب منطقى لاذع فى دفاعها عن المرأة وقدراتها العقلية المماثلة لقدرات الرجل فى استيعابه للعلوم المختلفة،فقد اقترح بعض المؤتمرين [٢٩] بأن يخصص مواد فى مناهج تعليم الفتاة تخالف مناهج التعليم الفنى لاختلاف عقلية البنت عنها عند الولد، وردت عليه نبوية موسى مطالبة بتوحيد مناهج التعليم عند كلا الجنسين إذ إن: «البنت أنثى الولد وقد دلت جميع الظواهر الطبيعية فى الحيوان على أن للأنثى من الميول والطباع ما للذكر بالضبط، فلم يقل أحد بأن القطة تحب اللعب والقفز، وإن القط عاقل

ذكرياتى
نفعنى الصدق

مرة واحدة فى حياتى

- ٣٠ -

تعينت كما قدمت يوم تخرجت من المدرسة السنية معلمة بمدرسة عباس بمرتب ٦ جنيهات شهريا وكنت فى ذلك الوقت اتقاضى معاشا عن المرحوم والدى ولم يكن يتقرر فيما نحن البنات الموظفات أو عدمه إن كانت الشهادة التى تصدر الى الرزنامة كل ٣ شهور يخول فيها كانوعدانيا لم تزوج ولم تمت ولم تخرج من دائرة الحكومة المصرية . ومع ان توظفت فقد كانت شروط الشهادة كما متوفرة فى . ولكنى ظننت انه لا يجوز لى أن استولى على مرتبين من الحكومة فى وقت واحد فأخذت مركى معاشى وذهبت الى الكتاب الذى كنت استلم منه المعاش وسألته عما اذا كان يجوز لى أخذ هذا المعاش بعد تعيينى معلمة فى وزارة المعارف واستيلائى على مرتبها ؟ فقال لى : لا يجوز لك هذا ولكنه أظهر العطف على ورأى أنى لو أخفيت هذا لاستطعت ان أتمتع بالمرتبين فقال لى فى شىء من الرقة والعطف : قدمى الى خطابا بانك ستتزوجين وأنا أعطيك مكافأة فى مقدار معاشك لمدة ٣ سنوات . قلت ولكنى لا أريد الزواج . قال لست آمرك بالزواج ولكنى أقول لك أكتبى لى خطابا وغدا أرى من الحكومة نفسها تعلم أن لا تتحرى عن هذا فجاءتنى فتاة تمكن بجوارى وأخبرنى أنها ستتزوج وأنا أعلم حقيقة الأمر كذب ماتقول فانى اعرف لها المكافأة لانها تصبح بعد ذلك لاحق لها فى المعاش فاكتبى هذا الخطاب اليوم وبعد أسبوعين استلم ذلك المعاش . قلت ولكنى لا استطيع ان أكتب أنى سأتزوج لانى لن اتزوج فاحتد الرجل واخذ منى المركى وهو يقول (هى الكتابه حتفرصك ؟ ان شاء الله ما اتزوجى)

ضاع منى اذن هذا المعاش الجميل مبلغ معاشى لمدة ٣ سنوات ولكنى لم آسف عليه

خرجت بعد ذلك من وزارة المعارف كما يشهد التاريخ وأرادوا تكافئ بى أن يحرمونى حتى من المعاش فمنعت ملا معاش ثمانى سنوات وبعد أن خرجت بثلاث سنوات حشت الرزنامة لاستلم معاشى والدتى . وفى دهشة قصصت على كاتب المعاشات هذا حكايتى مع ذلك الكاتب القديم أى زميله السابق يوم سلمته مركى معاشى وعجب الرجل من تلك الحكاية المدهشة وظل أنى فجأة ترشا أو انها جيدة من المقبقة فقال لى : اذا كان هذا

نبوية موسى تتحدث عن ذكريات كفاحها فى مجال تعليم البنت

ورزين، ولم يقل أحد أيضًا بأن الكلب أمين ووفى وإن الكلبة غادرة ماكرة، بل الصفات والعادات تتفق فى الجنسين، وقد خلق اللّه للمرأة عينين وأذنين ولسانًا واحدًا كما خلق للرجل فهى مثله تستطيع أن تؤدى من الأعمال ما يؤديه هو، لست أنكر أن الرجال أقوى عضلا وأكبر أجسامًا من النساء كما هو الحال فى جميع الحيوانات، فالحمار أقوى عضلا وأكبر جسمًا من الحمارة، لكنه لا يفهم أكثرمما تفهم هى، وما كانت تلك القوة إلا لغرض واحد هو التناسل، والجنسان فيما عدا ذلك متساويان ولم يقل أحد: إن الرجل القوى يتغلب على الرجل القصير النحيف فى الحياة،بل قد يكون الثانى أذكى وأنجح فى حياته من الأول»[٣٠].

وظلت نبوية موسى تعمل من أجل تعليم المرأة بكل ما أوتيت من قوة إذ أنشأت مجلة لهذا الغرض عاشت خمس سنوات وتوقفت بسبب أزمة ورق الصحف إبان الحرب العالمية الثانية، وعانت نبوية الأمرين من الحكومة وقتذاك خاصة بعد أن كان يتولى أمر وزارة المالية المرحوم وليم مكرم عبيد (باشا) إذ كان يقتر عليها من الإعانات المالية الحكومية دون غيرها من المدارس الحرة [٣١]ولم تتراجع عن كفاحها هذا النسائى، بل أخذت تهاجم الحكومة فى سبيل تحقيق أهدافها خاصة عندما سنت حكومة الوفد قانونًا مدارس التعليم الحر[٣٢] وعدته نبوية موسى جائرًا بمدارسها ومتدخلاً فى سياستها التعليمية ومقيدًا لها فى اختيار أصلح المدرسين لتستطيع أن تقدم للحياة الجامعية وفود الطالبات. ونقرر للحقيقة هنا إن أوائل الناجحين فى شهادة البكالوريا والتوجيهية بعد ذلك كانوا من طالبات مدارسها اللاتى كن يتفوقن على طلبة وطالبات مدارس الحكومة فضلاعن المدارس الحرة كما أن الرعيل الثانى من خريجات الجامعات ومن حملن مشعل العمل فى المصالح والمؤسسات فى بداية عمل المرأة بها كن من طالبات مدارس «نبوية موسى». وبهذه المناسبة ذكرت نبوية موسى فى مقدمة ديوانها الشعرى والذى أصدرته سنة ١٩٣٨ أنها: «لست كغيرى ممن يقولون الشعر أو النظم وهم متفرغون له، بل أنا معلمة شغلنى حب التعليم عما سواه من الفنون الجميلة، وما قلت شعرًا إلا لحاجة أطلبها لهذاالتعليم، أو لشىء آسف على ضياعه وكنت أروم منه الخير لتعليم البنات الذى شغفنى حبه، فقلما تخلو قصيدة من قصائدى من

إشارة إليه،فإذا مدحت شخصًا فمن أجل ذلك التعليم أمدحه، وإذا شكوت الدهر فمن أجله أشكوه»[٣٣].

ومهما يكن من شىء فإن تعليم الفتاة فى مصر سار فى طريقه مسرعًا لدرجة أدهشت الخصوم قبل الأصدقاء وذلك؛ لأن الفتاة المصرية وجدت فيه تأكيدًا لشخصيتها وإثباتًا لقدراتها العقلية؛ لأن هذه القدرات وصفت ظلما بأنها دون قدرات الرجل، وذلك على مدى أجيال عديدة حتى أن بعض النساء أنفسهن رسخت فى أعماقهن هذه الأحكام الجائرة واعتقدن خطأ أنهن أقل من الرجال عقليًا وفكريًا. غير أنه ما إن جاءت سنة ١٩٢٥ وافتتحت الجامعة المصرية، حتى التحقت الفتاة المصرية بالمدارس الثانوية ونالت أول دفعة نسائية البكالوريا القسم العلمى سنة ١٩٢٨ من مدرسة شبرا الثانوية التى انضم إليها من أردن إتمام تعليمهن العالى من طالبات مدرسة الحلمية الثانوية واللاتى أردن التعليم المنزلى التحقن بكلية البنات بالزمالك التى أنشئت فى ذاك العام واللاتى حصلن على البكالوريا وقتئذ ست فتيات هن: سعادات راشد ونفيسة محمد أحمد وحكمت البدرى وعايده أنطون وفاطمة حسن فهمى وزينب إبراهيم ودخلن بعضهن الجامعة كلية الطب بعد كفاح مرير، وكان لجهود مديرالجامعة وقتذاك «لطفى السيد» [٣٤] ومساعدته الفعالة أثر واضح فى نجاح الفتاة لولوج أبواب الجامعة دون ضجة، ومن هنا جعل الرأى العام أمام الأمر الواقع، كما ساعد على نجاح التجربة كذلك اجتهاد الفتيات أنفسهن وسلوكن السليم فى الحرم الجامعى الذى لم يكن أحد يعلم بدخوله. وفى سنة ١٩٢٩ نالت البكالوريا أول دفعة من القسم الأدبى وهن: نعيمة الأيوبى وفاطمة خليل فهمى وزهيرة عبد العزيز وفاطمة سالم كما حصلت عليها سهير القلماوى فى نفس العام من الكلية الأمريكية.

وفى سنة ١٩٣٣ تخرجت أول دفعة من الجامعة المصرية وهى مكونة من : «نعيمة الأيوبى» من كلية الحقوق، ومن كلية الآداب «سهير القلماوى» من قسم اللغة العربية، و«فاطمة سالم» قسم اللغات القديمة، و«فاطمة خليل فهمى» قسم الاجتماع، و «زهيرة عبد العزيز» قسم الفلسفة، وقبل ذلك بثلاث سنوات وفى سنة ١٩٣٠ عادت إلى أرض الوطن أول دفعة نسائية تخرجت من جامعات إنجلترا

وأفرادها هن: «كريمة السعيد» تربية، و«نظلة الحكيم» فلسفة، و «منيرة صادق» تاريخ، و«زينب كامل» كيمياء، و«هيلانة سيداروس» طب. ولم يكن أولاء الرائدات أول فتيات يذهبن لتلقى العلم بالجامعات، فقد فتحت الجامعة الأهلية أبوابها للمرأة المصرية منذ سنة ١٩٠٨ على أن تحضر النابهات من النساء المصريات محاضرات مسائية تثقفهن ولا تعطيهن مؤهلات علمية وذلك كنتيجة لمطالب الجمعية الأدبية [٣٥] التى رأستها هدى شعراوى فى بداية كفاحها فى مجال الحركة النسائية. وقد اشترك فى لقاء تلك المحاضرات أساتذة من الخارج إلى جانب رائدات الحركة الثقافية النسائية فى مصر وقتذاك، ومن الأجانب نجدالآنسة كوفرور وتكلمت فى محاضراتها عن علم النفس وعلم الأخلاق مع التطبيق عاى أحوال المرأة قديمًا وحديثًا، وحاضر المسيو ملونى فى حضارة الشرق القديم والعصر الإسلامى، وتحدث دكتور ليتمان عن «المقارنة بين اللغات السامية» ومن المحاضرات المصريات نجد «نبوية موسى» التى تكلمت عن تاريخ مصر قديمًا وحديثًا مع الإشارة إلى ما يسود العالم (سنة ١٩١٠) من علوم عصرية، وتناولت باحثة البادية «ملك حفنى ناصف» فى محاضراتها حقوق المرأة وواجباتها وموقف الإسلام من هذه الحقوق وتلك الواجبات، وتحدثت لبيبة هاشم عن التربية والأخلاق، وحاضرات «رحمة صروف» فى شئون التدبير المنزلى[٣٦] ومن المواظبات على حضور تلك المحاضرات: هدى شعراوى وصفية زغلول، وللاقاسم الشيماخية، وفاطمة نعمت راشد وفاطمة عمر [٣٧]، ونجية راشد وعقلات كل من الباشوات أرثين وقطاوى ورشدى ومدحت وكريمات كل من الباشوات: عفيف ومحب عطيات فؤاد وذوالفقار وعزيز عزت بالإضافة إلى أميرات البيت المالك أمثال سميحة وقدرية وبديعة حسين وعين الحياة وفاطمة فاضل، وغيرهن ممن أجدن القراءة والكتابة ووصل عددهن إلى ٥٢ سيدة [٣٨].

هذا وفى سنة ١٩٢٥ نشر أن أول من حمل شهادة عالية فى الصيدلة وتعمل فى هذا المجال لأول مرة فى مصر هى الآنسة «نجلاء بدر» التى تخرجت فى كلية الصيدلة بإحدى جماعات الولايات المتحدة: «وهى الآن الصيدلية الأولى فى الشرق» وأن أول محامية فى مصر هى « سميا حبيقة» التى عملت أمام المحاكم

المختلطة إلى أن تزوجت منذ عدة سنوات، وأن «الدكتورة أنيسة حبيقة الطبيبة المصرية الشهيرة هى أول طبيبة فى الشرق» [٣٩]. وقبل ذلك بعشر سنوات أى فى سنة ١٩١٥ تخرجت الفتاة المصرية «خديجة خليل مطير» من مدرسة معلمات السنية ضمن اللائى نلن دبلوم معلماتها وعملت فعلا كمدرسة فى إحدى مدارس وزارة المعارف، غير أنها رأت أن حاجة البلاد إلى الطبيبات أكثر من حاجتها إلى المدرسات، ووجدت فى نفسها القدرة على دراسة علوم الطب، فالتحقت بطب القصر العينى عام ١٩١٨ واستطاعت أن تقطع مرحلة التعليم فى مدة ثلاث سنوات تخرجت بعدها عام ١٩٢١ حيث عينتها الحكومة طبيبة مركز سنورس ثم طلبت نقلها إلى مسقط رأسها مدينة طهطا لتسطيع أن تقوم بواجبها تجاه أهالى بلدتها خاصة النساء منهم، وتشغل الآن سنة ١٩٢٦ منصب طبيبة بمستشفى الملك فؤاد بطهطا «ومهارتها الطبية ذاع صيتها فى تلك الجهات وحازت شهرة عظيمة»[٤٠].

ومن هنا فإن الطبيبة خديجة أفندى [٤١] خليل تعتبر بحق أول طبيبة مصرية نجحت فى مهمتها وأدت واجبها تجاه أبناء صعيد مصر، وصورت قدرة الفتاة الصعيدية المصرية على رفع راية الحركة النسائية فى مجال الطب إذ أننا لم نعرف قبلها فتاة مصرية تخرجت فى كلية طب القصر العينى. وعملت طبيبة بين جماهير الشعب المصرى.

والواقع أن الحركة النسائية فى مجال تعليم البنت أو المسيرة النسائية فى طريق التقدم العلمى فى حياة مصر استمرت بخطى واسعة أدت إلى النتائج التى وصلت إليها المرأة المصرية الآن ولنلمس ذلك بوضوح، نعش الحقائق التالية، فقد بلغ عدد الطالبات المتقدمات إلى المدارس الثانوية للبنات فى العام الدراسى سنة ١٩٣١، ١٩٣٢، ٥٠٠ طالبة وزعن على المدارس الثانوية القائمة حينذاك بمصر وهى فى القاهرة مدارس السنية والأميرة فوزية والأميرة فوقية وحلوان، وفى الإسكندرية مدرسة الأميرة فائزة، وعلقت مجلة فتاة الشرق التى نشرت هذا الخبر أنه بالرغم من وجود أماكن خالية بمدرسة الأميرة فائزة إلا أن وزارة المعارف رفضت قبول عدد كبير تقدم لها منهن وذلك لأن «سنهن لم تكن منطبقة

على النظام السابق أى ثمانى عشرة سنة ليسمح لهن بالالتحاق بالمدارس الثانوية [٤٢]، وأصدرت الحكومة قانون التعليم الإلزامى سنة ١٩٢٤ وأنشأت تطبيقًا له عددًا كبيرًا من المدارس الأولية لاستيعاب أطفال مصر من الجنسين، إلا أن هذاالقانون وما اتبعه من تنفيذ لم يؤت ثماره المرجوة، للمناهج التعليمية التى طبقت فيه وعدم إيمان القائمين عليه برسالته بين طبقات الشعب المصرى الكادحة، وهذه الطبقات كانت جمهور هذه المدارس.

وفى إحصاء رسمى عن عدد تلميذات المدارس المصرية سنة ١٩٢٣ كانت كالآتى:

نوع الدراسة	عدد التلميذات	تاريخ إنشائها
رياض أطفال	٣٠٦	١٩١٨
مدارس أولية	٢٢٣٣٥	١٩٠٩
مدارس ابتدائية	٢٤٧	١٨٨٢
مدارس ثانوية	٧٢	١٩٢٠
معلمات أولية	٩١٧	١٩٠٣ [٤٣]

ولقد كان المجتمع المصرى يحتفل بتفوق المرأة فى مجال التعليم فقد أقام الاتحاد النسائى حفلاً كبيرًا لأول دفعة نسائية تخرجت فى الجامعة ودعى معهن أول طيارة مصرية تعلمت الطيران فى نفس الوقت سنة ١٩٣٣ وهى لطفية النادى، ولقد ألقى الشاعر العربى «خليل مطران» قصيدة [٤٤] فى هذا الاحتفال قال فيها:

هن اللدات السابقات ثقافة ... أخواتهن من الملاح الخرد
الغازيات قلوب عشاق النهى ... بالفضل لا بمنتف ومهند
الغانيات بمعنويات الحلى ... عن لؤلؤ بنحورهن وعسجد
ما بين مصعدة بأجنحة وقد ... عاد الثرى كجناح لغير المصعد
ونصيرة لأولى الحقوق تصونها ... لمن يصول على الحقوق ويعتدى

وطبيبة تأسو ولا تقسو فمن ... يدها يمر النصل مر المرود
وأديبة بلغت مدى مطلوبها ... فى العلم من مستطرف أو مقعد
زاد المناصب للفخار عفافها ... وبغير ذاك القيد لم تتقيد

ولقد زاد عدد طالبات الجامعة بعد تخرج الدفعة الأولى منهن إذ بلغ ١٦٥ طالبة فى سنة ١٩٣٥، وبلغ عدد الحاصلات على شهادات عالية فى تعداد سنة ١٩٣٧ (١٩٧٩) وفى تعداد سنة ١٩٤٧ بلغ عددهم ٤٠٣٣ وزاد حسب تعداد سنة ١٩٦٠ إلى (٢٣٦٣٥) [٤٥]، ووصل عدد الطالبات بالكليات المختلفة حسب آخر إحصاء للعام الدراسى ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ (٣٧,٤٥٥) وبلغ عدد الطالبات بجامعة الأزهر فى نفس العام ٢٢١٥ طالبة، وعدد الحاصلات على شهادة إتمام الدراسة الثانوية لعام ١٩٦٨ـ ١٩٦٩ (٢٥,٦٦٥) [٤٦].

واليوم ونحن نشاهد مع شمس كل صباح آلاف الفتيات يتوجهن إلى دور العلم المختلفة نذكر بكل إكبار وامتنان كفاح هؤلاء السابقين الذين عبدوا لنا الطريق والذين بفضل كفاحهم هذا العظيم انتقلت فتاة مصر من حالة تعبر عنها هذه الكلمات التى تصف حالة الوضع التعليمى للمرأة فى سنة ١٨٣٥ من أنه «ليس فى مصرمدارس للنساء إلا مدرسة الولادة فى أبى زعبل وأهل مصر لا يبالون بتعليم بناتهم فى المدارس، ولا فى البيوت وربما عدوا ذلك عارًا [٤٧]. إلى حالة نحدثنا عنها آلاف الوجوه النسائية والتى تجلس على كراسى العلم والعمل فى ثقة. والواقع إن ما حققته الفتاة المصرية فى تاريخها التعليمى القصير ليعد معجزة من معجزات مصرالحديثة، فقد أنشئت أول مدرسة ثانوية ١٩٢٠، والتعليم الثانوى كما نعلم هو مفتاح التعليم العالى، ثم ضمت إليها أخرى سنة ١٩٢٩، وفى السنة التالية أصبحت خمس مدارس ثانوية للبنات، ثم مضت حوالى عشر سنوات دون زيادة حتى كانت سنة ١٩٤١ عندما أضيفت مدرسة أخرى فأصبحت ٦ مدارس.

وبعد أن تولت أمر النظارة والتفتيش الفتاة المصرية تعددت أنواع المدارس الثانوية فأصبح فيها الفنية مثل الفنون الطرزية والثقافة النسوية والتجارة

الثانوية والزراعة المتوسطة كما عنى بتعليم المكفوفين. ومن السيدات اللاتى وصلن إلى مراكز إدارية فى وزارة المعارف فى بداية عهد المرأة بالعمل فيها نقرأ أسماء «سنية عزمى ونظلة الحكيم ومنيرة صبرى وعايدة وقائى وإنصاف سرى» حيث تولين إدارات تعليم البنات بالوزارة.

وقد فتحت كليات الجامعة أبوابها التى كانت موصدة فى وجه المرأة وذلك بعد كفاح النساء وإلحاحهن فى منح المرأة حقها فى التعليم بأنواعه المختلفة فوجدنا كلية الطب تفتح أبوابها للفتاة سنة ١٩٢٨ حيث التحقت بها ست فتيات، وكليات الآداب والحقوق سنة ١٩٢٩ وكلية التجارة قبلت الفتاة لأول مرة فى العام الدراسى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ والتحقت بها أربع فتيات هن: علية إسماعيل ونبوية الشافعى وسعاد محمود وفاطمة الحكيم. وحذت حذوها كليتا الهندسة والزراعة عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ وفى العام التالى سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ فتحت كلية الطب البيطرى أبوابها للفتاة. أما كلية «دار العلوم» فقد كان التحاق الفتاة بها فى عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ وتم انتصار الفتاة فى مجالات التعليم المختلفة بدخولها الأزهر الشريف سنة ١٩٦٢ حيث بلغ عددالطالبات بكلية البنات بالأزهر سنة ١٩٦٥ (٥٣٣) طالبة، وبلغ عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ (١,٨١٢) طالبة.

وبالرغم من أن تعليم البنين سبق تعليم البنات [٤٨] فإن اجتهاد الفتاة فى مجالات التعليم المختلفة قد قربت الشقة بين الجنسين! وبذلك استطاع التعليم العام للبنات أن يلاحق تعليم البنين، إذ كانت نسبة البنات إلى البنين ٣٧٪ سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ فأصبحت ٥٢٪ فى سنة ١٩٥١ـ ١٩٥٢، وارتفعت إلى ٦٨ ٪ سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥.

أما التعليم الجامعى للبنات فقد أخذ يلاحق تعليم البنين أيضًا بسرعة عظيمة.

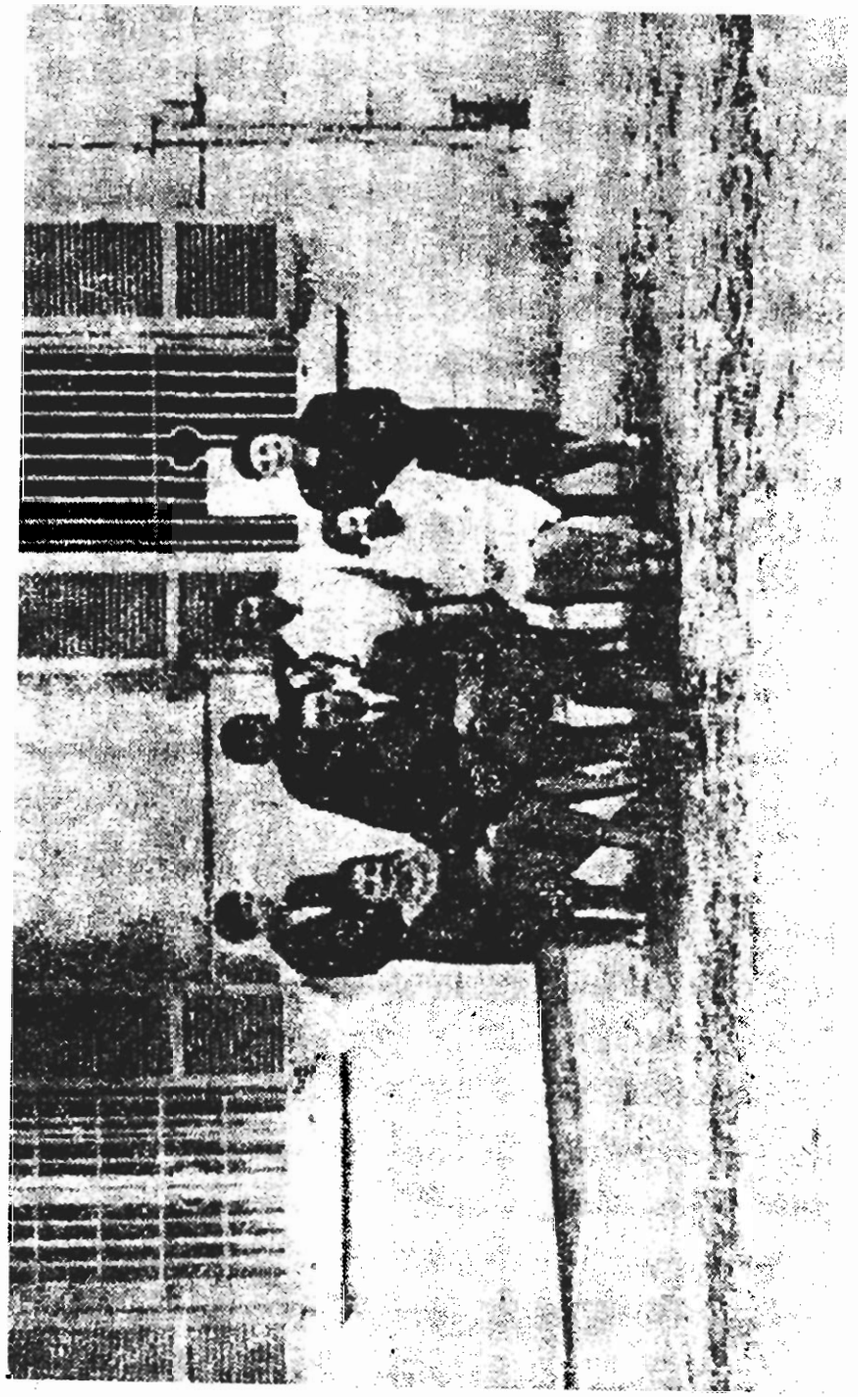

صورة تذكارية لأول دفعة تلتحق بكلية طب القصر العينى التقطت لهن بفناء كلية علوم القاهرة فى مبناها القديم بالعباسية فى العام الدراسى ١٩٢٨ - ١٩٢٩ وهن الجالسات من اليمين نفيسة محمد أحمد ود. بنجهام عميد علوم القاهرة الإنجليزى وعايدة أنطون والواقفات من اليمين فاطمة حسن فهمى وزينب إبراهيم وسعادات راشد وحكمت حسن البدرى.

وهذا جدول يبين نسبة التعليم الجامعى للمرأة إلى عدد الطلبة الكلى فى الكليات المختلفة.

الكلية	١٩٥٥	١٩٦٥
آداب	٪ ٢٨,٣	٪ ٦٥,٦
الحقوق	٪ ٦,٨	٪ ٢٥,٢
التجارة	٪ ٧,٩	٪ ٤٣
العلوم	٪ ١٦,٦	٪١٧,٣
الطب	٪ ١٣,٢	٪ ٢٣,٨
الصيدلة	٪١٣,٥	٪ ٣٨,٤
طب أسنان	٪١٧,٥	٪٢٧,٦
الهندسة	٪ ٠,٣	٪ ٧,٥
الزراعة	٪ ١٠,٦	٪ ٢٤
الطب البيطرى	٪ ٤,٨	٪ ٩,١
دار العلوم	٪ ٧,٩	٪ ١٨,٤
معهد التربية للمعلمات	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠
الاقتصاد والعلوم السياسية	-	٪ ٤٥,٥
طب المنصورة	-	٪ ١٩,٥
طب طنطا	-	٪ ٢٢,٣
معهد التمريض العالى	-	٪ ١٠٠
كلية البنات	-	٪ ١٠٠
كلية التربية	-	٪ ١٧,٢ (٤٩)
كلية البنات بالأزهر	-	٪ ١٠٠

ويرجع تقدم المرأة فى مجالات التعليم لشعورها بحاجتها الملحة إليها، وإدراكها أن نجاحها فى هذه الحالات تأكيداً لشخصيتها التاريخية فى بناء الحضارات الإنسانية. وأن أى تغيير يصيب وضعهاالقائم فى المجتمع لابد وأن يقوم على أكتافها وهى مسلحة بأسلحة البناء فى الدول الحديثة، كما كان لتفوق المرأة فى ميادين العلوم أن تغيرت النظرة القديمة إليها، وتغير تبعا لذلك الإطار الاجتماعى والفكرى والاقتصادى والخلقى الذى كانت تتحرك من خلاله المرأة، ولم يفعل ذلك اكتساح المرأة للميادين العلمية فحسب، بل إنها قضت على القيم البالية أو فى سبيل القضاء على القيم التى خلقها الرجل من أجيال طويلة. وأحاطت عالم النساء بقيود عاشت المرأة السنين الطويلة لا تعرف لها فكاكا وأكثر من هذا، الأحكام غير العادلة التى أصدرها الرجل فيما يختص بقدرات المرأة العقلية والبدنية والنفسية ورضيت بها المرأة قرونًا كارهة أو راضية حتى رسخت هذه الأحكام عند البعض بأن المرأة دون الرجل فى تلك القدرات، فقد أصبحت هذه الأحكام اليوم فى خبر كان أو غير ذات موضوع، وما كان ليحدث هذا لولا تشبث المرأة بحقها فى التعليم ونضالها فى دروبه المختلفة وتشبثها بالأخلاق القويمة ذا الفاعلية البناءة، وإصرارها على النجاح وتحقيق المستحيل من الآمال لتمهد للأجيال القادمة من نساء مصر والعالم العربى لحياة طيبة.

إن نجاح نساء مصر فى مجالات العلم المختلفة لاتحتاج إلى دليل، وما ذلك النجاح إلا؛ لأنها أرادته لنفسها وشعرت بحاجتها الملحة إلى تحقيقه، ومن هنا فإن المرأة إذا أرادت شيئًا وشعرت أن هذا الشىء يعبر عن شخصيتها، ووجودها الإنسانى فإنها تصل إليه بإيمانها باللّه وبإيمانها بنفسها، ومن هنا فإننى أرى عدم نجاح نسائنا فى بعض الميادين الأخرى خارج نطاق العلم والعمل يرجع إلى أن العاملين بهذه الميادين نظرن إليها على أنها مكملة لجزء من حياتهن لا تمثل حياتهن كلها، كما نظرت المرأة المصرية إلى التعليم بهذه العقيدة أى لا حياة لمن لا علم لديها.

وأخيرًا أختتم هذا الفصل بآخر إحصائية عن عدد طالبات مراحل التعليم المختلفة:

التعليم الابتدائى	السنة الدراسية
التعليم الابتدائى ١,٣٧٦,٩٥٢	
التعليم الإعدادى عام ٢٥٣,٧٧٩	
التعليم الإعدادى الفنى ٨٩١	
التعليم الثانوى العام ٩٢,٨٢٥	١٩٦٩ - ١٩٧٠
التعليم الثانوى الفنى ٧٣,١٣٧	
التعليم لمعاهد المعلمات ١١,٣٩٦	
التعليم الجامعى ٣٧,٤٥٥ (٥٠)	

ومع ذلك فإن عدد البنات اللائى فى سن التعليم ولا يذهبن للمدارس بلغ عددهن أكثر من ٣ ملايين. ومن هنا نجد أن قضية تعليم المرأة خاصة محو أميتها، لابد من الاهتمام بها؛ لأنه من العار بعد هذا الكفاح المرير من أجل تعليم المرأة تصل نسبة الأميات من النساء إلى حوالى ٨٣ ٪ وإننا إذا أردنا أن نقضى على أمية الشعب العربى يجب علينا نحن نساء العرب أن نكافح من أجل القضاء على أميتنا؛ لأن الأم المتعلمة أو المثقفة لا تعطى الأمة أجيالا جاهلة أو أمية فهل فى استطاعتنا أن نتولى هذه القضية المهمة بشىء من الجدية والإصرار على القضاء عليها.

هوامش الفصل الخامس

(١) انظر فى ذلك زينب فريد - تعليم البنت فى مصر - رسالة ماجستير كلية التربية - جامعة عين شمس ١٩٦١.

(٢) راجع فى ذلك جرجس سلامة - تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر - القاهرة سنة ١٩٦٣.

(٣) كانت البنت إذا بلغت العاشرة من عمرها تحجز بالمنزل ليتم تزويجها وتحجب عن الأغراب خارج نطاق أسرتها مثل الأخ والأب.

(٤) انظر فى ذلك عمر طوسون تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٩٥ - ٢٩٩ القاهرة. سنة ١٩٣٧.

(٥) عمر طوسون - تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٩٥ - ٢٩٩ - القاهرة ١٩٣٧.

(٦) عمر طوسون - مرجع سابق ص ٣٠٠.

(٧) انظر عمر طوسون - مرجع سابق ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٨) راجع فى ذلك بالتفصيل كلوت بك لمحة عامة إلى مصر الجزء الثانى فى حديثه عن مدرسة الولادة ص ٢٣٨ - إلى ص ٦٤٢ ومحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم فى عصر محمد على وزينب فريد تعليم البنت فى مصر رسالة ماجستير جامعة عين شمس ١٩٦١.

(٩) راجع فى ذلك صحيفة الوقائع المصرية - العدد ٥٧٦ الصادر فى٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٤.

(١٠) زينب فريد - مرجع سابق.

(١١) من حديث شخصى مع من بقى على قيد الحياة من تلميذات وصديقات وأولاد الخريجات ومن الرجوع إلى ثائق التربية والتعليم ومدرسة السنية.

(١٢) عندما أنشئت مدرسة الحلمية الثانوية سنة ١٩٢٠ لم تكن تعطى خريجاتها شهادة البكالوريا لتأهلهن للتعلم الجامعى حتى أنشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥، وهنا سمحت الحكومة للفتاء؛ لأن تدرس العلوم الثانوية أسوة بالفتى للحصول على البكالوريا وفعلا حصلت أول دفعة نسائية عليها سنة ١٩٢٨.

(١٢) راجع كرومر فى تقريره عن حالة البلاد التعليمية سنة ١٩٠٥.

(١٣) محمد رشيد رضا - تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ص ٨٩٥ وما بعدها القاهرة ١٩٣١.

(١٤) راجع فى ذلك مجلة أنيس الجليس أكتوبر سنة ١٩٠٠ والسنة الرابعة سنة ١٩٠١.

(١٥) الكسندر أفرينوا - أنيس الجليس مقدمة العدد الرابع السنة الأولى سنة ١٨٩٨

(١٦) أنيس الجليس العدد الأول - السنة الأولى ص ١٥ - سنة ١٨٩٨.

(١٧) راجع النهضة النسائية العدد ٤ السنة ٩ ص ١٢٧.

(١٨) ص. إلياس ـ الجنس اللطيف العدد ٥ السنة الثانية ص ١٣٤.

(١٩) هى سارة محمد الميهية إحدى القيادات النسائية التى عاصرت الحركة النسائية منذ بداية هذا القرن حتى الآن متعها الله بالصحة.

(٢٠) راجع فى ذلك فتاة النيل العددين الأول والثانى السنة الأولى سنة ١٩١٣.

(٢١) راجع صحيفة العفاف السنة الرابعة سنة ١٩٢٣.

(٢٢) على الجبيلى الغزالى ـ المرأة المصرية العدد السابع السنة ١٤ ص ٢٤٠ ـ القاهرة سنة ١٩٣٤.

(٢٣) جميلة العلايلى ـ النهضة النسائية العد السابع السنة ١٧ ص ٢٦٩.

(٢٤) راجع مجلة النهضة النسائية فى سنتها السابعة سنة ١٩٣٠.

(٢٥) لبيبة أحمد ـ النهضة النسائية ـ العدد الثانى ـ السنة الثالثة ص ٣٨ فبراير سنة ١٩٠٤.

(٢٦) هاشم إبراهيم ـ النهضة النسائية ـ العدد ٥ السنة ١٧ ص ١٥٤ مايو سنة ١٩٣٩.

(٢٧) إسماعيل سعفان ـ النهضة النسائية ـ العدد الثانى السنة ١٧ ص ٦١ فبراير سنة ١٩٣٩.

(٢٨) من حديث شخصى مع اللواء عبد المنعم موسى ابن شقيق السيدة نبوية موسى ومع المسئولين فى وزارة التربية والتعليم لمناقشة شئون التعليم وكانت نبوية موسى عضوًا به.

(٢٩) عقد فى يناير سنة ١٩٤٢ مؤتمر لمناقشة شئون التعليم فى مصر، وكانت نبوية موسى عضوًا به.

(٣٠) نبوية موسى ـ الفتاة ـ العدد ٢١٠ السنة الرابعة ص٥ ـ ٨ مارس سنة ١٩٤٢.

(٣١) لترى حقيقة هذا الأمر ارجع إلى مجلة الفتاة فى أعدادها الصادرة من سنة ١٩٣٨ حتى سنة ١٩٤٣.

(٣٢) هاجمت نبوية هذا القانون فى رسوم الكاريكاتير والكارتون وأطلقت عليه اسم قانون الجهل الحر.

(٣٣) نبوية وسى ـ مقدمة ديوانها الشعرى ـ القاهرة سنة ١٩٣٨،

(٣٤) هو صاحب الجريدة ومن أفسح صفحاتها منذ سنة ١٩٠٧ للدفاع عن تعليم المرأة وتحررها وشجع رائدات الحركة النسائية وقتذاك للتعبير عن أفكارهم على صفحات جريدته مثل ملك حفنى ناصف «باحثة البادية».

(٣٥) سأتكلم عن هذه الجمعية بالتفصيل فى كتاب قادم إن شاء الله.

(٣٦) انظر فى أمر هذه المحاضرات: ـ أمين سامى التعليم فى مصر ـ القاهرة سنة ١٩١٧، ومجدى الدين حفنى ناصف ـ آثار باحثة البادية ـ القاهرة سنة ١٩٦٢، ومجلة فتاة الشرق السنة الخامسة سنة ١٩١١.

(٣٧) فاطمة عمر هى شقيقة السياسى المصرى عبد العزيز فهمى (باشا) رفيق سعد زغلول فى ثورة سنة ١٩١٩ وسكرتير الجامعة الأهلية وقتذاك وقد تخرجت فاطمة عمر فى مدرسة السنية سنة ١٩٠٤.

(٣٨) انظر فى ذلك تقويم جامعة القاهرة لسنة ٦٩ ـ ١٩٧٠ وأحمد عبد الفتاح بدير ـ الأمير أحمد فؤاد ص ٢١١ القاهرة ١٩٥٠.

(٣٩) انظر فى ذلك مجلة السيدات ـ العدد الأول ـ السنة السابعة ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥.

(٤٠) ارجع فى ذلك إلى مجلة الحسان العدد ٢١ السنة الثانية ١٣ فبراير سنة ١٩٢٦ وأعتقد أنها كانت حكيمة لقصر مدة دراستها للطب.

(٤١) كان لقب أفندى يمنح من الدولة لكل خريج مدرسة عليا، ولما كان الخريجون جميعًا من الرجال كان من المألوف أن يحمل الرجل إلى جانب اسمه لقب أفندى، وعندما تخرجت خديجة لقبت بالأفندى إلى جانب اسمها.

(٤٢) ارجع فى ذلك إلى ـ فتاة الشرق ـ العد ١٣ السنة ٢١ ص ٩٧ ـ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٣١.

(٤٣) الوثائق الرسمية بوزارة التربية والتعليم.

(٤٤) فى الحفل الذى ألزمه الاتحاد النسائى لرائدات العلم فى نوفمبر سنة ١٩٣٣.

(٤٥) التعداد للسكان لعام ١٩٣٧و ١٩٤٧و ١٩٦٠.

(٤٦) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ـ المؤشرات الإحصائية لجمهورية مصر، يوليو سنة ١٩٧٠.

(٤٧) راجع فى ذلك كتاب الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار مالطة سنة ١٨٣٥.

(٤٨) أول مدرسة ابتدائية أنشئت للبنين كانت فى سنة ١٨٣٣ «المبتديان» وأول مدرسة ابتدائية للبنات السيوفية سنة ١٨٧٣ وأنشئت المدرسة التجهيزية «الخديوية الثانوية» سنة ١٨٣٦ وشبرا الثانوية للبنات سنة ١٩٢٥.

(٤٩) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء. مرجع سابق.

(٥٠) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء. مرجع سابق.

الفصل السادس

الحركة النسائية فى مجال عمالة المرأة

ذكرنا فى بداية الفصل الماضى إن تعليم المرأة كان أحد المظاهر المهمة للحركة النسائية فى بلادنا. ولقد نتج عن نجاح المرأة المصرية فى هذا المجال وحصولها على المؤهلات العلمية التى ينالها الرجل، أن برزت إلى الوجود الاجتماعى والاقتصادى عندنا، قضية مطالبة المرأة بحقها فى العمل أسوة بالرجل متى تساوت معه فى المؤهل الذى يحمله ويعمل بمقتضاه، وكان لخروج المرأة للعمل أن ظهرت قضايا فرعية مثل سفور المرأة، لأنه ليس من المعقول أن تخرج المرأة للعمل محجبة، ثم قضايا أخرى كاقتباس النساء عندنا، العادات الأجنبية، خاصة فى الملبس والسلوك الاجتماعى لديهن، ولقد تكلمت عن هذه القضايا الفرعية فى الفصلين الثالث والرابع وبقى أن تتناول القضية الأساسية لتلك القضايا، وأعنى بها دخول المرأة دنيا العمل خارج عملها المنزلى، ولأهمية هذا الموضوع أخصص هذا الفصل للحديث عنه.

ولقد عرفت المرأة المصرية ميدان العمل اليدوى منذ فجر التاريخ، وقد يكون آليًا فى العصر الفرعونى، بيد أنه ليس لدينا مراجع علمية تؤكد ذلك، وتعد المرأة الريفية عندنا امتدادًا للمرأة الريفية منذ بداية تاريخنا على هذه الأرض منتذ أكثر من سبعة آلاف سنة وهذه المرأة تساعد الرجل الريفى فى أعماله فى الحقل، وتقوم بنفس الأعمال الشاقة التى يقوم بها كحرث الأرض، وحصد المزروعات، وتربية المواشى ورعايتها، هذا فضلا عن إنتاجها التقليدى فى المجال البشرى، كذلك تساعد ابنة الطبقة الدنيا الرجل العامل فى أعماله اليدوية لتزيد دخل الأسرة خاصة فى التجمعات العمالية القديمة مثل مدينة المحلة الكبرى[1]،

إذ أننا كثيرًا ما نرى المرأة هناك تقوم بجزء كبير من عملية الغزل وإعداد هذا الغزل للنسيج، بالرغم مما يتطلبه هذا العمل من القوة العضلية والصبر والدقة، وقد تأخذ المرأة أجرًا على عملها طوال اليوم، غير أن هذا الأجر لا يتعدى ملاليم قليلة.

وأول مهن أدتها المرأة بأجر معقول مهنة القابلة والماشطة وحياكة ملابس النساء والأطفال، وهذه المهن كما نرى تتصل بدنيا الأنوثة عند المرأة، وغالبًا ما تتوارثها البنات عن الأمهات، وأصبحت القابلة مؤهلة علميًا بعد تخرجها من مدرسة المولدات كما مر بنا فى الفصل السابق، وكمدرسة بها وكانت أولى المدرسات بهذه المدرسة «جليلة تمرهان»، ثم فى ١٩٠٣ تخرجت أول دفعة من قسم دبلوم معلمات السنية، وتكونت هذه الدفعة من الفتاتين ملك حفنى ناصف - باحثة البادية - وفيكتوريا عوض. وعاشت دنيا عمالة المرأة وقفًا على مهنتى القابلة والمدرسة حتى تخرج من الجامعات الأجنبية والمصرية محاميات وطبيبات وحدثك الفصل الماضى عن هذا الموضوع بالتفصيل، وتعد منيرة ثابت أول محامية تخرجت فى مدرسة الحقوق الفرنسية العليا فى مصر، إذ تخرجت سنة ١٩٢٥ كما تعد هى أيضًا أول فتاة جامعية تعمل فى مجال الصحافة وتلتها أمينة السعيد التى عملت فى مجال الصحافة بعد تخرجها من الجامعة المصرية سنة ١٩٣٤ - قسم اللغة الإنجليزية، بكلية الآداب - وتخرجت من كلية الطب بإنجلترا كوكب حفنى ناصف، وهيلانة سيداروس سنة ١٩٣٠، ونفيسة محمد أحمد وزينب[٢] إبراهيم وحكمت البدرى أول طبيبات من الجامعة المصرية ١٩٣٥ وعزيزة رضوان وهانم عبدالخالق وحكمت الشافعى أول فتيات حصلن على بكالوريوس كلية العلوم ١٩٣٥.

وتوالت بعد سنة ١٩٣٣ تخرج الفتيات المصريات من الجامعة بكلياتها المختلفة كنتيجة لتقدم تعليم المرأة، وبذلك تعددت المهن التى بدأت تعمل بها المرأة تبعًا لذاك التقدم، ورأينا «علية إسماعيل» سنة ١٩٤٠ أول محاسبة تعمل خارج نطاق الحكومة و«لطفية النادى» أول فتاة تقود طائرة سنة ١٩٣٣، وحكمت أبو العينين أول وكيلة نيابة بوزارة العدل وفاطمة الملاحظ أول من عينت بالطب الشرعى سنة

١٩٤٤. و«أمينة الحفنى» أول مهندسة سنة ١٩٥٠، وأول مذيعة ينقل الأثير صوتها إلى جماهير مستمعى راديو القاهرة هى «صفية المهندس» سنة ١٩٤٥، وهكذا تعددت مهن النساء تبعًا لتخصصهن فى العلوم المختلفة وتبعًا لاختلاف الكليات والمعاهد التى تلقين العلم بها، وقد مر بنا منذ قليل التاريخ الصحيح لولوج الفتاة المصرية للكليات المصرية المختلفة.

هذا وكان عهد العاملة المصرية بالعمل الآلى فى أوائل الثلاثينيات بمصنع الغزل والنسيج بمدينة المحلة الكبرى والتابع لبنك مصر والذى أنشئ بهذه المدينة عام ١٩٢٧ ولم تذهب الفتاة لتعمل هناك؛ لأنها آمنت بالعمل الآلى كخطوة لتقدم الحركة النسائية فى مجال العمالة النسائية، بل ذهبت لحاجتها إلى المال وغالبًا ما كانت ابنة الطبقة الفقيرة لضمان عمل دائم وأجر ثابت، ويدر عليها أكثر قليلا من عملها فى المصانع الصغيرة اليدوية أو فى الحقول، والغريب إننا نحن أبناء مدينة المحلة كنا ننظر إلى من يعمل فى هذا المصنع سواء أكانوا من النساء أم من الرجال بازدراء واحتقار، لاعتقادنا أنهم لا يملكون عملا خاصًا بهم وأنهم يعملون بالمصنع لأنهم عاطلون، وكنا نطلق عليهم (شركاوية)، وكان من يتصف بهذه الكلمة لا تجرؤ العائلات الكبيرة أو حتى المتوسطة على الزواج منهم أو تقبل سكناهم عندها إذا أراد العامل أر العاملة من غير أبناء المحلة أن يؤجر سكنًا، غير أن كل هذا قد تغير بالتدريج حتى اختفت تمامًا بعد الحرب العالمية الثانية، لدرجة أن خريجة الجامعة من بنات المحلة نفسها فضلت العمل بالمصنع على العمل بالحكومة. وأعتقد أن هذا لم يكن حال أهالى مدينة المحلة الكبرى وحدها، بل هى نظرة أهالى غيرها من مدن مصر قبل الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وذلك لعدة أسباب أهمها:

- نظرة الرأى العام لعمل المرأة على أنه مذلة ولا يليق بنساء العائلات الثرية أو حتى المتوسطة. ومن ثم اتجه للعمل نساء الطبقات الفقيرة لحاجتهن الماسة إلى المال، وتلك النساء بالطبع لم يكن لديهن مؤهلات علمية أو مهنية، فكنَّ يعملن فى المهن والحرف البسيطة.

● سيادة النظريات الرجعية فى مجتمع ذاك الزمان واعتبار العمل ضرورة لكسب العيش، وليس واجبًا من أجل تقدم المجتمع ورفاهية الوطن، وتأكيدًا للوجود الإنسانى للفرد، لذا كان المواطن الرجل لا المرأة فقط، يتفاخر بإرثه ثروة عن والديه وأجداده وأنه ليس ممن يمتهنون عملا.

● اعتماد المرأة فى معيشتها المادية كلية على الرجل لأجيال طويلة مما جعل هذا عقيدة ترسب فى عقلية المرأة نفسها وأنها يجب أن تكون عالة على أحد أفراد أسرتها من الرجال القادرين، حتى من كانت تجد عملا من النساء كانت تؤمن فى قرارة نفسها أن هذا العمل إنما لفترة مؤقتة، فإذا ظهر العائل وغالبًا ما يكون زوجًا، فإنها سرعان ما تترك العمل، لأنه أصبح غير ذات موضوع فى حياتها.

● ومن العوامل التى كانت تحد من عمل المرأة عدم تقبل الرجل منافسة المرأة فى ميادين العمل، ونظرته إلى ذلك بأنها تشاركه فى لقمة عيشه، وأن مساهمتها فى مجالات العمل المختلفة إنما يؤدى به إلى البطالة، ومن هنا لجأ إلى محاربة دخول المرأة إلى ميادين العمل بكل ما يملك من قوة ومنطق سقيم، وتقاليد وعادات بالية وتشويه لتعاليم الدين الإسلامى السمحة، وهى التى حررت الفرد سياسيًا وفكريًا واقتصاديًا.

● احتقار المرأة للعمل، خاصة ابنة الطبقتين الأرستقراطية والبورجوازية ورفضها الزواج ممن يعمل بيديه ويعول نفسه، وتفضيلها عليه من ينتمى إلى طبقة أولاد الذوات من الرجال، والذين نظروا للمرأة على أنها عنصر تسلية عملها الأول والأخير القيام بالتسرية عنهم والقيام على خدمتهم، حتى الإنتاج البشرى بالنسبة لنساء تلك الفئة كان يوكل به إلى طبقة العاملين فى الخدمة المنزلية، ومن ثم وجه نظر المرأة إلى العناية الفائقة بإمكاناتها الأنثوية وإهمال إمكانياتها العقلية وإيهامها بأن الحياة لا تحتاج إلا إلى وظائفها العاطفية فقط كزوجة.

ولكى تحطم النابهات من النساء تلك العقبات، وإخراج المرأة عن تلك الحياة الضيقة، خاضت بعض الأقلام معركة العمالة النسائية، وإتاحة فرص العمل المختلفة أمام المرأة، خاصة بعد أن حصلت الفتاة المصرية على مؤهلات علمية تتيح للحاصل عليها من الفتيات مجالات عملية ممتازة مثل مجالات الطب والهندسة والمحاسبة والصحافة والمحاماة والإدارة... إلخ.

وقد وصل آخر تعداد لتوزيع المرأة العاملة على الأنشطة الاقتصادية المختلفة كالآتى:

النشاط الاقتصادى	العدد لسنة ١٩٦٧
الزراعة.	٧٦٣,٠٠٠
المناجم والمحاجر.	٣١٧,٠٠٠
الصناعات التحويلية.	٦٦,٩٠٥
التشييد والبناء.	١,٨٢٣
الكهرباء والغاز والمياه.	٢٦٤
التجارة.	٣٧,٠٦٢
النقل والمواصلات والتخزين.	٢٤٦٦
الخدمات.	٢٢,٥٢٥
نشاط غير واضح.	٨٨,٠٠٠
الجملة	١,٣٢٩,٤٥١[٢]

ولم تصل المرأة عندنا إلى هذا إلا بعد كفاح مرير من بعض المصلحين من الجنسين الذى منحهم الله سبحانه وتعالى بعد نظر وصفاء التفكير. والواقع أن أول من طالب بتشغيل المرأة فى مصر هو «رفاعة رافع الطهطاوى» فى كتابه «المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين» وقد مر الإشارة إلى ذلك، وذكرنا قوله عن البطالة إنها «إذا كانت غير مرغوبة فى حق الرجل، فهى مذمة مرزولة فى

حق المرأة». ثم تبعه قاسم أمين فى كتابه «تحرير المرأة» حيث أكد إن الشريعة الإسلامية تدعو لتعليم المرأة وعملها وانتشالها من الفراغ القاتل يؤدى بالنساء إلى الفساد وإهمال شئونهن وشئون أسرهن.

وطالب محمود السخاوى ناظر مدرسة المحمدية برمل الإسكندرية سنة ١٨٩٨ بتعليم المرأة وتركها تعمل، وكتب محمود إبراهيم عن مستقبل النساء فى مصر بمناسبة حصول بعض الفتيات على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠، وتساءل أنه لو «قدمت إحدى الفتيات المتحصلات على شهادة الابتدائية طلبًا لإحدى المصالح بغرض التوظف فى وظيفة خالية بما لا يزيد مرتبها عن عشرة جنيهات[٤]، فهل يحوز هذا الطلب قبولاً، أو يقال: إن لائحة الاستخدام لم تصرح باستخدام المرأة فى دوائر الحكومة، ويستطرد مبينًا بأنه قد تكون الحكومة خائفة من: «إنشاء معاهد عليا للبنات ومساوتهن بالرجل فى التعليم، فيطالبن بحقوقهن وتضطر أن تجاريهن على هذه المطالب، وترى فى النساء أهلية وكفاءة لتولى المناصب وإشغال الوظائف فتعطيها لهن، ويصبح الرجل معها محرومًا من المنافع والارتقاء، ولا يخفى قدرة النساء على الأعمال، وفرط ذكائهن واجتهادهن وتأدية خدماتهن بالأمانة والذمة»[٥].

وفى سنة ١٩٠٧ دعت صاحبة مجلة أنيس الجليس إلى إقامة جمعيات تقوم لتعليم اليتيمات من المصريات مهن مناسبة مثل الحياكة وأعمال الإبرة والتطريز حتى يتسنى لهن إعالة أنفسهن دون اللجوء إلى امتهان أعمال غير شريفة تؤدى بهن إلى الانحراف لحاجتهم إلى من يعولهن ماديًا.

وانصرفت رائدات الحركة النسائية إلى الدعوة لتعليم الفتيات، لا من أجل العمل فى حد ذاته، بل من أجل ارتقاء المرأة المصرية عقليًا وثقافيًا واجتماعيًا حتى تتكيف مع أخيها العائد من الخارج بعد إتمام تعليمه، أو مع من نال من العلوم بالداخل، وكان الفتى قد سبقها فى مضمار العلم بسنوات طويلة، كما مر بنا فضلا عن وجود الأزهر الشريف منذ حوالى ألف عام، وكانت العلوم فيه قاصرة على الفتى وحده، كما أرسلت أول بعثة علمية من المصريين للخارج فى سنة ١٨١٢، وأرسلت أول بعثة علمية من الفتيات لتلقى علومها بالخارج حوالى

سنة ١٩٠٦[٦]، وأهم هذه البعثات النسائية هى البعثة الكبرى التى سافرت إلى إنجلترا سنة ١٩٢٦ وعادت سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ ويحمل أفرادها شهادات جامعية فى تخصصات مختلفة أهلتهن للعمل فى مناصب مهمة فى ميدان التعليم بمصر.

غير أنه بعد أن تخرجت الفتاة من الجامعة سواء من الخارج أو من مصر رأت أنه ليس من المنطق أن تقبع المرأة المصرية فى المنزل دون اللجوء إلى العمل الذى يؤهلها إليه تعليمها، لذا حاربت من أجل إفساح المجالات العلمية المغلقة أمام المرأة. وتبع كفاح نساء مصر من أجل التعليم كفاح مماثل من أجل إقحام مجالات العمل المناسبة لمؤهلاتهن العلمية المختلفة.

كما ساعد على إذابة ثلوج الرجعية من أفكار البعض لجوء تركيا إلى تشغيل النساء مكان من فقدتهم من رجالها فى حروب البلقان، وتصريحات الغازى «كمال أتاتورك» بإيمانه بكفاءة المرأة التركية فى الأعمال المختلفة، خاصة فى البنوك وأعمال البريد وشئون البيع، وقد حلت تركيا بإتاحتها العمل للمرأة عدة مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية، وذلك بأنها وفرت العتاد البشرى لجبهات القتال، كما حافظت على عدم توقف عجلة البلاد الاقتصادية، كما حلت بعمل المرأة المشاكل الاجتماعية التى نجمت عن فقد بعض الأسر التركية لعائلها بسبب الحروب وما يؤدى ذلك إلى تشرد الأحداث ولجوء النساء إلى امتهان أعمال غير شريفة لولا عمل المرأة. ولقد كان لعمل تركيا ذاك أثر فعال فى المجتمع المصرى للصلات الوثيقة بين المجتمعين وقتذاك للعلاقات الدينية والسياسية والأسرية، ومن ثم خرج بعض المفكرين فى مصر الذين رأوا فى دعوة أتاتورك خطرًا على الأوضاع الاجتماعية فى البلاد وفى مقدمة هؤلاء الكاتب والمفكر والصحفى المصرى «محمد فريد وجدى» ومما قاله ما كتبه تحت عنوان: «مصطفى كمال ومسألة المرأة» وتساءل فيه عن أى فائدة للنساء فى أن يصبحن بائعات فى مخازن التجارة، وموظفات فى المصارف والدواوين إذا كن سيعشن بلا أزواج لتعرضهن لكل غاد ورائح من فتاك الأعراض وهتاك الحرمات ومدنسى الشرف والكرامة»[٧].

والواقع أن عددًا كبيرًا من كُتَّاب العشرينيات وما بعدها حتى الأربعينيات نظروا إلى عمل المرأة والدعوة له على أنه قضية تمس الشرف والكرامة والعفة لا تمس المرأة فقط، بل العائلة التى تنتمى إليها، ومن هنا كان من الطبيعى أن يخرج للحياة النسائية مدافعون عن وجوب قبوع المرأة بالمنزل، وأتى هذا الفريق بحجج تقول إن خروج المرأة يؤدى إلى إهمال شئون المنزل المصرى والأسرة المصرية كما سيؤدى إلى تفشى البطالة بين الرجال، ولم يستطع هؤلاء أن يتبينوا أن الحياة سوف تتطور وأن مجالات العمل سوف تتسع كفاءة المرأة كما تتسع كفاءة الرجل وأن المنافسة العملية بين قدرات المرأة الإنتاجية وقدرات الرجل الإنتاجية فى المجالات الإنسانية ستؤدى إلى تقدم المجتمع فى الحاضر والمستقبل. وخرجت للدفاع عن حق المرأة فى العمل أقلام مثل قلم «لبيبة أحمد» التى أيدت دعوة «مصطفى كمال» ولم تكن قبل ذلك تؤمن بوجوب عمل المرأة. كذلك نبوية موسى التى تعجبت من سياسة الدولة التعليمية لإعدادها الفتاة للتعليم المنزلى بإنشائها مدارس الفنون الطرزية والثقافة النسوية لذاك الغرض، وعارضت نبوية هذا النوع من المدارس وقالت: إن المرأة نصف سكان البلاد وليس من المعقول أن نهيئ نصف المجتمع ليكون أفراده طهاة وحائكين لأن البلاد تحتاج إلى عمل المرأة فى المهن الإنسانية العلمية والعملية المختلفة لا أن يكون عمل المرأة وقفًا على الطهى والحياكة فقط، وكيف تعمل ابنة الطبيب طاهية إذا عدمت العائل؛ لأنها لم تتعلم ما يؤهلها لغير الطهى بالرغم من أنها قادرة على استيعاب كل ما يستوعبه الرجل من علوم حديثة[٨].

ولقد تقبل المجتمع عمل المرأة فى مهنتى التدريس والطب دون معارضة تذكر بيد أنه عورض فى عمل المرأة فى مهنة المحاماة، وذلك عندما كثر عدد خريجات كلية الحقوق من النساء[٩] واتجه بعضهن إلى العمل فى المحاماة ومطالبة البعض الآخر بالعمل فى النيابة أسوة بالخريجين من الرجال، واستمرت هذه القضية خلال الأربعينيات والخمسينيات، وبنى المعارضون معارضتهم على أن المرأة لا تصلح للاشتغال بالمحاماة والنيابة لتحكم العاطفة فيها فضلا عن ضعفها البدنى، ورد المدافعون عن هذه القضية، بأن هذا الادعاء ليس إشفاقًا على المرأة من

مشقة العمل فى المحاماة، بل هو خوف منها على مزاحمتها لهم[١٠]. وادعى بعض الرجال أنه يوجد فوارق أزلية بين الرجل والمرأة: «اقتضتها الحكمة العميقة الطبيعية على تقسيم الأعمال فى الوظائف وتيسير هذه الحكمة كل من الكائنات إلى ما يلائمه وخلق له» وحكمة الطبيعة خلقت المرأة ضعيفة ورقيقة، وذلك: «لأن المرأة خلقت لمهمة غير المهمة التى خلق لها الرجل، فعليه الكفاح فى غمار الحياة وعليها أن تشعل فى روحه الأمل حين يوشك أن يخبو جذوته، وتسكب فى روحه وقلبه الإيمان بالمستقبل والثقة بالنفس»[١١].

وردت على هذا الرأى الغريب (إعتدال ممتاز) سكرتيرة الحزب النسائى[١٢] الوطنى بأنه: «ليست هناك فوارق أزلية بين الرجل والمرأة فلم تكن المرأة قد وجدت على ظهر الأرض بصفات أقل من الرجل، ولم تختلف عنه بنفس الدرجة فى كل عصور التاريخ». ثم أتت نبذة تاريخية عن مساعدة المرأة للرجل فى جميع الأعمال منذ عصر ما قبل التاريخ، وقالت: إنه عندما بدئ فى زراعة الأرض مرة فى العالم عمل الرجل لاتصافه بالقوة البدنية: «على تقسيم البشرية إلى طبقات تبعًا لقدراتها الجسدية واستعبد الرجل القوى الطبقات الضعيفة، ومن بين هذه الطبقات فئة النساء، ثم بزغ بصيص من نور عندما قضى على عصر الإقطاع وظهرت الثورة الصناعية، وعندئذ بدأت المرأة تتحرر، وذلك لحاجة الصناعة إلى الأيدى العاملة، ومنذ ذلك الحين والمرأة فى تقدم مستمر وفى تحرر دائم من الأوضاع الشاقة التى حفلت بها حياتها خلال العصور الماضية». ثم أكدت فى نهاية مقالها بأن: «تطور المجتمع الإنسانى هو الذى يحدد وظيفة المرأة ويحدد وظيفة الرجل، فليس هناك محل يقال إن وظيفة المرأة ثابتة أزلية، وأن هذه النغمات الرجعية ضارة بمستقبل بلادنا وإنه لا حرية لأمة نصفها عبيد»[١٣].

ولقد عملت المرأة فى المحاماة ونجحت وعملت فى النيابة ونجحت بعد أن عينت حكمت أبو العينين سنة ١٩٤٤ فى منصب وكيل نيابة فى المجالس الحسبية وكانت خريجات الحقوق تعينهن الحكومة فى تحقيقات وزارة المعارف وتوالى بعدها التعيين حتى إننا عندنا الآن رؤساء نيابة من السيدات مثل «عفت محمود ونفيسة النحال». وفتح القانون رقم ٢٦٨ لسنة ١٩٦٠ الباب لخريجات الحقوق

ليعملن أمناء سر ومعاونى تنفيذ بالمحاكم وشغلت سلوى إبراهيم حجازى أمينة سر الدائرة الأولى بمحكمة استئناف مصر وهى أول وظيفة من هذا النوع من العمل.

غير أن استقبال المرأة خارج عملها المنزلى. وجد كثيرًا من المعارضين أمثال محمد عبدالقادر المازنى الذى نادى بأن مكان المرأة الطبيعى هو البيت وطالب الرجال بأن يسعوا للحصول على المساواة بالنساء لأنهم يكدون ويعطون نتيجة كدهم آخر الأمر للنساء يفعلن به ما يشأن[١٤]. كذلك لا تنس قلم «الشيخ محمود أبو العيون» الذى كان مسلطًا على النساء إبان حياته خاصة فى الأربعينيات ويطالبهن بأن يلتزمن رسالتهن الطبيعية التى تنحصر فى واجبات الزوجة والأمومة، وأن المرأة التى تريد الهروب من هذه الواجبات لهى امرأة شاذة، ونادى بأن يقتصر تعليم الفتيات على علوم المنزل وشئون الزوجية وتربية الأطفال وتدع العلوم الأخرى للرجل.

ولست أدرى من قال بأن المرأة عند عملها خارج الأعمال المنزلية والزوجية سوف تتخلى عنها؟!فالمجتمعات الأخرى تؤدى النساء فيها وظائفهن كزوجات وأمهات إلى جانب الإنتاج فى المجالات الإنسانية الأخرى، ولم يقل أحد بأن إنتاجها العلمى والصناعى قد أثر على إنتاجها البشرى والعاطفى، وأعتقد أن الزمن أثبت قولى هذا بعد أن احتلت المرأة العربية الآن جميع المناصب وأماكن العمل كما نرى.

ومهما يكن من شىء فإن بعض الرجال أيدوا عمل المرأة خارج حدود المنزل فى قطاعات معينة منه كما نادى فكرى أباظة بأن تعمل فى مجال السكرتارية والبيع؛ لأن النساء أقدر من الرجال فى هاتين المهنتين، وهكذا ترى كيف واجه عمل المرأة الكثير من العقبات والكثير من أقوال المعارضين والمنافسين والشامتين والحاقدين ويرجع الفضل فى انتصار المرأة فى هذه القضية وتقدمها فى مجال العمالة فى البلاد لرائدات الميادين العملية المختلفة وسلوكهن الجاد مع الرؤساء والزملاء وعملهن لما واجههن من عقبات دون شكوى أو تذمر ولحماسهن لتأدية ما يوكل إليهن من أعمال.

ولقد أدت عدة عوامل على زيادة العمالة بين النساء وإقبالهن على ولوج المجالات العملية والتى لم يكن مباح دخولها للمرأة مثل أعمال الهندسة ورئاسة الإدارات الفنية وما إلى ذلك، ومن هذه العوامل نشوب الحرب العالمية الثانية لفتحها مجالات جديدة لأعمال النساء وانتشار الإعلام عن الأنشطة النسائية فى المجالات الصناعية الشاقة بالخارج مثل العمل فى المجهود الحربى والمصانع الحربية وإحلال نساء أوروبا محل رجالها فى المصانع لذهابهم إلى جبهات القتال، ومن هنا وجدت المرأة المصرية أنها تستطيع القيام بمثل ما تقوم به أختها فى بلاد الغرب اللائى سمعت عنهن أو رأتهن مع جيوش الحلفاء الذين أقاموا أثناء الحرب العالمية الثانية بالمدن المصرية الكبرى طبقًا للمعاهدات المصرية الإنجليزية.

كذلك من العوامل المهمة التى أدت إلى زيادة عمالة المرأة المصرية زيادة كبيرة قرارات التأميم والتى بدأت فى مصر منذ يوليو ١٩٥٦ حيث نتج عن هذه القرارات تمصير العديد من المؤسسات والشركات والبنوك. ومن هنا تمكنت المرأة المصرية من أن تحل محل الأجنبيات اللائى كن يعملن بهذه المؤسسات بعد خروجهن منها ورحيلهن إلى بلادهن فى الخارج، ومن ثم ساعدت المرأة المصرية على استمرار الحياة الصناعية والاقتصادية فى البلاد وتقدمها وعدم توقف عجلة العمل فيها. وكذلك من العوامل التى ساعدت على زيادة عدد النساء العاملات أسباب اقتصادية وعلمية مثل ارتفاع مستوى المعيشة، وارتفاع أسعار الحاجات وتكاليف الحياة، وقد أدى ذلك بالمرأة المصرية لأن تخرج على التقاليد والعادات الرجعية، وتسعى للعمل لتعول نفسها ولا تترك عالة على أحد أفراد أسرتها من الرجال الذى هو فى أشد الحاجة لمن يساعده ماديًا ويأخذ بيده، وقد نجد المرأة تخرج إلى العمل وتبحث عنه لتعول أخواتها وأبويها إذا لم يكن لهم عائل من الذكور، ولم يعد الأب المصرى يجد حرجًا ولا عيبًا فى مساعدة ابنته له ماديًا، بل أصبح يجد ويسعى ليجد لها عملا لتقوم بمساعدته، ولم يكن هذا مقبولا ولا معقولا منذ ربع قرن من الزمان.

ومن العوامل التى أدت إلى زيادة عمالة المرأة إقبال أغلب الشبان على الزواج بمن تعمل من الفتيات ورفضهم الزواج من ربات البيوت إلا إذا كانته تملك إرثًا كبيرًا يعادل دخل مرتب العاملة أو يزيد. وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ وقرارات الإصلاح الزراعى الأولى سبتمبر سنة ١٩٥٢. والثانية يوليو سنة ١٩٦١، أصبح من الصعب أن يعثر الشاب على فتاة تمتلك متاعًا من إرث يمكن أن يدر عليها دخلا يعادل دخلها من العمل الثابت.

ومن العوامل المهمة أيضًا فى تقدم العمالة النسائية فى مصر تقدم صناعة الآلات المنزلية وظهور الحديث منها لجعل الحياة المنزلية والمعيشية أسهل وأمتع، وللحصول على هذه الآلات وإدخالها أغلب المنازل، كان لابد من مشاركة المرأة فى نفقات المعيشة، ولم يكن هذا ميسورًا للرجل العادى الذى يعتمد على دخله فقط لأن يقتنى هذه الآلات دون مساعدة المرأة ماديًا له، وقد دفع هذا العامل المرأة والرجل على السواء للبحث عن عمل لفتيات الأسرة ونسائها من أجل رفع مستوى المعيشة، كما إن اقتناء الأسر الثرية وشبه الثرية لهذه الآلات، وشعور فتياتها بالفراغ وبالنقص من رفيقاتهن العاملات، لاكتساب الأخيرات من صفات جديدة راقية، دفع الفئة الأولى إلى الحث عن العمل للتشبه بالعاملات من جهة وليتخلصن من الشعور بالضعف والنقص لسيادة مفاهيم اقتصادية جديدة، مثل الاشتراكية التى تحتقر الإنسان الذى يقتصر دوره فى الحياة على عملية الاستهلاك دون مساهمته فى المجالات الإنتاجية، والتحول الصناعى للبلاد من جهة أخرى.

● ومن العوامل المهمة ذات الأثر فى إقبال النساء على مجالات العمل المختلفة والتشبث به وعدم السعى إلى تركه بعد زواجهن لحصولهن على عائل، القوانين العمالية الجديدة مثل إشراك العمال فى الأرباح وتمثيل العمال فى مجالس إدارات الشركات، وإشراكهم فى رأس مال الشركة أو المؤسسة بنسبة ٢٥٪، كذلك منح الحامل والمرضع ساعة راحة يوميًا بأجر، ومدة أشهر إجازة وضع بأجر، كما أن لها أن تأخذ إجازة طويلة تصل إلى ثلاث سنوات بدون أجر لتربية الأطفال وبالإضافة إلى ما تقدم جعل الحد الأدنى لأجر العامل فى اليوم خمسة وعشرين

قرشًا وانطباق هذا على العاملة، كما أن قانون العمل الموحد الذى صدر سنة ١٩٥٩ ويقضى بمساواة المرأة بالرجل فى الأجور بالنسبة للعمل المتساوى، جعل المرأة تجد فى البحث عن العمل وتتمسك به، وفتح الباب على مصراعيه أمامها فى طرق سبل التعليم المختلفة، فجعلها تستزيد من الدرجات العلمية؛ لكى تصل إلى مستوى راق فى دروب العمل المختلفة وقد أدى ذلك بالمرأة المصرية لأن تحتل المناصب العملية والعلمية التى تشغلها الآن.

● ومن العوامل التى أدت إلى ازدهار عمالة المرأة عندنا صدور قوانين مجانية التعليم، فقد تقرر مبدأ مجانية التعليم الابتدائى والثانوى فى مصر سنة ١٩٤٤ كما أعلن الرئيس جمال عبدالناصر مجانية التعليم الجامعى فى مصر فى خطاب ألقى بمدينة الإسكندرية يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٦٢، ومن وجدت ابنة الطبقة الفقيرة والمتوسطة لأن تحصل على قدر من العلم يمكنها لأن تعمل بأجر محترم بعد إن كانت تعمل أمها الأمية بأجر ضئيل أو بلا أجر كلية، والغريب أنه يوجد عديد من العاملات الفقيرات وغير المؤهلات علميًا لا تصل إليهن القرارات العمالية، ومن ثم يعانين من الاستغلال إلى جانب ما يعانينه من جهل، والإحصائية التالية تبين هدف ذلك بالرغم من الفرق الشاسع بين عدد الأميات من العاملات وخريجات الجامعة إلا أننا نجد الحقيقة تعكس فى هذه الإحصائية بالنسبة للأجور، وذلك لعدم إدراك العاملات الأميات ومتوسطى الثقافة لحقوقهن ويرضخن لأصحاب الأعمال فى مطالبهم لهن بالسكوت عن الدفاع عن حقوقهن خوفًا من فصلهن وصعوبة العثور على عمل آخر لقلة علمهن وضآلة خبرتهن المهنية، فالإحصائية تقول إن نسبة المشتغلات من الأميات ٥,٦٪ واللائى يقرأن ويكتبن تبلغ نسبة العمالة بينهن ٣,٦٪، وتبلغ هذه النسبة بين الحاصلات على تعليم تحت المتوسط ٧,٦٪ وترتفع بالنسبة لصاحبات التعليم المتوسط إلى ٢٤٪ وتصل إلى ٧٤٪ بالنسبة للحاصلات على مؤهل جامعى[١٥].

ويتضح من ذلك أن المتعلمة من النساء تجد فرصة أكبر للعمل، كما أنها تتمسك بحقوقها بحيث لا يستطيع صاحب العمل أن ينقصها حقها، أضف إلى

ذلك أن تقدم البلاد الصناعى والاقتصادى يتطلب الكفاءات النسائية وذوى الثقافة العالية، فقبل سنة ١٩٥٢ وما صاحبها من حركة التأميم لم يكن يعمل بالشركات المصرية غير ثمانى فتيات حاصلات على مؤهلات جامعية، وبتقدم المجتمع المصرى والحياة الاقتصادية بلغ عدد الجامعيات فى قطاع الشركات سنة ١٩٦٣ (١،٥٩٣) وتعتبر علية إسماعيل خريجة كلية التجارة أول جامعية تعمل فى مجال الاقتصاد بالشركات وكان ذلك عام ١٩٤٠.

ولقد كافحت المرأة من أجل العمل فى المجال التجارى حيث كان هذا العمل وقفًا على الأجنبيات اللائى حرصن أولياء أمورهن على تعليمهن هذا النوع من التعليم، ومن هنا طالب بعض المصلحين الحكومة، بأن يفتح أبواب التعليم التجارى خاصة المتوسط أمام الفتاة المصرية حتى لا يصبح اقتصاد البلاد فى أيدى أجنبية عنها ومن هؤلاء المصلحين نجد «نبوية موسى» التى كتبت عدة مقالات تطالب بفتح باب التعليم التجارى المتوسط أمام الفتيات أسوة بالفتيان، كذلك فعلن «هدى شعراوى» بيد أن الدولة لم تستجب لهن إلا فى سنة ١٩٤٦ عندما أنشأت مدارس التجارة المتوسطة للبنات وقبل ذلك بعشر سنوات التحق بكلية التجارة أربع فتيات ثم توالى عدد الملتحقات بعد ذلك[١٦]، وقد سدت خريجات كلية التجارة ومعاهدها العليا ومدارسها المتوسطة ما سوف كانت تعانيه البلاد بعد قوانين التأميم والتمصير، فقد كان عدد العاملات فى قطاع البنوك والمصارف المالية ٢٩٢ فتاة سنة ١٩٥٧ وصل إلى ١،٤٧٢ سنة ١٩٦٣، أما مجموع العاملات فى قطاع التجارة والمال فى البلاد حسب تعداد سنة ١٩٦٠ فقد بلغ ٣٧,٦٤٤ عاملة وبالنسبة لعدد العاملات فى قطاع الصناعة وصل فى نفس التعداد ٣٤،٥٢٦ وبيان الأخير كالآتى:

الصناعات المختلفة	عدد العاملات	الصناعات المختلفة	عدد العاملات
المواد الغذائية	٢١٩٦	منتجات الكاوتشوك	٦٢
المشروبات	٥٩	الصناعات الكيماوية	٨٩٢
التبغ	١٦٧	منتجات البترول والفحم	٦٠
الغزل والنسج	٩٥٥٥	مصنوعات من خامات غير معدنية	١١٢٤
الأحذية والملابس الجاهزة	١١٣٤	الصناعات المعدنية الأساسية	١٢٦
الخشب والخيزران	٢,٤٥	صناعات المنتجات المعدنية	١٩٩
الموبيليات والأثاث	١٨٩	صناعة وإصلاح الماكينات	٩٤
الورق ومصنوعاته	٢٨٨	صناعة وإصلاح آلات كهربائية	١٠٨
صناعة الطباعة	٧٩	وسائل النقل	١٧٦
الجلود ومصنوعاتها	١١٧	صناعات أخرى متنوعة	٧٦٥٦

هذا وتبلغ نسبة عمالة المرأة فى الأنشطة الإنتاجية الأخرى كالآتى[١٧]:

المهنة	عدد العاملات	المهنة	عدد العاملات
الزراعة وملحقاتها	٢٧,٦٠٢	المناجم والمحاجر	١١٢
النقل والمواصلات	٢,٤٧٤	الخدمات: إدارية واجتماعية	٢٤٠,٠٤٩
التشييد والبناء	٥٨٥	وصحية وتعليمية وشخصية	

ومن هنا يبلغ مجموع عمالة المرأة فى مصر حوالى ١,٠٧٦,٢٧٩ من مجموع عدد القوى البشرية النسائية والتى يمكن استغلالها فى النشاط الاقتصادى فى بلادنا وهى ١٠،١٩١،٣١٣ وتوزع هذه القوة البشرية النسائية والتى يمكن

استغلالها فى النشاط الاقتصادى فى بلادنا وهى ١٠,١٩١,٣١٣ وتوزع هذه القوة البشرية والخارجة عن قوة العمل كالآتى: ٤،٨٠٥,٩٧٧ ربات بيوت لا يعملن خارج منازلهن أو بداخلها بأجر، ٧١٧,٥٢٤ أرامل ومطلقات وعمرهن فوق السن القانونية للعمل أى فوق الستين، ٢,٩٦٩,٦٢٤ فتيات عمرهن يتراوح بين ٦-١٤[١٨].

ومما تقدم يتضح لنا أن القوة البشرية النسائية الكبرى لا تعمل ولا تساهم فى عجلة الإنتاج البشرى وتكتفى بالاستهلاك فقط، علمًا بأنها ولوضعها بلا عمل وما لديها من وقت فراغ، تشكل أهم فئة نسائية مستهلكة لاقتصاديات البلاد، ويعتبر بعضهن الزواج مهنة يتعيشن منها وإذا كان ذلك مقبولا فى الأزمنة الماضية فهو غير مقبول فى وقتنا الحاضر، والمفاهيم الاقتصادية والوعى الاقتصادى يسودان البلاد، كما أن احتياجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية تحتم على النساء اللائى فى سن العمل أن يهيئن أنفسهم بالخبرات العلمية والمهنية وأن يبحثن عن عمل لكى يقمن بدورهن فى التقدم الحضارى لمصر فى وقت تحتاج فيه لكل الأيدى العالمة لتقيل عثرتها مع التحديات الداخلية والخارجية وفى مقدمة هذه التحديات، الكيان الإسرائيلى الجاثم على أرضنا ولقد أثبتت معركة ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ الفائدة الكبرى لتعدادنا الكبير الذى تحتاجه بلادنا فى وقت السلم والحرب.

وأعتقد أن المرأة العربية لن تعى هذا، إلا بإعلام نسائى واعٍ ومدرك للأحداث المهمة والخطيرة التى تحيطنا من كل جانب. ولابد من مناقشة قضايا عمل المرأة بصراحة ومنطق وعمل، سواء مشاكل التى تعمل فعلاً، أو مشاكل وقضايا التى تعيش بعيدًا عن دائرة العمل النسائى، إن كل من يرجع بصره إلى ماضى المرأة العربية القريب وينظر إلى حالها اليوم يرى ويؤمن بعظم الدور الذى قامت به الجادات من النساء اللائى كافحن ماديًا ومعنويًا وأدبيًا من أجل تعبيد الطريق أمامنا نحن نساء هذا العصر فعلينا نحن أيضًا أن نمهد الطريق للآتيات من بناتنا ونعيش عصر التقدم العلمى والتكنولوجى فى دنيا الصناعة والاقتصاد، ولن يحدث هذا إلا بترك التافه من الأمور والاستغراق التام فى البحث العلمى

والعملى، وطرق الميادين الجديدة التى تحتاجها بلادنا فى محنتها المعاصرة، فالعمل لم يعد ضرورة من أجل لقمة العيش أو قتل أوقات الفراغ، كذلك لم يعد الزواج مهنة يتعيش منها الأفراد سواء أكانوا نساء أم رجالا، بل أصبح العمل حقًا واجبًا وضرورة ملحة من أجل استكمال بناء وطننا وتقدمه، كذلك لابد وأن يتخذ الزواج زيه الذى صنعته له الأديان والشرائع بعيدًا عن الزى المادى والاستغلالى، إننا نحن نساء مصر نمر بفترة تحول خطيرة تحتاج منا، كل فى موقعها، إلى جهود مضنية حتى نتمكن من مزج تاريخنا النسائى الحافل بالقدرات الإنسانية الخلاقة والمساهمة الفعالة فى الحضارة الحديثة.

إننا نؤمن بالطبع بوجوب اعتمادنا على أنفسنا ماديًا ومعنويًا وأدبيًا وهذا شىء خطير فقد أصبحت بعض النساء تعول رجالاً ولم يكن هذا بحادث، إننا نرى اليوم مئات النساء يتولين وظائف إدارية وفنية كبرى وتحت إمرتهن مئات من العمال والإداريين، إن هذا التحول فى مفاهيم مجتمعنا يحتاج إلى دراسة تساعد على التكيف وتنير الطريق للتطور الاقتصادى الذى نعاصره، كما تعين هؤلاء اللائى يتولين مناصب حساسة وكبرى لأن يؤدين رسالتهن كاملة فى إعادة وجه مصر الحضارى، ولن يعود هذا الوجه ناصعًا ونشطًا إلا بقيام المرأة بواجبها أمام الآلة وفى المكتب وحجرات الدراسة والبحث وفى الحقل وذلك على أسس علمية تقترب من الوجود الزمنى للقرن العشرين والعلاقات التقدمية على طريق الاكتشافات العلمية الحديثة والتى تضىء ميادين الصناعة ونظم المعيشة اليومية فى بلاد العالم المتمدين.

هوامش الفصل السادس

(١) تعتبر مدينة المحلة الكبرى من أعرق المدن الصناعية فى مصر إذ عرفت بصناعة نسيج الكتان منذ العصور القديمة إلى أن كان النصف الأول من القرن الماضى عندما زرع القطن بمصر وحل نسيج القطن بالمحلة محل نسيج الكتان.

(٢) كانت د. زينب إبراهيم ثانى دفعة كلية الطب سنة ١٩٢٥.

(٣) ارجع فى ذلك إلى إحصاء الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء القاهرة ١٩٦٩، ص ٢٩.

(٤) كان راتب الحاصل على شهادة الابتدائية وقتذاك عشرة جنيهات.

(٥) محمود إبراهيم - أنيس الجليس - العدد التاسع السنة الثالثة، ص ٣٤٥ سبتمبر سنة ١٩٠٠.

(٦) أحب أن أشير هنا إلى أنه توجد فى سجلات وزارة التربية والتعليم، وفى كتب التاريخ التى تناولت شئون التعليم إبان محمد على وإسماعيل تاريخ إرسال البعثات العلمية للخارج بالنسبة للرجل، أما سجلات بعثات النساء، فإنه لا توجد سجلات تبين بدقة تاريخ سفرهن وتعتمد هنا بالنسبة لهذا الموضوع على المصادر الحية مثل السيدات: زينب لبيب سافرت إلى الخارج سنة ١٩٠٩ وعادت سنة ١٩١١، وخيرية الملاح سافرت ١٩٢٠.

(٧) راجع سلسلة مقالات محمد فريد وجدى فى الصحف المصرية، خاصة مجلة النهضة النسائية فى سنتى ١٩٢٣ - ١٩٢٤.

(٨) ارجع إلى مجلة الفتاة لنبوية موسى سنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٣.

(٩) وصل عدد الخريجات فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية حتى سنة ١٩٤٤ ٦٠ خريجة، وكما مر بنا التحقت الفتاة لأول مرة سنة ١٩٢٩ ووصل عددهن فى العام الدراسى سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ إلى ١٠٢٥ منتظمة و٢٦٠ منتسبة.

(١٠) ارجع إلى مجلة أنا وأنت - العدد ٣٦١ ص ١٠ فبراير سنة ١٩٤٤.

(١١) بخاطره عبدالقادر مجلة فتاة الغد - العدد ١٥ ص ٢.

(١٢) هو أول حزب نسائى يؤسس فى مصر الحديثة وسأتكلم عنه فى كتاب قادم خاص بهذا النوع من التجمعات النسائية.

(١٣) إعتدال ممتاز - فتاة الغد - العدد ١٥ ص ٨ فبراير سنة ١٩٤٤.

(١٤) محمد عبد القادر المازنى - فتاة العدد - العدد ١٦ السنة الأولى أول ص ٦ مارس سنة ١٩٤٦.

(١٥) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء التعداد العام لسنة ١٩٦٠.

(١٦) أنشئت كلية التجارة بجامعة القاهرة سنة ١٩٢٥، والتحقت بها الفتاة سنة ١٩٣٦ ووصل عددها فى العام الدراسى ١٩٦٩ - ١٩٧١ منتظمة ١١٧٩ ومنتسبة ٥٤٢.

(١٧) التعداد العام للجمهورية المصرية سنة ١٩٦٠.

(١٨) المرجع السابق.

الفصل السابع

الحركة النسائية فى المجال السياسى السنوى

يعترف التاريخ السياسى لمصر الحديثة بالمشاركة الفعلية للمرأة فى أحداث هذا التاريخ وتطوره، فمنذ قدوم الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ وهى فترة بداية تاريخنا الحديث، ساهمت المرأة المصرية فى الحياة السياسية بقدر ما سمحت به لها إمكاناتها من ناحية، وموقف المجتمع منها من ناحية أخرى، فعندما ثار الشعب المصرى كله ضد الحملة الفرنسية ثارت معه المرأة، وعندما خرج الشعب معبرًا عن استيائه من ظلم حكامه الأتراك، خرجت المرأة منددة بهذا الظلم، وعندما قامت ثورة عرابى سنة ١٨٨١، وسنة ١٨٨٢ لم تكن المرأة المصرية بمعزل أيضًا عنها، فهى أم الجندى المصرى وابنته، وأم الفلاح المصرى وابنته وهى ما قامت الثورة العرابية على أكتافهما ولإنصافهما[1].

يبدأن وضع المرأة فى مصر آنذاك لم يكن يسمح بأن يتصدر دورها فى الحياة السياسية ما يمر بمصر من أحداث تاريخية فى هذا المجال، وذلك لتفشى الأمية بين النساء وسيطرة الرجل المصرى على ما يدخل عقلها من معلومات، وكان الرجل المصرى وقتذاك يعتقد أن المرأة ليست فى حاجة إلى معرفة ما يدور خارج أسوار منزلها فى العالم الخارجى من قضايا مهمة تتناول موضوعات عامة.

وبرز مصطفى كامل إلى الحياة السياسية مدافعًا عن استقلال مصر الذى قضى عليه الاحتلال الإنجليزى للبلاد سنة ١٨٨٢، وعاش شعب مصر كله مع كفاح مصطفى كامل وضمن هذا الشعب النساء، وذلك من خلال حماس الرجال والذى كان يسيطر على تفكيرهم ليل نهار، مما دفعهم للحديث عما يفعله هذا

الزعيم من أجل مصر أمام النساء من زوجات وبنات وأخوات، وكم قرأ الرجال الصحف السياسية وناقشوا أحداثها فى المنازل، وطالما عاد طلبة المدارس إلى أسرهم وناقشوا ذويهم فيما يفعله مصطفى كامل داخل وخارج مصر من أجلها، ثم توفى مصطفى كامل فى فبراير سنة ١٩٠٨ وهو فى شرخ شبابه مما ألهب عواطف نساء مصر بالحزن عليه، وتقص علينا معاصرات تلك الفترة اللائى مازلن يعشن معنا حتى اليوم، إن الحزن غشى البيوت المصرية وقتئذ، وإن النساء بكين الزعيم مصطفى كامل أياماً عدة وأطلقت الوالدات على أطفالهن من الذكور اسم مصطفى كامل تخليداً له وحدث هذا حتى بعد وفاته لسنوات طويلة. وحفظت الكثيرات ما نظم من شعر فى رثائه ومناقبه وما قام به من أعمال سياسية خالدة مثل حادث دنشواى فى يونيو سنة ١٩٠٦ وآتى هنا بزجل قيل فى شجاعة مصطفى كامل تجاه تلك الحادثة التاريخية، وكانت النساء يهدهدن عليه أطفالهن، مما يؤكد كيف أن الأحداث السياسية المهمة سيطرت على تفكير المرأة فى مصر، ويقول مطلع الزجل:

من بعد حكم المحاكم والشويش والباش
غلايين وسقها كرومر مخربة للباش
وآدى الإنجليز فرعنوا بعد ما كانوا أوباش
من بعد حدثة دنشواى والأخ ويا أخوه
واللى انقتل مات، واللى فضل جلدوه
واللى خذوه الإنجليز فى سجنهم سجنوه
بعدها حسين كامل[٢] قال روح يا مصطفى كامل

واتكلم كلام كامل

راح فى ساعتها الشاب ماستناش
عزم كبار الإنجليز الكل ولا خلاش
وطلب طرد كرومر والكل وفقوله

وطل طلوع المساجين من السجن والكل ختموله
وطلب خروج الإنجليز من البلاد والكل قالوله
بعد سنتين اثنين يا مصطفى نمشى
لكن جاء الموت مصطفى يمشى
وخرجت مصر إلى جانب نعشه تمشى
وها تعيشى يا مصر حزينة طوال ما الزمن يمشى[٣]

وفى سنة ١٩١٠ قتل بطرس غالى بيد الشاب الصيدلى إبراهيم الوردانى وحكم على الوردانى بالإعدام بالرغم من دفاع مجيد عن ظروف الوردانى، وأن أعمال بطرس وتعاونه مع الإنجليز وموافقته على مد امتياز شركة قناة السويس للشركة الأجنبية أثارت الشاب المصرى وجعلته يخرج عن السيطرة على تصرفاته، وأعدم فعلا فى نفس السنة، وعم الحزن جميع بيوت مصر وارتدت المرأة المصرية الحداد سواء أكانت هذه المرأة فى الريف أو فى الحضر، وعملت أنوال النسيج فى البلاد سنوات عدة على إخراج قماش أسود ينتهى بخطوط ذات لون بنفسجى غامق، وأطلق على هذا القماش اسم «حزن الوردانى»، وكنت لا ترى سيدة إلا وترتدى ثوباً من هذا القماش أو على الأقل تعصب رأسها بمنديل كبير منه.

وجاءت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وانتهت فى سنة ١٩١٨، ورأت مصر أن الوقت قد حان لتحصل على استقلالها، ومن ثم طلب بعض رجالها من السلطات الإنجليزية إنهاء احتلال البلاد وإجلاء جيوشهم عن أرض مصر، ورفض الإنجليز ذلك، وقامت ثورة سنة ١٩١٩ الكبرى، ورأى التاريخ المرأة المصرية لأول مرة فى عصره الحديث تخرج بكل فئاتها مكافحة ومضحية بكل ما تملك من روح وزوج وولد من أجل استقلال مصر دون نظر إلى تقاليد أو إلى إمكانات لماذا؟ لماذا ساهمت المرأة المصرية فى هذه الثورة بما لا يسجله تاريخ ثورة مصرية من قبل؟ قد تستطيع الأسطر التالية الإجابة عن هذا السؤال الذى يتردد فى أذهان الكثير منا.

المرأة المصرية وثورة ١٩١٩:

بعد احتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢ وقولهم بأن هذا الاحتلال إنما هو احتلال مؤقت، طالبت مصر بريطانيا بوفائها بعهودها المتكررة فى الجلاء، ثم أعلنت بريطانيا الحماية على مصر فى سبتمبر سنة ١٩١٤، وظهر من ذلك أن الإنجليز لن يجلو قريبًا، وإنما قولهم بالجلاء لذر الرماد فى العيون، وأخذت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى تستولى على أرزاق الشعب المصرى قصرًا، كما أخذت الرجال ليحاربوا لها فى ميادين القتال وليقوموا بالأعمال ذات الطابع الحربى لتخفف العبء عن جيوشها وجيوش حلفائها دون مقابل تقريبًا، ووقع عبء كل هذا على كاهل المرأة المصرية، فقد فقدت العائل فى ميادين القتال أو أثناء أعمال السخرة وفقدت القوت الذى منه يقتات أطفالها، وفقدت الدابة التى تساعدها فى أعمال الحقل لاستيلاء السلطات على الدواب والماشية، فقدت كل ذلك على يد رجال الاحتلال الإنجليزى الغرباء عنها، لقد رضيت بالاحتلال العثمانى وأمراء الأتراك من قبل وما فعلوه ببلادها؛ لأنهم ينتمون إلى نفس العقيدة الإلهية التى تؤمن بها وإنهم يتوجهون فى اليوم الواحد خمس مرات إلى نفس الإله ونفس القبلة التى تتوجه هى إليها، وكانت لذلك تشكو ظلم هؤلاء الأتراك إلى ربهم الواحد، أما بالنسبة للإنجليز فلم يكن حالهم كذلك كما أنهم لجأوا إلى ما لم يلجأ إليه ترك أو مماليك، فقد استوطن الترك مصر وتزاوجوا مع أهلها، أما الإنجليز فقد مثلوا الاحتلال الاستغلالى فلهم بلاد أخرى أرادوا أن تعيش على خيرات بلادنا، ومن ثم لم يتمكنوا من الاندماج مع الشعب، بل عاشوا فى طبقة منعزلة تمامًا عن الحياة المصرية وخلقوا لأنفسهم امتيازات، وجعلوا من أنفسهم سادة، ثم جاءت نهاية الحرب العالمية الأولى كما ذكرنا، ورأت مصر أن الوقت قد حان لأن تحصل على استقلالها وفاءً من بريطانيا بوعودها السابقة من ناحية، وثمنًا زهيدًا لما قدمته مصر وشعبها لبريطانيا وحلفائها من خدمات وإمدادات بشرية ومادية من ناحية أخرى.

ورفضت بريطانيا وتنكرت لكل ما قدمته مصر وشعبها، وكان من الطبيعى أن يخرج الشعب ثائرًا ومعه نساء مصر بكل فئاتهن، ورأى الشعب ضمن ذاك أكثر

من ٣٥٠ سيدة يسرن فى صباح يوم الأحد الموافق ١٦ مارس سنة ١٩١٩ متظاهرات ضد الاحتلال البريطانى، وقدمن[٤] عريضة احتجاج للمعتمد البريطانى على الأعمال الوحشية ضد المصريين واعتقال زعمائهم وعلى احتلال الإنجليزى لمصر وتنص المذكرة على ما يأتى:

«جناب المعتمد»

يرفع هذا لجنابكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية المطامع البريطانية ويحتججن على الأعمال الوحشية التى قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة. لا لذنب ارتكبته سوى المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقًا للمبادئ التى وفاه بها «ولسن» وقبلتها جميع الدول محاربة أو محايدة، نقدم لجنابكم هذا ونرجو أن ترفعوه لدولتكم المبجلة، لأنها أخذت على عاتقها تنفيذ المبادئ المذكورة والعمل عليها، ونرجوكم إبلاغها وما رأيتموه وما شاهده رعاياكم المحترمون من أعمال وحشية وإطلاق الرصاص على الأبناء والأطفال والأولاد والرجال العزل من السلاح بمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج لعرض قضيتهم على مؤتمر السلام أسوة بباقى الأمم وتنفيذًا للمبادئ التى اتخذت أساسًا للصلح التام، ولأنهم يحتجون أيضًا على اعتقال بعض رجالهم وتسفيرهم إلى جزيرة مالطة».

سيدات مصر يسرن فى المظاهرة الكبرى لثورة ١٩١٩

ثم تختتم السيدات المذكرة بأنهن: «لنا الأمل يا جناب المعتمد أن يحل طلبنا هذا نحن السيدات المصريات محل قبول، ولا زلتم عونًا للحق مؤيدين لمبادئ الحرية والسلام». وقد وقعت هذه المذكرة السيدات الآتية أسماؤهن:

حرم البشوات والبكوات حسين رشدى وسعد زغلول ومحمود رياض ومحمد سعيد إسماعيل صدقى وعمر سلطان وعثمان عرفى والدكتور محمد علوى وإسماعيل سرى ومحمد صدقى ومحمود سرى ومحمد محرز وعثمان مرتضى وإسماعيل حسنين وإبراهيم رأفت ومحمود سامى البارودى وأمين الشمسى وأحمد شوقى وأحمد الشواربى وأمين سيد أحمد ومحمد شكرى وحسن محرم ومحمد أمين يوسف وأحمد راغب بدر وأحمد عبد اللطيف ومصطفى عبد الخالق وأحمد لطفى وأحمد أبو أصبع وحسن خيرى ومحمد رأفت وسعيد حلمى وحنا مسيحة طاهر اللوزى وعبد الحليم العلايلى وعلى سعد الدين وعزيز مشرقى ودكتور نجيب إسكندر ودكتور إبراهيم حسن ومحمد العروسى وتوفيق وصفى وأحمد حمدى وإسكندر مسيحة وأحمد حجازى ونجيب فتحى وحافظ محمد ومحمد راتب ومحمد يوسف وحسين رياض ودكتور محمد صدقى ومصطفى توفيق وتوفيق صادق ومحمود الطوير وإسماعيل سالم وعلى مبارك وحسين هلال ومحمد رؤوف ومحمد شفيق رفعت وروفائيل بغدادى وصالح فايق أبو أصبع وعيسى واصف وأحمد شكرى ورياض عفيفى وحسن عاصم وحسين راغب والدكتور على إبراهيم[٥]. وعبد الله أباظة وأحمد عفيفى ودكتور أحمد سعيد ومحمد حسن وإبراهيم شريف وأمين فؤاد ولبيب مسلم وإسماعيل فاضل وإبراهيم فاضل وبهى الدين بركات وشاكر حلمى وإسماعيل رمزى وعلى فؤاد وإدود راتب وصالح جمال أبو أصبع ومختار الأرناؤطى وصليب منقريوس وأحمد عباس يكن ومحمد برهان ومحمد أبو شادى وفؤاد شرين وميخائيل لبيب وقاسم أمين وحسين محرم وحسن بهادر ورفيق فتحى وفى مقدمة هؤلاء هدى شعراوى، كما وقع هذه المذكرة كريمات كل من:

عبد الفتاح اللوزى وصالح فريد وزينب وقمر عبده[٦] ومحمد منيب عبد المجيد رضوان ومصطفى الباجورى وأحمد ندا والشيخ الأنصارى ومحمد أنور

وأمين الشمسى وأحمد شوقى وإسماعيل أباظة ومحمد رشاد ومحمود نصيف وتوفيق باشا وعبد الله الطوير وأحمد أبو أصبع وأحمد الشواربى وأمين سيد أحمد والسيد أباظة والآنستين: جوليت صليب ومارى ميرم[٧].

ومن الأسماء السابقة يتبين لنا أن بعض سيدات الأقاليم قد جئن إلى القاهرة للاشتراك فى المظاهرة فحرم كل من اللوزى والعلايلى من دمياط وهلال من ميت غمر وعبد اللطيف من قرية الجمالية من المنصورة وقد يوجد أسر أخرى من أقاليم مختلفة لم أستدل عليها.

ومهما يكن من أمر، فقد هزت مظاهرات النساء مشاعر الأدباء والشعراء وسجلوا هذا الحدث الخطير فى تاريخ مصر السياسى ومن أشهر هؤلاء الشاعر حافظ إبراهيم الذى نظم قصيدته التى تقول:

خرج الغوانى يحتجب ... ـن ورحت أرقب جمعه
فإذا بهن يتخذن من ... سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب ... يسطعن فى وسط الدجنه
وأخذن يجتزن الطريـ ... ـق ودار سعد قصدهنه
يمشين فى كنف الوقا ... روقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبل ... والخيل مطلقة الأعنة
وإذا الجيوش بسيوفها ... قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنا ... دق والصوارم والأسنة
والخيل والفرسان قد ... ضربت نطاقًا حولهنه
والورود والريحان فى ... ذاك النهار سلاحهنه
فتطاحن الجيشان سا ... عات تشيب لها الأجنه
فتضعضع النسوا ... ن والنسوان لهن منه
ثم انهزمن من مشتتات ... الشمل نحو قصورهنه

فليهنأ الجيش الفخور ... بنصره وبكسرهنه
فكأنما (الألمان) قد ... لبسوا البراقع بينهنه
وأتوا «بهندنبرج»[٨] ... مختفيًا بمصر يقودهنه
فلذاك خافوا بأسهن ... وأشفقوا من كيدهنه

وعبرت القصيدة عن المظاهرة وما حدث فيها وكيف هاجم الإنجليز أعضاءها وشتتهن وأعادهن إلى منازلهن، ومازال كثير ممن عاصر الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وأولاد المشتركين فيها يذكرون قصيدة حافظ ويحفظونها عن ظهر قلب، وفضلاً عن الأدباء فقد كان لهذه الثورة فضل معرفة الشعب قدر المرأة. ولم يقتصر نشاط المرأة المصرية ومساهمتها فى ثورة سنة ١٩١٩ على هذا النطاق، بل إنها شاركت مع الرجال فى أعمال الاحتجاج على السلطات الإنجليزية، فقد خرجت فى قرى أسيوط والفيوم والمنصورة وغيرها من بلاد مصر، لتنسف وسائل المواصلات وتمنع العتاد عن جيوش الاحتلال مما جعل الإنجليز يطلقون رصاصهم على صدور المصريات ويبقرون بطون الحوامل منهن، وسقطت شهيدات فى مدن كثيرة كان أولهن الشهيدة نعيمة عبد الحميد محمد من «كفر الشوام» مركز إمبابة، وفى نفس اليوم وهو السبت ١٥ مارس استشهدت مع من استشهد من الرجال «فاطمة محمود» و«نعمات محمد» «وحميدة سليمان» من مدينة الفيوم، وفى اليوم التالى الأحد ١٦ مارس استشهدت «أم محمد جاد» من قليوب «ويمن صبيح» من الشرقية، وبعد ذلك بأسبوع فى الأحد ٢٣ مارس استشهدت «سيدة بدران» من قرية كفر الوزير دقهلية وفى نفس اليوم ٢٣ مارس قامت مذبحة فى ميت القرشى دقهلية واستشهد كثيرون ومن ضمنهم عروس تدعى «صديقة» كانت تزف إلى «عبد المجيد إبراهيم»، وفى يوم الخميس الموافق ٢٧ مارس هجم الإنجليز على قرية تفهمنا الأشراف وقتلوا كثيرًا من الأهالى بما فيهم الرجال والشيوخ والأطفال والنساء، يحتفظ التاريخ باسم واحدة منهم هى «رقية أحمد متولى» وقبل ذلك بأيام قلائل أى فى يوم الإثنين ٢٤ مارس أغارت طائرتان بريطانيتان بقنابلهما على مدينة أسيوط فاستشهد العشرات وفى ذلك

الهجوم فقد المحامى الشرعى عبد الله الشامى ابنتيه «فائقة محمد» التى استشهدت يوم ١٠ إبريل سنة ١٩١٩ وشيعت جنازتها مع شهداء يوم ١١ إبريل، وفى يوم ١٢ إبريل اشتركت نساء القاهرة فى تشييع شهدائها من الرجال وتحمس الرجال لهذا المنظر المؤثر وهتفوا بسقوط الاستعمار فأطلق جنوده الرصاص على أهالى القاهرة وسقطت شهيدات مع من سقط من الرجال ومن أولاء الشهيدات «حميدة خليل» من حى الجمالية و«سيده حسن» من حى عابدين».

وكان قد سبق المظاهرة النسائية يوم ١٦ مارس ١٩١٩ تجمع نسائى فى منزل هدى شعراوى تدارس الحاضرات ما يجب أن يقمن عليهن بعمله لمؤازرة رجال الدين من المصريين واستقر الرأى على إرسال المذكرة السابقة إلى المعتمد البريطانى وإرسال خطاب إلى الليدى برونيت زوجة المندوب السامى البريطانى وقال الخطاب وكان بتوقيع هدى شعراوى «سيدتى...

فى هذه الظروف الحزينة التى تجتازها بلادنا الآن أذكرك بمحادثتنا فى الصيف الماضى عن نتائج الحرب المؤلمة وكنت تؤكدين لى إذاك إن بريطانيا العظمى نزيهة فى اشتراكها فى هذه الحرب، وإنها لم تسهم فيها إلا لخدمة العدل والإنسانية، ولكى تدافع عن حرية الشعوب المظلومة وحماية حقوقها، فهل تتفضلين بأن تصرحى لى إذا كان هذا ما زال رأيك اليوم؟ وما رأيك يا سيدتى فى حكومتك إذ تعطى لنفسها حق بسط الأحكام العرفية فى زمن السلم وتنفى أناسًا من بلادهم، لا يطلبون إلا أن يعيشوا أحرارًا فيها، وما قولك فى جنودكم الذين يجوبون شوارع مصر الهادئة بالمدافع الرشاشة، يطلقونها على شعبها الأعزل إذا ارتفعت أصوات أفراده مطالبين بالحق والحرية، أرجو أن تخبرينى يا سيدتى إذا كانت هذه الأعمال نتيجة كل المجهودات التى بذلتها إنجلترا فى خدمة الإنسانية والعدالة، وإلا فلتتفضلين بشرح المعنى الصحيح لكلماتك الجميلة التى أسمعها منك وإذا كانت فئة من الصبيان المصريين قد ضربوا بعض الحوانيت،

فما فعلوا ذلك إلا لأنهم اتبعوا للأسف المثل الذى ضربه لهم جنودكم المتمدنون جدًا من زمن غير بعيد وتقبلوا يا سيدتى فى عبارات شعورى الحزينة مع تحياتى إليك[٩].

هدى شعراوى

١٦ مارس سنة ١٩١٩»

وكما ترى لم تضن المرأة على مصر بزوج أو ولد أو أب بل، صبرت على فقد أعز ما تملك فى سبيل استقلال مصر ومجدها، ولم تيأس أو تتبرم، مما شجع الرجال على الصمود فى وجه الاحتلال ومقاومته، الأيام والسنين الطوال حتى استطاعت البلاد أن تحصل على استقلالها بفضل أبنائها، ويقال إن ابنة الطبقة الموسرة أو الطبقة الأرستقراطية هى التى أسهمت فى الثورة والأعمال السياسية المجيدة بعدها وأقول إن ابنة الطبقتين المتوسطة والدنيا هى التى استشهدت بيد الاستعمار وهى التى شعرت بذل الاستعمار وظلمه وما ارتكبه من مآس، لأنها هى التى شعرت بكل ذاك الظلم والمهانة وهى التى وقع عليها عبء الاحتلال جميعًا فهى التى فقدت العائل والوالد وأخذ منها القوت والدواب نهبًا وأكثر من ذلك هى أدرى الناس بقسوة الظلم لأنها التى عانت من ظلم المجتمع، فهى إذًا أول من تشعر بما تعانيه بلادها وتعيش معها فى محنتها الاستعمارية القاسية ومن ثم لم تفقد حماسها من أجل حصول مصر على حريتها واستقلالها وكانت المرأة المصرية تدفع أبناءها للاستمرار فى الكفاح من أجل حرية مصر، لذا قدمت كل سيدة مصرية إلى بلادها ما استطاعت عمله، مما مكن البلاد من الاستقلال فما من والدة شهيد إلا وقدمت الكثير وما من أسرة مصرية فى الكفور والقرى والمدن إلا وفقدت أحد أفرادها بالاستشهاد أو بالسجن أو الفقد.

وأذكر هنا هذه القصة الواقعية التى شهدتها مدينة المحلة الكبرى وقصتها كل أم من أهالى المدينة على أبنائها، وفحواها إن السيدة هانم المزين ابنة المحلة عاد ابنها «محمد حلمى صلاح» من القاهرة بعد أن أغلقت المدارس والمعاهد أبوابها

بمناسبة نشوب ثورة سنة ١٩١٩ وكان طالبًا بمدرسة الفنون والصنائع الملكية «الفنون التطبيقية الآن» ورأى وهو يسير فى طريقه من المحطة إلى المنزل، بعض الأهالى يجلسون مع أحد جنود الاحتلال على مقهى يتحادثون ويتضاحكون، وملأه الغضب فاعتلى أحد مقاعد المقهى وخطب فى الجمهور منددًا بهذا الموقف ومذكرًا اياهم بإخوة لهم يموتون فى القاهرة وتملأ دماؤهم الطرقات لاعتداء الإنجليز، أشقاء الجالس بينهم على أرواحهم وأعراض نسائهم، فهاج شعب المحلة فى ذاك المكان والأماكن المجاورة وانقضوا على الإنجليزى وزملائه جنود الاحتلال فى البلدة تقتيلا وتعذيبًا، وهاجت السلطات البريطانية وأرسلت حامية إلى المحلة الكبرى لتقوم بتأديب الشعب هناك، وعملت التحقيقات السريعة لإرسال عديد من أبناء المحلة إلى حبل المشنقة والسجن المؤبد. وقبل تنفيذ الحكم فى الطالب «محمد حلمى صلاح» بطل هذه القصة تمكن من الهروب ونفذ حكم الأعدام فى رفاقه وبحث عنه دون جدوى، وكان جنود الإنجليز يترددون على منزل أسرته ليل نهار لعلهم يجدونه أو ما يدل على مكانه، وكم من أعمال التعذيب والتهديد ارتكبت مع أفراد أسرته، وسقط الأب مريضًا فاقد النطق والحركة ثم ما لبث أن توفى ولم يبق من الأسرة إلا الأطفال والأم التى أخذت مرارًا إلى مركز السلطات البريطانية وكم سجنت مع حفيدها الطفل الرضيع الذى كان قد فقد والده منذ قليل، واستمر السجن والتعذيب مع الأم عدة سنوات دون العثور على الابن المتهم ودون أن تيأس الوالدة من رحمة الله، وجاءت رحمة الله فى شكل حكومة سعد زغلول الوطنية سنة ١٩٢٤ وذهبت الأم إلى بيت سعد مع غيرها من الأمهات وعشن بعض أيام أمام منزل سعد فى الطريق العام لايبرحنه حتى وعدهن بالعفو عن أولادهن لأن هؤلاء الأولاد كما قالت الأمهات لم يقمن بما حوكموا من أجله إلا من أجل مصر، ومن ثم أصدر سعد زغلول العفو فعلاً عن المتهمين السياسيين وأتم الابن تعليمه العالى فى بعثة علمية فى الخارج وتخصص فى بناء السفن، وخرج على المعاش فى نهاية سنة ١٩٥٢ وتوفى فى بداية عام ١٩٧٣، ولنا أن نعيش مع عذاب هذه الأم المصرية وما عانته لسنوات طوال، وهى نموذج حى لعديد من الأمهات المصريات وما عانينه لا لسبب إلا لأنهن أردن الحرية لبلادهن، وهى التى افتقدتها المرأة المصرية، ورأت فى حصول مصر عليها عزاء لها.

وكان من نتائج اشتراك المرأة فى ثورة سنة ١٩١٩ اشتراكًا فعليًا أن شعرت بالثقة وبقدرتها على المساهمة مع الرجل فى الأعمال القومية، والتى عرف عنها أنها من اختصاص الرجل وحده. هذا، كما أن أنباء خروج المرأة المصرية عن المألوف دفع عديد من الصحف الأجنبية مثل صحيفة «سنداى إكسبريس» و«الديلى نيوز» و«التايمز اللندنية» لأن تنشر أنباء الثورة المصرية، وتأخذ أحاديث من بعض نساء مصر عن الثورة ورأيهن فى الاحتلال الإنجليزى، وهذا لفت أنظار الرأى العام العالمى والمنظمات النسائية الدولية لوضع المرأة المصرية الجديد وبأهمية القضية المصرية، فدعاها الاتحاد النسائى الدولى إلى إيفاد مندوبات عن نساء مصر لحضور المؤتمر الذى عقد بجنيف سنة ١٩٢٠، بيد أن النساء المصريات لم يكن على استعداد لتلبية الدعوة لاستمرار أحداث الثورة ولتهيبهن السفر للخارج وحضور مؤتمرات دولية.

وكانت ثورة سنة ١٩١٩ نقطة تحول مهمة فى مساهمة المرأة المصرية فى السياسة المصرية بعد ذلك، فقد تكونت «لجنة الوفد المركزية للنساء» من زوجات وقريبات أعضاء حزب الوفد، ومكانة هذه اللجنة من الحركة النسائية إنها كانت أول تجمع نسائى سياسى كبير تشاهده مصر الحديثة، كما أن بعض أعضاء هذه اللجنة حمل لواء الصحافة النسائية فى العشرينيات والثلاثينيات، وأنها كانت النواة للاتحاد النسائى المصرى الذى ظل يتزعم الحركة النسائية فى مصر منذ إنشائه فى مارس سنة ١٩٢٣ حتى نهاية الخمسينيات، وقد رأست اللجنة المركزية للنساء الوفديات «هدى شعراوى» وتولت سكرتاريتها «فكرية حسنى»، ومن أعضائها نجد «إستر ويصا» و«إحسان القوصى» التى كانت وكيلة الرئيسة و«جميلة عطية» و«روجينا خياط» أمينة الصندوق و«وحيدة ثابت» وشقيقتها فهيمة ثابت رفيقة صفية زغلول فى سفرها إلى سعد زغلول فى منفاه بجبل طارق، وحرم كل من رياض باشا وراتب باشا. وقد انتخب تلك اللجنة مؤتمر نسائى عقد فى الكنيسة المرقسية وحضره حوالى ٥٠٠ سيدة يمثلن الفئات المختلفة من نساء مصر(١٠).

وقد استطاعت اللجنة المركزية للنساء الوفديات أن تقوم بدور نسائى سياسى فى بداية العشرينيات، فقد طالبت بمقاطعة لجنة ملنر[١١]، التى حضرت إلى مصر فى أواخر سنة ١٩٢١ وبداية سنة ١٩٢٢، وقام أعضاؤها بحث أفراد الشعب والحكومة على تنفيذ المقاطعة. كما طالبت بمقاطعة البضائع الإنجليزية والعمل على رفع مستوى الصناعة المصرية، ومن هنا أسهمت المرأة المصرية فى الثورة المصرية الكبرى سنة ١٩١٩ وما تلاها من أحداث سياسية مهمة، وترتب على ذلك استجابة بعض أبناء مصر للعمل على استقلالها الاقتصادى، وأنشأوا «بنك مصر» فى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ وتوالت بعد ذلك شركاته، ويقال إن «هدى شعراوى» هى التى فكرت فيه عن طريق إنشاء مصرف مالى يودع فيه أموال المصريين بدلا من البنوك الإنجليزية، كنتيجة عملية لتلبية نداء «لجنة المقاطعة» وطلبت هدى من المشرف على أعمال دائرتها المالية «طلعت حرب» أن يفكر فى هذا الموضوع تمهيدًا لتنفيذه، غير أن «طلعت حربا» خشى من فشل المشروع لعدم وجود المال المصرى الذى يشغل مثل هذا المصرف، وردت عليه هدى شعراوى بأن أموال أسرتها وحدها كفيلة بإنجاح هذا الموضوع، وأنها تضع تحت أمر المشروع كل ما تملك، وهكذا خرج هذا المصرف الاقتصادى المصرى إلى الوجود[١٢]، واكتتبت هدى شعراوى بمبلغ ألف جنيه مصرى كدفعة أولى، وحثت أفراد أسرتها وأصدقاءها ومعارفها على الاكتتاب فى هذا المشروع لكى يكتب لمصر الاستقلال الاقتصادى الذى هو الحجر الأساسى للاستقلال السياسى[١٣].

وعقد مؤتمر نسائى دولى فى روما سنة ١٩٢٣ ودعيت المرأة المصرية لحضوره، واجتمعت اللجنة المركزية للنساء الوفديات، ورأت أن يكون لها اتحاد نسائى مصرى عام أسوة بالاتحادات النسائية فى الدول الأوروبية، ولما كانت اللجنة المركزية الوفدية لا تستطيع أن تحل محل الاتحاد، فقد حلت وحل محلها الاتحاد النسائى الجديد من الأعضاء ومن انضم إليهن ورأسته هدى شعراوى رئيس اللجنة السابقة، وساهمت أعضاء الاتحاد النسائى المصرى فى الحياة السياسية فى بداية عهده بالحياة، ثم ألمت به ما ألم بالحياة الحزبية السياسية من خلافات ومشاحنات أدت إلى تعثر القضية المصرية الكبرى فى السير إلى طريق الحل،

فعندما افتتح البرلمان المصرى لأول مرة فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤، توقعت أعضاء الاتحاد النسائى المصرى أن يتضمن خطاب العرش الإشادة بجهود النساء ضد الاحتلال الإنجليزى وإسهامهن فى قيام حياة نيابية فى مصر بما لا يقل عما قام به الرجال، غير أن خطاب العرش لم يشر لكفاح المرأة المصرية ومطالب مصر الحقيقية بما فيها وحدة وادى النيل شماله «مصر» وجنوبه «السودان»، وكان من الطبيعى أن يغضب لذلك ممثلوا المرأة وهن أعضاء الاتحاد النسائى، فعقدن اجتماعًا بدار هدى شعراوى وأصدرن مذكرة أرسلت صورة منها إلى رئيس الوزراء سعد زغلول، وآخرتان لرئيسى مجلسى النواب والشيوخ، واشتملت تلك المذكرة على عدة أقسام أهمها القسم السياسى، ويتضمن البروجرام العام ويتكون من:

أولاً: ١ ـ الاستقلال التام لوادى النيل بحدوده القديمة فى الأراضى المصرية.

٢ ـ التمسك بحياد قناة السويس حسب المعاهدات الدولية.

٣ ـ عدم التقيد بقيود سبقت دون أن تقرها الأمة خاصة اتفاق السودان سنة ١٨٩٩ أو تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢.

٤ ـ عدم الاعتراف بما ورد فى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ من تحمل الخزانة المصرية قسمًا من ديون تركيا القديمة، فإن سيادة تركيا على مصر زالت ولم يصبح لها حق ما على مصر.

٥ ـ الامتيازات الأجنبية تحل محلاً وديًا بين حكومة مصر المستقلة المطلقة التصرف من جهة، وبين الدول ذوات الشأن من جهة أخرى.

٦ ـ إذا أريدت المفاوضة مع الإنجليز خاصة، يقوم بذلك ممثلو الأمة بشرط أن يسبق المفاوضة تصريح رسمى من تلك الهيئة عن البرنامج الصريح وجواب رسمى على ذلك من الإنجليز بقبول ذلك كأساس للمفاوضة. وذلك صيانة لمصر من أن تقع فى النتائج السيئة التى وقعت فيها فى المفاوضتين السابقتين.

ثانيًا: تعديل الدستور بحيث يتضمن:

١ ـ تصحيح حدود الدولة وإثباته والنص على أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر مع تعديل المواد التى يقتضيها هذا النص، وإعادة النظر بما يتفق وسلطة

الأمة وسيادتها وتسوية الحالة بالنسبة للقروض المالية والمشاريع التى تجريها إنجلترا بصفة خاصة، كذا إعادة النظر فى المواد المتعلقة بالأحكام العرفية وحرية الصحافة، وحرية الاجتماع والتعيين فى مجلس الشيوخ، والتصديق على القوانين والتشريع فى غياب البرلمان وتعيين الضباط وعزلهم واستجواب الوزراء، وغير ذلك مما يراه المجلس من العيوب الأخرى.

٢ ـ تعديل قوانين الانتخاب بما يلائم لوائح البلاد المتمدنة، لا سيما جعل الانتخاب بدرجة واحدة.

٣ ـ إلغاء القوانين الاستثنائية والرجعية سواء ما صدر منها قبل الحرب كقانون المطبوعات وإحالة الصحفيين على محكمة الجنايات، وقانون التحول والنفى الإدارى والمحاكم المخصوصة والاتفاقات الجنائية أو ما صدر منها بعد الحرب كالقوانين الصرفية وقانون الاجتماعات.

٤ ـ مراجعة التعديلات التى أدخلت على قانون العقوبات بشكل يتمشى مع روح العصر.

٥ ـ استدارك ما عسى يمكن استدراكه من قانون التعينات وتعويض الموظفين الإنجليز.

ثالثًا: الدفاع:

١ ـ تنظيم الجيش والبحرية والطيران بقدر ما تقتضيه سلامة البلاد.

٢ ـ تنظيم وسائل النقل والمواصلات النهرية والبحرية والجوية والتلغراف والتليفون، وتنويع الإرساليات المصرية على هذه الفنون إلى أقصى حد تستدعيه سلامة البلاد، وتسمح به الميزانية.

٣ ـ وضع نظام يقضى بإلقاء مقاليد هذه جميعًا إلى أيدى مصرية فى مدة محدودة.

القسم الاجتماعى:

أولاً: تنمية الموارد الاقتصادية:

١ ـ الاعتراف بالنقابات وتعضيدها أدبيًا وماديًا من الحكومة حتى تكون عونًا لتشجيع وحماية الأمور الاقتصادية فى التجارة والصناعة والملاحة وإنشاء البنوك الوطنية وسائر المشاريع المالية.

٢ ـ أما فى الزراعة فيجب عناية خاصة تدرس بواسطة الإخصائيين، مع إدخال زراعات جديدة مثل الدخان والكتان فإن استيراد إنجلترا قطنها من بقاع أخرى يؤثر على مزروعات مصر من القطن، وأن المزروعات الجديدة تفيد الأهالى من وجهتى الاستهلاك والبيع وتفيد الحكومة من جهة الضرائب.

٣ ـ إيجاد أكثر ما يمكن من الأعمال المثمرة ويعهد بها إلى العمال العاطلين وتحسين حالة الفلاحين والعمال وإعطاء الضمانات الكافية لتحسين حالهم تحسينًا مضطردًا مع رقى الحياة العامة، وكذلك صغار الموظفين وسائر الطبقات المستضعفة.

ثانيًا: عدم الإسراف فى منح امتيازات جديدة للأجانب وتخفيف شروط ما يرى منه ضروريًا والعمل على إلغائها تدريجيًا لتملكها أيادى مصرية، والاقتصاد فى استخدام الأجانب التى تقتضى الضرورة والاستعانة بهم كموظفين لا كحكام.

وفوق كل هذه البنود أكدت المذكرة بالطبع ضرورة منح حقوقهن السياسية بممارسة عملتى الترشيح والانتخاب للمجالس النيابية، كما أشارت إلى ضرورة مساواة البنت بالولد فى مختلف مراحل التعليم بما فيها التعليم العالى لمن تريد منهن وطالبت المذكرة كذلك بحماية العائلة، وإتاحة الفرصة للمرأة لأن تعمل فى مختلف مرافق الحياة متى حملت نفس مؤهل الرجل، وأن تقوم الحكومة بالرعاية الصحية التامة للشعب(١٤).

وببداية الحياة النيابية فى مصر سنة ١٩٢٤ وخروج دستور سنة ١٩٢٣ إلى الوجود انتهت أحداث ثورة سنة ١٩١٩ وأسدل الستار على أغلب أبطالها الحقيقيين والذين ضحوا بأرواحهم فى سبيلها ورووا بدمائهم أرض مصر وعانوا

وكافحوا وناضلوا من أجل القضاء على الاستعمار الذى لم يكن لهم يد فى جلبه للبلاد، وفى مقدمة هؤلاء المرأة المصرية التى أنساها حبها لمصر إيمانها بقضيتها وإصرارها على النصر، كل ما ورثته من تقاليد وقيود، فخرجت إلى الحياة العامة مشاركة فيها بكل ما أتيت من قوة وإمكانات مادية ومعنوية غير عائبة بنظرة المستهزئين والمتشككين. وقامت بدورها وأدته أعظم ما يكون القيام والأداء فقد اشتركت فى المظاهرات وفى تشييع الجنازات ونسفت وسائل المواصلات التى كانت تساعد المحتل فى تنقلاته وحملت فى ملابسها السوداء المفرقعات والمنشورات الثورية والأطعمة والملابس والأدوية لثوار وجرحى ثورة سنة ١٩١٩، وأخفت المناضلين فى منازلها عن أعين رجال الاحتلال البريطانى، وساعدت فى تهريبهم من السجون ومن حبل المشنقة، وأصدرت المذكرات، وخطبت فى التجمعات النسائية وكونت اللجان السياسية والاجتماعية لمساعدة زعماء الثورة من الرجال وأسرهم فى حالة استشهادهم، أو اعتقالهم ولرعاية من فى حاجة إلى الرعاية المادية والمعنوية من أفراد الشعب أو أسرهم، ومن أهم هذه اللجان لجنة الوفد المركزية للنساء ولجنة المقاطعة وغيرها كما مر بنا.

ومهما يكن من شىء فقد أعطت المرأة المصرية بلادها خلال ثورة ١٩١٩ وما تلاها من أحداث، كل ما تملك من أهل وولد ومال وجهد ودم وروح، مما دفع الشعب فى مصر والعالم العربى والخارجى أن يكن لها كل احترام وتقدير ويعيد إليها ثقته السابقة فى قدرتها على المساهمة الفعالة فى بناء وطنها فى كافة ميادين البناء والتعمير وإذا كانت المرأة توارت عن مسرح الحياة السياسية الجادة بعد قيام الحياة البرلمانية فإن ذلك يرجع للانحرافات السياسية والتى أثرت فى غيرها من فئات الشعب بطريق أو بآخر ومثال ذلك النزاع الذى نشب بين هدى شعراوى وسعد زغلول منذ قبول تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ لتحفظاته الأربعة وملخصها منح الاستقلال لمصر مع تحفظات أربعة هى ترك قضية السودان كما هى أى استبعادها من القضية المصرية، وحق بريطانيا فى حماية الأقليات فى البلاد المصرية ومنح بريطانيا وحلفائها امتيازات فى المواصلات داخل الأراضى المصرية فى حالة الحرب والتهديد بالحرب وبقاء جنود للاحتلال فى بعض المدن

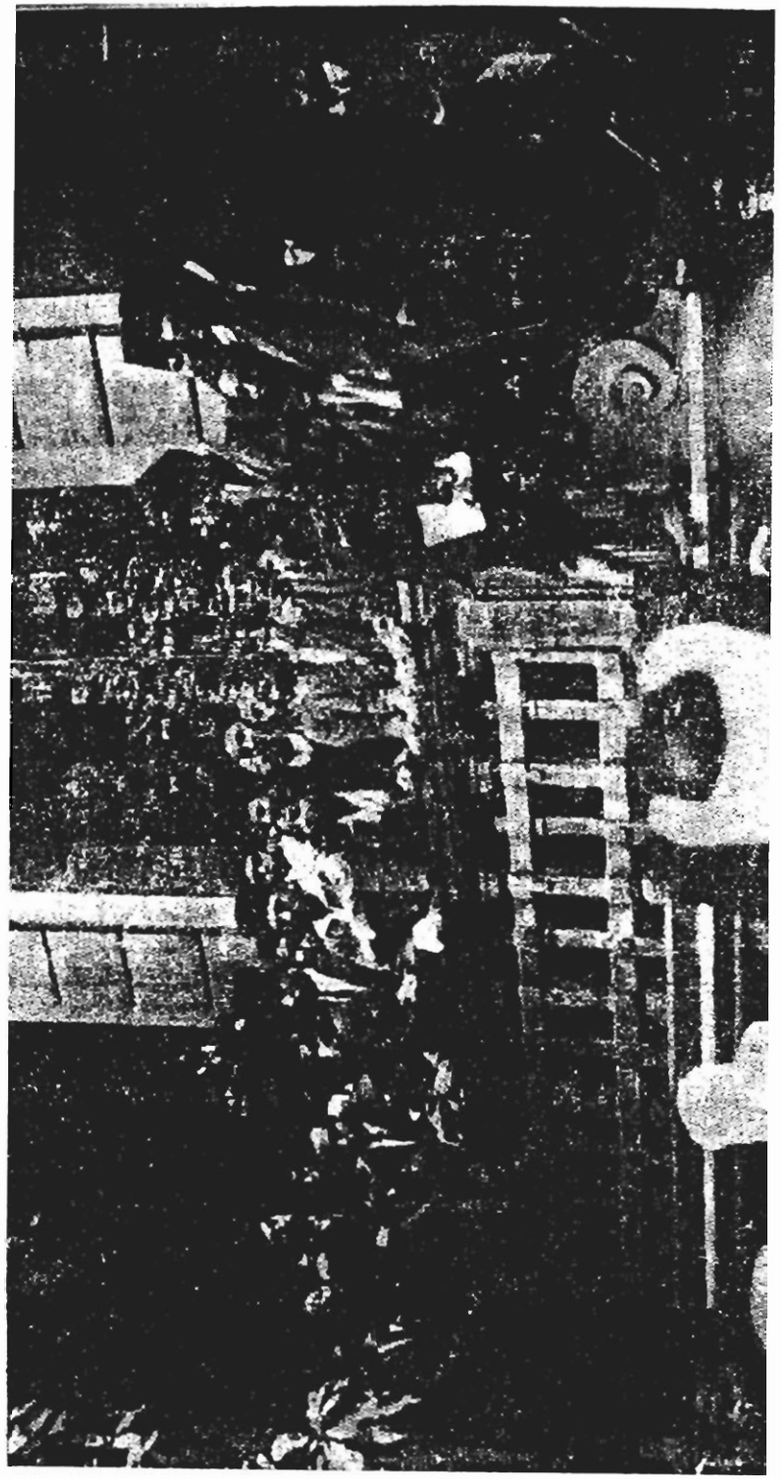

الطالبة بهية فهمى تخطب فى الرجال فى مارس ١٩٢٨ من بيت الأمة «منزل زغلول» مطالبة منهم مقاومة الاحتلال الإنجليزى حتى تستقل مصر

المصرية. واتصلت هدى شعراوى بسعد وأخبرته أن هذه التحفظات تبعد القضية المصرية عن جوهرها والأسباب الرئيسية التى قامت من أجلها الثورة، بيد أن سعدًا ضرب بآرائها عرض الحائط ومن ثم وقفت هدى من الحكومة الوفدية موقف المعارضة السياسية ونظمت مظاهرة نسائية سارت فى شوارع القاهرة فى صباح ٢٣ يناير ١٩٢٢ إلى أن وصلت فندق سميراميس هاتفات بضرورة مقاطعة «لجنة ملنر» ومطالبات مغادرتها للبلاد المصرية وخطبت هدى النساء وتجمع عديد من أفراد الشعب حولهن مما دفع حكمدار البوليس الإنجليزى «راسل باشا» وجنوده للتصدى للمتظاهرات بالضرب ولم تجد النساء بد من إلقاء أنفسهن فى النيل واستخدمن القوارب فى الذهاب إلى الشاطئ الغربى، وكان منظر النساء وهن يخرجن من الماء محجبات وملابسهن مبتلة، وما يشعرن به من تعب وإرهاق ومشقة وفوضى لملابسهن الثقيلة بعد ابتلالها بالماء فى هذا الوقت من الشتاء، يدعو إلى الحقد على الاستعمار، والتقدير لهؤلاء النسوة اللائى عانين ما عانين من أجل مصر[١٥]. وجاء خطاب العرش بعد ذلك كما سبق الإشارة إليه وزادت قوة الخلاف بين هدى وسعد، وكانت نتيجة ذلك أن أعلنت انفصال اللجنة الوفدية وما تضمه من لجان عن حزب الوفد، وظهرت إلى الوجود النسائى السياسى ما يسمى بـ «اللجنة السعدية للسيدات الوفديات» برياسة شريفة رياض زوجة رياض باشا، وانضم إليها بعض السيدات صديقات صفية زغلول. كوحيدة ثابت زوجة الدكتور عبد العزيز حلمى، غير أن هذه اللجنة لم تعش طويلاً.

وبعد افتتاح البرلمان المصرى الأول بعد شهور قتل السردار الإنجليزى وهاج الاحتلال وماج لهذا الحادث واعتقل الكثيرون، وقدم المندوب السامى البريطانى «اللورد اللنبى» مذكرة إلى سعد تتضمن عدة مطالب، وعدت هدى أن هذه المطالب فيها إهدار باستقلال مصر وكرامتها، ومن ثم أرسلت خطابًا إلى سعد زغلول رئيس الحكومة المصرية وقتذاك بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ تطلب فيه منه عدم الرضوخ للمطالب الإنجليزية مهما كلفه الأمر لأنه: «مهما كان أسف البلاد عظيمًا من الجناية التى اغتالت حياة قائد عظيم، فلن ينبغى للتكفير عنها التضحية بشرف الأمة وكرامتها، لذلك نطلب نحن نساء مصر من دولتكم

الاحتفاظ بهذه الكرامة ورفض طلبات إنجلترا، ومع علمنا بأن تلك الدولة بيدها أن تنفذ بالقوة ما طلبته، نرى من العار أن يذبح أبناء البلاد كرامة أمنهم بأيديهم، خصوصًا وأن حكومتنا قامت والشعب بإعلان استنكار الجريمة، والحكومة مجدة فى البحث عن الجناة، وقد وفقت للقبض على فريق منهم قيامًا بواجبها لا خضوعًا لسطوة إنجلترا»[١٦].

وفى اليوم التالى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ استقال سعد زغلول من الحكومة وحل محله فى الحكم «أحمد زيور باشا» بأمر الإنجليز وأخذ ينكل بالوطنيين، واستنكرت أعمال زيور واشتركت نساء مصر فى هذا الاستنكار سواء بإرسال مذكرات الاحتجاج، أو بكتابة المقالات فى الصحف كما فعلت منيرة ثابت، إذ أصدرت مجلتها فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥ لتهاجم زيور وسياسته طبقًا لسياسة حزب الوفد[١٧] وعلى صفحات هذه المجلة هاجمت منيرة ثابت «زيور» هجومًا عنيفًا اشتركت معها فيه الكاتبة الوفدية عائشة صالح بالإضافة إلى رسوم... رسوم الكاريكاتير والكارتون ومن هذه المقالات ما نشرته تحت عنوان: «أمس واليوم وغدًا» وقالت فيه: «بعد نضال عام ونصف عام أخذ زيور باشا يتقهقهر أمام إرادة الأمة دون أن تنجده القوة التى رفعته إلى كرسى الوزارة، وأخذت - الروح الرجعية - ترتطم بصخرة الهزيمة وترتد خاسرة المعركة، أجل تقهقرت الآلة المتحركة المسماة زيور باشا[١٨]، وانهزمت هزيمتها الأولى، فبدأت الأمة تتأهب للانتخابات للعودة إلى الحياة النيابية التى تعطلت من نوفمبر سنة ١٩٢٤ إلى يومنا هذا، فبعد أيام قليلة تبدأ المعركة الانتخابية، وبعد أسابيع يفتتح البرلمان وأنف (روح الرجعية مرغم)... فتعود الحياة النيابية إلى دورتها العادية وتتولى الحكم فى البلاد وزارة تثق بها الأمة، وعندئذ يكون الحكم حكم الدستور لا حكم الأهواء الفردية»[١٩].

ومقال آخر نددت فيه بسياسة العصابة الدكتاتورية وكيف انتصر الشعب عليها[١٩]، وفى هذا المعنى تكتب منيرة ثابت فى افتتاحية العدد الخامس بأنه: «ليس فى مصر الآن وزارة، وإنما هناك عصابة ديكتاتورية تحتل دور الوزارات وهى مستمرة فى محاربة الأمة» نعم عصابة ولا يمكن أن نسميها غير ذلك، لأنها عبارة عن أفراد قلائل تآمروا على الدستور والحياة النيابية، وجعلوا سلاحهم فى

ذلك ارتكاب الجرائم، وكل جماعة ضئيلة لا تقوم إلا بالجرائم هى عصابة»، وأخذت منيرة ثابت تعدد الأخطاء التى ارتكبها أعضاء وزارة زيور وعدم أخذهم بقرار أعضاء مجلس النواب «والذى اجتمعوا فى فندق الكونتينتال فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥، وكان الاجتماع مطابقًا لنصوص الدستور، وأكد عدم الثقة بالوزارة، وأصدر حكمه على أحكامها الإجرامية وطلب إقالتها تمهيدًا لمحاكمتها، ولكن أعضاء هذه العصابة الذين جعلوا أنفسهم وزراء آخر الزمان بقوا فوق كراسى الحكم ولم يخضعوا لسلطة البرلمان التى هى فوق كل سلطة»[٢١].

ولم تكن منيرة ثابت المرأة المصرية الوحيدة التى هاجمت وزارة زيور باشا، بل لقد عقد مؤتمر نسائى فى ٢٨ نوفمبر ١٩٢٤ لتتباحث أعضاؤه فيما حل بالبلاد بعد استقالة سعد باشا وإحلال زيور محله، وقد احتجت أعضاؤه على أعمال القمع والإرهاب التى ارتكبتها الوزارة الزيوارية ضد الشعب المصرى وأصدر المؤتمر القرارات التالية:

(١) إن اللجنة النسائية لمقاطعة السياسة الأجنبية تعلن احتجاجها على الوزارة لوقفها البرلمان وإبعاد نواب الأمة عن الحياة السياسية وعدم إعلانها برنامجًا يحدد ما ستفعله حلا للأزمة الحاضرة.

(٢) تحتج الحاضرات على قبول مناصب الوزارة فى هذه الظروف.

(٣) كما تحتج على حبس عدد من نواب الأمة دون إعلانهم بالتهم التى وجهت إليهم وقبل الرجوع إلى البرلمان لجواز القبض عليهم.

(٤) استنكار أعمال الوزارة بعدم احترام الدستور بتعطيل البرلمان والقبض على بعض أعضائه.

(٥) استنكار سكوت الوزارة إزاء تصرف الإنجليز بإخراج الجنود المصريين من السودان.

(٦) الاحتجاج على موقف الوزارة من خروج الجيش البريطانى وطوافه فى الشوارع بشكل استفزازى واستثارة عواطف الشعب.

(٧) تنبه المجتمعات فى هذا المؤتمر جميع طبقات الشعب، أفرادًا وجماعات وهيئات نيابية ونقابات مختلفة، بأن ساعة الخطر قد دقت وأن الوطن فى حاجة

إلى التضافر من جميع أبنائه وتناسى الأحقاد والاحتضان لدرء ذلك الخطر بالطرق السلمية المشروعة»[٢٢].

وهكذا سجل أعمال هذا المؤتمر صفحة مجهولة لكفاح المرأة المصرية السياسى، غير أن المرأة المصرية وجهت بعد ذلك جل اهتمامها للعمل فى المجالات الاجتماعية التى انحصرت فى الخدمات وتشمل هذه الخدمات الرعاية الصحية والمهنية البسيطة كأشغال الإبرة والسجاد للفقراء، وذلك كنتيجة لعدم الاستقرار السياسى والمشاحنات الحزبية التى عانت منها مصر وانعكست على المرأة المصرية.

هذا، وفيما يختص بقضية سياسية مهمة أخرى خاضتها المرأة، وهى المطالبة بمنحها حقوقها السياسية والتى انحصرت فى ممارستها عمليتى الانتخابات كناخبة ومنتخبة، فقد ظلت هذه القضية المظهر البارز للنشاط السياسى للحركة النسائية، خاصة منذ بداية الثلاثينيات حتى صدور دستور ١٩٥٦ والذى تضمن الاعتراف الصريح لحق المرأة فى دخول المجالس النيابية فى مصر، وقبل أن نأتى بالقصة الكاملة لمطالبة المرأة بحقوقها السياسية تلك، لابد من الإشارة هنا إلى أن نساء مصر المنتميات إلى الطبقيتن المتوسطة والدنيا انفصلتا عن الحركة النسائية بعد بداية العشرينيات خاصة فيما يتصل بالمجالين السياسى والاجتماعى، وانصرف نشاط ابنة الطبقة المتوسطة إلى السعى لولوج ميادين العلم المتاحة للرجل، والتى كانت موصدة أمام المرأة المصرية؛ لذا اتجهت إلى هذه الميادين بكل ما تملك من قوة ومثابرة على النضال، وذلك خلال العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات وبداية الخمسينيات، إلى جانب سعيها للحصول على عمل مناسب للمؤهل الذى حصلت عليه، وعندما فرغت من كفاحها المرير كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، قد ظهرت على مسرح الحياة المصرية وتغيرت المفاهيم السياسية المصرية التقليدية، بعد أن أصبحت غير ذات موضوع، فإجلاء الإنجليز عن أرض مصر، واعتراف الثورة بمكانة المرأة المصرية فى الحياة الإنتاجية بأبعادها المختلفة ومجالاتها المتعددة بما فيها بالطبع الحياة السياسية ومطالب

الفروق بين المرأة والرجل شيء فرضته الطبيعة.. «فالمرأة قد خلقت وفى مقدمة وظائفها أن تنجب أطفالاً وترعاهم، فإذا ساويناها بالرجل حرمناها من مسئوليتها الطبيعية» وتذكر المرأة بعدم استطاعتها القيام بما يقوم به الرجل من أعمال: «فالمرأة فى المصنع غير قادرة على مساواة الرجل فى العمل، وليس فى مقدورها أن تساهم فى الحقل مساهمة تعادل مساهمة الرجل». وتطالب المرأة بأن تحتفظ بما نالته من مزايا كرعاية الرجل لها ماديًا إذ: «لا أخالنا غافلين عن أن مساواة المرأة بالرجل سيسلبها حقها فى رعاية رجلها لها، لأن هذه المساواة ستترك البيت فوضى؛ لأن مشكلة ستنشأ فى بيوتنا هى: مشكلة من المسئول عن البيت الرجل أم المرأة»[٢٧].

غير أن درية شفيق غيرت رأيها بعد ذلك وظلت تنادى بمساواة المرأة بالرجل ودخولها البرلمان وحقها فى اختيار من يمثلها فيه لأنه: «من العار أن يصوت الطاهى، وتحرم من ذلك السيدة التى تستخدمه فى منزلها»[٢٨].

ولم يقتصر مطالبة درية شفيق لمنح المرأة المصرية حقوقها السياسية عند كتابة المقالات، بل تعدى ذلك إلى عقد المؤتمرات النسائية بالاشتراك مع الهيئات النسائية المصرية الأخرى، وألقت روحية القليني التى كانت تلقب بشاعرة الحركة النسائية قصيدة قالت فى بدايتها:

أمامكم ترون هدوء وجه ... ولكن القلوب تكن ناراً
فما يثنى عزائمنا وعيد ... فنار قلوبنا ازدادت أواراً

وتكلمت المحامية زينب لبيب مبينة رأى القانون فى منح المرأة حقها السياسى ثم هتفت الحاضرات:

نحن نريد حرية لنا وللجميع ... نحن نريد مساواة لنا وللجميع
نحن نريد عملاً لنا وللجميع ... نحن نريد مسئولية لنا وللجميع

فإلى الأمام... إلى برلمان النصف الآخر نعلنه بحقوقنا ومطالبنا، وانطلقت الحاضرات إلى مبنى البرلمان المصرى وهن يحملن لافتات كتب عليها:

وكانت المتظاهرات يهتفن بسقوط الرجعية، وأن «البرلمان للنساء والرجال» والاستعمار عدو المرأة.

ووصلت المتظاهرات إلى البرلمان وقدمن إلى مجلسى الشيوخ والنواب والقرارات التى اتخذتها فى مؤتمرهن وهى:

١ ـ تعديل المادة الأولى من قانون الانتخاب؛ لأنها غير دستورية إذ يجب أن يعطى النساء كافة الحقوق السياسية على قدم المساواة مع الرجال.

٢ ـ تشريع القوانين الكفيلة بحماية الأسرة وعلى الأخص تقييد حق الطلاق وتعدد الزوجات.

٣ ـ تقرير الحرية والمساواة فى كافة الحقوق والأجور.

وكانت المتظاهرات يوزعن على أعضاء البرلمان منشورات تقول:

باسم الإنسانية التى تربطنا جميعًا نحن الرجال والنساء. باسم الوطن الذى نكافح من أجل حريته نحن الرجال والنساء... باسم الدستور الذى سوى بيننا نحن الرجال والنساء، يعلن إليكم المؤتمر النسائى العام المنعقد اليوم[٢٩]، بقاعة يورت والذى يمثل نصف الأمة،يعلن إليكم أنتم الذين تمثلون النصف الآخر، حق نساء مصر فى أن يشاركنكم الجلوس تحت هذه القبة المقدسة ليكون التعبير عن آلام وآمال الشعب تعبيرًا صادقًا أمينًا»[٣٠].

ونذكر هنا للتاريخ أن أول مظاهرة خرجت تطالب بدخول المرأة البرلمان كانت بزعامة هدى شعراوى وفى يوم افتتاح البرلمان الأول فى مارس ١٩٢٤، غير أنه لم تجب مطالب النساء لنيل حقوقهن السياسية بخروجهن فى المظاهرات، فقررن الاعتصام فى دار نقابة الصحفيين والإضراب عن تناول الطعام، وكان ذلك فى الساعة الثانية عشر من ظهر يوم ١٢ مارس سنة ١٩٥٢، وكانت المعتصمات[٣١]، درية شفيق وراجية حمزة ومنيرة ثابت وفتحية الفلكى وبهيجة البكرى ومنيرة حسنى وسعاد فهمى وأمانى فريد والمطربة هيام عبد العزيز، كما اعتصم فى

مدينة الإسكندرية أمينة شكرى وثريا العجيزى وسيدة من عامة الشعب تدعى أم جلال.

واهتمت الصحف الأجنبية لذاك الحدث وجاء مراسلوها وأخذوا أحاديث من المعتصمات عن أسباب الاعتصام وعن حقيقة مطالب النساء، ونشرت الصحف المصرية والأجنبية صور المعتصمات وأحاديثهن ومطالبهن مما دفع المسئولين إلى الاتصال بالمعتصمات طالبين منهن مذكرة تتضمن مطالبهن لدراستها، وقد نصت هذه المذكرة على:

«إن المصريات يطالبن بحقوق المرأة الدستورية كاملة غير منقوصة وبضرورة تمثيلها فى الجمعية التأسيسية، وقد تتاح لها الفرصة فى مناقشة الدستور الذى سيحكم به المصريون جميعًا نساء ورجالاً».

وكانت تحكم مصر فى ذلك الوقت حكومة الثورة، والتى ألغت دستور ١٩٢٣ وشكلت لجنة قانونية لوضع دستور يتناسب وظروف مصر الجديدة، وفى اليوم الحادى والعشرين من مارس سنة ١٩٥٤ حمل محافظ القاهرة السيد/ محمود نور رسالة شفهية من السيد رئيس جمهورية مصر تقول: «كلفنى السيد الرئيس محمد نجيب أن أبلغكم بأن مطالبكن قد وصلت إلى اللجنة المختصة بالنظر فى تكوين الجمعية التأسيسية للنظر فيها، وحقوقكن فى أيد أمينة».

ومن ثم انتهى الإضراب عن الطعام بعد ذلك التصريح، وخرجت المضربات عن الطعام من مستشفى القصر العينى إلى منازلهن، إذ أن المسئولين عن نقابة الصحفيين حيث كانت تعتصم النساء، طلبوا نقل المعتصمات إلى إحدى المستشفيات لضعفهن البدنى لامتناعهن عن الطعام[٣٢].

ولم تكن نساء مصر هن وحدهن المطالبات بمنحهن حقهن السياسى، بل انضم لمناصرتهن بعض الرجال أمثال «خالد محمد خالد» و«عبد الملك عودة» الذى كتب عن: «المرأة فى مهب الحرية» وهاجم فى مقاله ذاك رجال الدين الذين طلبوا بعدم إعطاء المرأة حقوقها السياسية وقال إن عليهم تخليص أنفسهم من الخرافات وأن يتعلموا من حكمة الثعلب الصغير حين أعطى الطعام كله للأسد

فسأله الأسد: من أين تعلمت هذه الحكمة؟ فأجاب الثعلب تعلمتها من رأس الذئب الطائر ويختتم الدكتور عبد الملك عودة كلامه بقوله: «ولقد طارت رءوس الذئاب مرارًا وتكرارًا فى أوروبا وأمريكا فليتعلم مشايخنا وليعتبروا بهذه الحكمة»[٣٣]. وقبل عبد الملك عودة بأكثر من ربع قرن من الزمان طالب حافظ سابق سنة ١٩٤٢ بمناسبة افتتاح البرلمان المصرى لأول مرة بمنح النساء حقوقهن السياسية وكان حينذاك طالبًا «بمدرسة الحقوق الملكية» ويعتبر مقاله هذا من أوائل مقالات الرجال الذين طالبوا بمنح المرأة حق الانتخاب ويبدأه بقوله: «حق الانتخابات من الحقوق الطبيعية الذى يتمتع بها الإنسان لكى يضمن حريته ويصونها من استبداد الحكام وجورهم.. وهذا الحق فى الواقع ليس عاملا مطلقًا. أى أنه يتمتع به البعض دون البعض الآخر ذلك؛ لأن الدول تقيده بقيود يتوقف توسيعها أو تطبيقها على استعداد الأهالى للتمتع بهذا الحق وعلى درجة تربيتهم السياسية وعلى عدة اعتبارت أخرى» ويستطرد متناولاً الدستور المصرى الجديد[٣٤] فيقول بأنه:

«يقضى بحرمان النساء من التمتع بهذا الحق وليبرر بعضهم هذا العمل بأن اشتراك النساء العقلى فى الحياة العامة يفقدهن صفتهن الخاصة، وهى العناية بشئون منازلهن، وهذا القول مردود؛ لأنه لا يعقل مطلقًا أن اشتغال المرأة بالسياسة يستغرق كل أوقاتها لدرجة أنها لا تجد الوقت الكافى لإدارة شئون العائلة. وعلى فرض نجاح امرأة فى الانتخابات البرلمانية، فإنها ستجد الوقت الكافى لإدارة شئون العائلة، وذلك لأن البرلمان لا يجتمع طوال السنة سوى ستة أشهر، كما أنه لا يعقد سوى بضع ساعات فى اليوم». ويفند بعد ذلك عدم صحة العقبات الأخرى التى يضعها المعارضون لدخول المرأة البرلمان مثل الشجار الذى قد ينشب بين الزوج والزوجة لانتماء كل منهما لحزب مخالف الحزب الآخر، ومن ثم يؤمن كل منهما برأى مخالف لرأى رفيقه ويعارض حافظ سابق هذا القول لأنه: «كيف يصح للزوج أن يخاصم زوجته من أجل خلاف فى الرأى السياسى؟ إن للمرأة رأيها وعقيدتها كما أن للرجل رأيه وعقيدته وخليق ألا يكون لغير المرأة سلطان عليها فى كيفية إبداء هذا الرأى». ويعرض للقول الذى يدعى بأن الرجل

قد يؤثر على المرأة ويعارض هذا القول، لأن المرأة قد تخضع لتأثير المرأة كما أن الرجل قد يخضع لتأثير الرجل ويبين إن «الشرائع الحاضرة لم تفرق بين الرجال والنساء مباشرة الحقوق المدنية، فلماذا إذًا لا يساوى بين الرجال والنساء فى التمتع بالحقوق السياسية؟ إن حرمات النساء من حق الانتخابات نقض للمبدأ السامى الذى أنشئت المجالس النيابية على أساسه، وهذا المبدأ يقضى بأنه لا يجوز أن تقرر واجبات على الشخص أو على طائفة دون أن تسمع أقوال هذا الشخص أو هذه الطائفة، والقوانين تقيد الرجال والنساء على السواء، إذ فليس من العدل أن يستقل الرجل بعملها دون النساء وأن يحرمن من الدفاع عن أنفسهن ضد هذه القوانين التى يقررها الرجال لمصلحتهم دون نظر إلى مصلحة النساء[٣٥].

وظلت أصوات النساء فى مصر ترتفع مطالبة بمنح المرأة المصرية حق المشاركة فى الحياة النيابية حتى كان يوم ١٦ يناير سنة ١٩٥٧ عندما وقف الرئيس عبد الناصر يقدم دستور سنة ١٩٥٦ ومعلنًا نصه على منح المرأة المصرية حقوقها السياسية التى طالما نادت بها لأن: «الحقوق التى اكتسبها الشعب بالثورة باشرتها المرأة أيضًا كما باشرها الرجل، فقد وقفت المرأة مع الرجل جنبًا إلى جنب طوال كفاحه المرير واستشهدت بعض نسائنا فى سبيل الكفاح المشترك من أجل الحرية والحياة، وكما كافحت المرأة من أجل الحصول على حق الشعب، فمن حقها أن تسترد حقوقها كاملة»[٣٦].

إذًا فاعتراف ثورة سنة ١٩٥٢ بالحقوق السياسية للمرأة المصرية هو تقرير لما قامت به من أعمال مجيدة فى المجال السياسى خاصة إبان ثورة ١٩١٩ وتحملها ما تحمله رجال مصر، وأصابها ما أصابهم من ظلم واضطهاد الحكام وفسادهم، وحصولها على هذا الحق نتيجة طبيعية لما قدمته المرأة المصرية لبلادها ولشعبها. وبعد وضع الدستور الجديد فى موضع الممارسة تقدمت خمس سيدات لخوض المعركة الانتخابية سنة ١٩٥٧ حيث نجحت سيدتان هما راوية عطية فى حى الجيزة وأمينة شكرى بمدينة الإسكندرية وبعد ذلك أصبح تقدم النساء فى معارك الانتخاب شيئًا طبيعيًا إذ لم يخل مجلس نيابى مصرى من بعض ممثلات

عن الشعب منذ سنة ١٩٥٧، وبالرغم من أولاء الممثلات يجلسن فى مقاعد المجلس النيابى بعد مطالبة ملحة وكفاح مرير من أجل دخول المرأة الحياة النيابية فإن التاريخ النسائى لمصر المعاصرة لا يجد لهن ظلا فى أحداثه وقد يكون ذلك لاعتقادهن بأن دخول المرأة المجلس النيابى غاية لا وسيلة لتحقيق كثير من الآمال عقدتها نساء مصر على من يلجن منهن هذا المجلس، فالمرأة فى المجلس النيابى لا تمثل النساء فقط ولا الرجال فقط بل تمثل كلا الجنسين وتمثل الماضى الطويل من الحرمان من المساهمة فى صنع القوانين والتشريعات والإجراءات التى تؤثر على فلذات أكبادها وهى فى عالم الغيب وبعد مجيئها إلى عالم الأحياء، والتى تؤثر على حاضر مصر ومستقبلها، ويرجع عدم وجود بصمات ظاهرة للمرأة فى عالم الحياة النيابية إلى عدة أسباب أهمها فى نظرى إلى انصراف الإعلام النسائى إلى مخاطبة المرأة فى حدود قدراتها الجسدية والأنثوية متجاهلا قدراتها العقلية وصفاتها الإنسانية وتنمية إمكاناتها الفكرية الخلاقة وتوعيتها بالمعنى الحقيقى لطبيعة المجلس النيابى بصفته قمة العمل التشريعى والتقنين فى البلاد وليس مكانًا لعرض الأزياء ولتوكيد هذا الرأى نذكر ما تضمنه الميثاق عن وجوب سقوط بقايا الأغلال التى تعوق تقدم المرأة المصرية لتشارك الرجل بعمق وإيجابية فى صنع الحياة[٣٧]. ومعنى ذلك إن المرأة المصرية لا تقوم بواجبها كاملا وبعمق فى المجالات الإنتاجية الخلاقة خاصة فى المجال السياسى وبذلك فإن تقدم البلاد وتخلفها يقع على كاهل النساء أكثر مما يقع على كاهل الرجال، خاصة بعد أن تعلم أن من يبلغ السن القانونية لمباشرة الحقوق السياسية بين أفراد الشعب المصرى أكثرهم من النساء؛ فعدد من يبلغن سن الانتخاب من النساء ١,١٧٠,٠٠٠ سنة ١٩٦٥ فى حين يبلغ عدد الرجال فى نفس السن ٩٥٨,٠٠٠[٣٨].

ولقد رأت مصر تجمعات سياسية أو مؤسسات سياسية حلت محل الأحزاب السياسية بعد حلها فى يناير سنة ١٩٥٣ مثل «هيئة التحرير» و«الاتحاد القومى» وأخيرًا «الاتحاد الاشتراكى العربى» ولقد مثلت المرأة فى هذه التجمعات بنسب مختلفة وصلت إلى أعلاها الآن ولها فيها ما يسمى بأمانة النساء أسوة بأمانة الشباب وأمانة الفلاحين وأمانة العمال ... إلخ.

ومنذ ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ مرت بمصر أحداث سياسية خطيرة مثل العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وخرجت المرأة المصرية كعادتها لتشارك فى الدفاع عن وطنها بقدر ما تسمح لها الظروف المشكلة لحياتها، فعملت فى التمريض وتهجير أبناء منطقة السويس وحملت ابنة بورسعيد السلاح وأخفت الفدائيين وسهلت لهم إخفاء السلاح والمعدات الحربية الأخرى والحصول عليها، وتحملت فقد الابن والأخ والعائل، زوجًا وأبًا، واستشهدت فى الحرب الكثيرات تحت أنقاض منازل بورسعيد وبعض منازل مدينتى السويس والإسماعيلية وقبل ذلك بعدة سنوات أثار مقاومة الشعب الوجود الإنجليزى فى منطقة القنال بعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ وسقطت بعض النساء شهيدات أمثال «أم صابر» من مدينة أبى حماد «وسيده بندارى» من مدينة التل الكبير لرفضهما تفتيش جنود الإنجليز لهما أثناء سفرهما من بلدتهما إلى بعض مدن القناة[٣٩].

وما زالت المرأة المصرية تدفع ضريبة الدم وتعانى من مرارة الثكل واليتم والترمل وقسوتها خاصة أثناء حربى ٥ يونيو ١٩٦٧ و٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وساهمت فى ميادين التمريض وغيرها من الخدمات العامة، والمرأة الريفية التى ما زالت تعيش فى منطقة القناة حتى الآن تقوم بأعمال الزراعة مفضلة البقاء مع الأرض الزراعية التى تنتج لها القوت على الانتقال إلى مناطق التهجير، تقدم كثيرًا من الخدمات الدفاعية عن بلادها مثل حمل الذخيرة لأبطالنا فى المقاطف وتساعد فدائى مدينة السويس الباسلة فى نقل أسلحتهم وذخيرتهم وإيوائهم[٤٠] ويكفى المرأة الريفية المصرية أنها تقدم للبلاد العتاد البشرى للدفاع عنها والعتاد الزراعى أو إنتاجه، ومن هنا فهى مشعل الحضارة الإنسانية تحمله منذ العصور الفرعونية ابنة عن والدة مضحية بكل ما تملك فى استمرار هذا المشعل مضاء.

ومهما يكن من شىء فإن مشاركة المرأة المصرية فى العمل السياسى بشىء من العمق والدراسة يؤدى إلى إكسابها خبرة وإنجاحها فى هذا المجال مما يعود نفعه على المناخ السياسى لمصر والوطن العربى كله إن شاء الله، إذ أن ممارسة النساء العمل السياسى بشكل جاد سيؤدى إلى تطور المفاهيم السياسية فى هذه المنطقة،

كما سيكسبها منطقًا يتناسب مع الظروف الفكرية العميقة التى تتصف بها كل من تصل لمستوى ثقافى وعلمى معين من نساء العرب وقد يكون هذا ما أدى إلى اعتلاء سيدة مصرية كرسى الوزارة إذ عينت الدكتورة حكمت أبو زيد وزيرة للشئون الاجتماعية فى ٢٩أكتوبر سنة ١٩٦٢ ثم اعتلت كرسى هذه الوزارة بعد مدة الدكتورة عائشة راتب أستاذة القانون الدولى بجامعة القاهرة فى بداية عام ١٩٧١.

ويتضح مما سبق أن خروج النساء للمشاركة الفعالة فى ثورة ١٩١٩ حقق لهن مكاسب سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية كثيرة. ويرجع ذلك إلى شعور المرأة المصرية لضرورة الانتصار لمصر وإذا كانت لم تحقق فى الأحداث السياسية الأخرى والتى رأتها البلاد بعد ثورة ١٩١٩ مثل هذه المكاسب أو ذاك النجاح، فلأنها مارست أعمالها السياسية أو كفاحها السياسى داخل إطار الحماس الجماعى للشعب دون أن تجد القيادة النسائية المنتظمة والمتحمسة التى وجدت فى ثورة ١٩١٩ وانظر مثلا إلى تفرغ هدى شعراوى وصفية زغلول لأعمال الثورة وفتح منزلهما للتجمعات النسائية ليل نهار وحماس بعض القيادات النسائية ومرورهن على مدارس البنات وعلى منازل العائلات طالبات من الفتيات الصغيرات ومن السيدات أن ينادين بخروج الإنجليز وعودة الزعماء من المنفى ومقاطعة سلطات الاحتلال والبضائع الإنجليزية ومساعدة أسر الشهداء والجرحى والمعتقلين ماديًا وأدبيًا، وكان الشعب آنذاك يشاهد صفية زغلول وغيرها من القيادات النسائية يزرن الجرحى ويواسين فاقدة الولد والزوج والأب بالاستشهاد بالمرور على منازلهن حاملات النقود والهدايا وبعض ما يعتقدن أن أولاء النسوة فى حاجة إليه ولم يترفعن عن الذهاب إلى حى السبتية وعنابر بولاق، والقلعة والدرب الأحمر وبعض المدن خارج العاصمة كما زرن الجرحى من الرجال وأسر المعتقلين منهم[٤١]. ومن هنا شعر كل فرد فى مصر إن أحداث سنة ١٩١٩ وما تلاها. ملك ذاتى له، يفعله لتأكيد شخصيته لا من أجل هيئة تطالبه بعمله ومن ضمن هؤلاء المرأة.

إن المرأة المصرية بعد نيلها حق الانتخاب، فقدت الحماس السياسى، ولا أقول إنها فقدت الحماس الوطنى، لأن الكثيرات من حصلن على درجات علمية كبرى، ويعرفن القيمة الحقيقية لمصر، الأرض الأم، يشتعلن وطنية، ولكن داخل أنفسهن؛ لأنهن لا يجدن المناخ السياسى النسوى المناسب لمستواهن العلمى والفكرى ليعملن سياسيًا داخله، ومن ثم يعشن بعيدات عما يسمى بالمؤسسات السياسية مفضلات مجال الإنتاج العلمى والعملى. ولما كان الآن كل شىء يرتكز على العلم وفروعه لنا أن نتصور مدى الخطورة من ترك مجال السياسة النسائية، أو نشاط نصف الأمة فى مجال السياسة، فى أيدى بعض من احترفن العمل السياسى، ولم يكن لهن مهنة قبله، فالعمل السياسى فى نظرى رسالة تقوم بها من أجل الوطن وأبنائه الحاضرين والقادمين، لأن السياسة كالعقيدة الدينية يفشل داعيها عندما يتخذها مهنة أو وسيلة للرزق أو للوصول لأغراض شخصية أو لقتل وقت الفراغ أو للحصول على مناصب مختلفة ما كان يحلم بها قبل احترافه العمل السياسى.

هوامش الفصل السابع

(١) الدليل على ذلك حماية سيدة من أهالى مدينة المحلة الكبرى من أعمال محافظة الغربية للصحفى الثائر عبد الله النديم فى منزلها بعد ما حكمت عليه السلطات الإنجليزية بالإعدام.

(٢) حكم حسين كامل مصر سنة ١٩١٤ بعد إعلان الحماية الإنجليزية عليها ومنع الخديوى عباس حلمى الثانى العودة من أوروبا وأعتقد أن هذا الرجل ضم اسم السلطان حسين كامل لوجوده فى الحكم بعد ذلك ولإرضائه.

(٣) ذكرت لى هذا الرجل السيدة خيرات طمارة وهى إحدى المعاصرات لأحداث هذه الفترة.

(٤) سبق خروج المظاهرة اجتماعات نسائية كبرى فى المدن، حضر على أثرها سيدات مثلها إلى القاهرة وتجمعن يوم السبت ١٥ مارس بمنزل هدى شعراوى لما اتصفت به من قوة إرادة وقدرة على اكتساب صداقة السيدات ولاستقلالها الاقتصادى.

(٥) د. على إبراهيم هو. دكتور على إبراهيم رامز من ١٨٥٧ ـ ١٩٢٨ د، إبراهيم باشا حسن وهو غير سميه د. على إبراهيم الجراح المشهور ١٨٨٠ ـ ١٩٤٧.

(٦) هما كريمتا الصحفية لبيبة أحمد وصاحبة جمعية ومجلة النهضة النسائية.

(٧) راجع فى ذلك للاستزادة عبد الرحمن الرافعى ـ ثورة ١٩١٩ مرجع سابق.

(٨) هو قائد الجيوش الألمانية المعادية للإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وأذاق جيوش بريطانيا كثيرًا من الهزائم قبل انتصار الحلفاء.

(٩) من كتاب تحت الطبع لحواء إدريس «أنا والشرق» ص ٢٩٦. مأخوذة من الوثائق التاريخية لمكاتبات هدى شعراوى.

(١٠) من حديث شخصى مع المرحومة جميلة عطية فى مارس ١٩٦٥، وآخر مع إحسان القوصى فى يونيو سنة ١٩٦٨، ومن الوثائق التاريخية التى نشرت فى الصحف النسائية عن اللجنة وأعضائها، أو كانت محفوظة بدار الاتحاد النسائى.

(١١) جاء اللورد الإنجليزى ملنر إلى القاهرة ليتفاوض مع سعد وصحبه ومنعهم من السفر إلى مؤتمر الصلح المنعقد فى فرنسا سنة ١٩٢١ لعرض القضية المصرية على المؤتمر غير أن الأمة المصرية قاطعت اللجنة فغادرت البلاد لفشلها.

(١٢) الوثائق الخاصة بهدى شعراوى ومن كتاب تحت الطبع لحواء إدريس (أنا والشرق).

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) من الوثائق الرسمية الخاصة بهدى شعراوى والتى كانت محفوظة بالاتحاد النسائى المصرى.

(١٥) حواء إدريس ـ أنا والشرق ـ تحت الطبع ص ٣٦٠ نقلا من أوراق هدى الشخصية، ومن أحاديث هدى لابنة خالها الآنسة حواء.

(١٦) الوثائق التاريخية الرسمية والخاصة بنشاط هدى شعراوى وكانت بالاتحاد.

(١٧) مر بنا قصة هذه المجلة وصورة تاريخية لمقال من هذا النوع، ارجع إلى ص ٦٦ من هذا الكتاب (الفصل الثالث).

(١٨) كان أحمد زيور باشا سمين الجسم جدًا.

(١٩) منيرة ثابت ـ الأمل ـ مقدمة العدد ٢٩ السنة الأولى ١٩٢٦.

(٢٠) منيرة ثابت ـ الأمل ـ العدد الرابع السنة الأولى ص ١٦ سنة ١٩٢٥.

(٢١) منيرة ثابت ـ مجلة الأمل ـ افتتاحية العدد الخامس ـ السنة الأولى.

(٢٢) الوثائق الرسمية للاتحاد النسائى المصرى والخاصة بنشاط هدى شعراوى السياسى، والتى كانت محفوظة بدار الاتحاد وهى الآن فى حوذة الآنسة حواء إدريس.

(٢٣) منيرة ثابت ـ السفور ـ العدد ٣٠٧ السنة السابعة ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٢٢.

(٢٤) راجع فى ذلك مجلات فتاة الشرق والسيدات والمرأة المصرية مايو سنة ١٩٢٣.

(٢٥) راجع فى ذلك مجلة فتاة العصر العدد الثانى ـ السنة الأولى سنة ١٩٤٥ ص ٣.

(٢٦) راجع فى ذلك مجلة النهضة النسائية ١٩٣٠ ـ ١٩٣٦.

(٢٧) درية شفيق مجلة بنت النيل مقدمة العدد الثانى السنة الأولى يناير سنة ١٩٤٦.

(٢٨) درية شفيق مجلة بنت النيل مقدمة العدد ٢٨ السنة الثالثة من مارس ١٩٤٨.

(٢٩) عقد هذا المؤتمر بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥١ ويتضح مما كتب على اللافتات أثر العقائد السياسية الأجنبية مثل الدعوة إلى السلام، لأنه لم تكن هناك حربًا بين الرجال وبيننا.

(٣٠) راجع صحف القاهرة فى ٢٠ فبراير ١٩٥١، وكذلك مجلة بنت النيل العدد ٦٤ ص ٤ مارس.

(٣١) لمعرفة القصة الحقيقية لهذا الاعتصام. انظر ـ أيام فى الجمعيات النسائية لمنيرة حسنى إذ تنكر صيام بعض السيدات.

(٢) للاستزادة ارجع إلى صحف القاهرة خلال مارس سنة ١٩٥٤.

(٣٣) عبد الملك عودة مجلة بنت النيل ـ العدد ٨١ السنة ٧ ص ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٢.

(٣٤) يقصد هنا دستور سنة ١٩٢٣.

(٣٥) حافظ سابق ـ مجلة النهضة النسائية ـ العدد ٩ ـ السنة الثالثة ص ٣٠٥ سبتمبر سنة ١٩٢٤.

(٣٦) من خطاب الرئيس عبد الناصر فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ وهو يقدم دستور سنة ١٩٥٦.

(٣٧) ارجع إلى الميثاق ـ الباب السابع ـ القاهرة ٢١ مايو سنة ١٩٦٢.

(٣٨) الجهاز المركزى للإحصاء ـ مطبوعاته عن السكان سنة ١٩٦٧.

(٣٩) انظر فى ذلك ـ عبد الرحمن الرافعى ـ مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ص ١٠ ـ القاهرة سنة ١٩٦٠.

(٤٠) من حديث مع أحد أبطالنا نصرهم الله.

(٤١) سمعت هذا من بعض سيدات الشعب فى القاهرة وفى طنطا وهن يتحدثن عن ذكرياتهن مع صفية زغلول وهدى شعراوى فى بداية العشرينيات وحتى سنة ١٩٣٦.

الفصل الثامن

المؤتمرات النسائية فى مصر الحديثة

تشكل المؤتمرات النسائية التى عقدت بمصر أحد المظاهر المهمة للحركة النسائية المصرية، كما أنها تعتبر من المظاهر البارزة لنضوج هذه الحركة، ومعنى مؤتمر: هو تجمع جماهيرى، أو تجمع فئة من الناس اجتمعوا فى مكان معين لدراسة قضية خاصة بهم أو بالفئة العامة، أو الجماهير العامة التى يمثلونها، وينفض الجمع، وينتهى الاجتماع بعد إجماع أغلبيتهم على آراء لحلول يرونها علاجًا للقضية أو الموضوع الذى يشغل بالهم، وقد تعلن هذه الحلول فى شكل قرارات أو توصيات وقد لا تعلن ويعمل على تنفيذها دون أن يعلم بمضمونها أحد من خارج أعضاء المؤتمر والمنوطين بتنفيذها.

وعلى هذا فقد رأت مصر أول مؤتمر نسائى فى تاريخها الحديث سنة ١٧٩٩، عندما اجتمع جمع من نساء بلدة «رشيد» لدراسة وضعهن فى المجتمع ومعاملة أزواجهن لهن غير العادلة، بعد مقارنتهن للمعاملة التى تلقاها المصريات من أزواجهن الفرنسيين، وانتهى المؤتمر بإصدار قرار بإرسال مذكرة إلى حاكم مصر جنرال «نابليون بونابرت» بمطالبهن، وقد أشرت إلى هذا الموضوع بالتفصيل فى الفصل الثانى من هذا الكتاب.

وعقد بعد ذلك مؤتمران نسائيان، واحد فى «حى باب الشعرية»، والآخر فى «حى بولاق»، حيث تجمعت النسوة فى كلا الحيين لدراسة ما يعانيه الشعب من ظلم الحاكم التركى، والواقع إن القضية حى باب الشعرية لم تكن بذى أهمية تجعل نساء الحى تثور، لولا تذكر الشعب كله مما عاناه من فداحة الضرائب ومن سوء المعاملة، ومما كان يعانيه الشعب من ضرب وجلد وإهمال للمصالح الحيوية له ومن استقلال الجند العثمانيين، ومن ثم كان قتل «بلطجى» حى باب الشعرية بمثابة الشرارة التى أشعلت الفتيل، فقد صدر قرار نساء الحى بالخروج، فى مظاهرة صاخبة إلى الجامع الأزهر حيث انضم

إليها عديد من فئات الشعب كله حتى إذا وصلت المظاهرة إلى القلعة حيث مقر الحاكم، كانت أمواجًا بشرية هادرة أدت إلى الأغراض الوطنية التى أرادتها جماهير مدينة القاهرة[1] وقل نفس القول عن نتائج مؤتمر «حى بولاق» بعد ما طفح الكيل من فداحة الضرائب، لأنه ليس من المنطق أن تخرج مظاهرات نسائية دون أن يسبقها اجتماعات من قادة نساء الحيين.

هذا ومما لا شك فيه أن المظاهرة النسائية الكبرى التى شهدتها مصر يوم ١٦ مارس ١٩١٩ قد سبقها مؤتمر نسائى كبير عقد بمنزل هدى شعراوى «بشارع قصر النيل» قررت أعضاؤه إرسال مذكرة إلى «الليدى برونيت» زوجة المندوب السامى البريطانى فى مصر وقتذاك، وقيام مظاهرة نسائية كبرى تعبر عن استياء نساء مصر لما يرتكبه الاحتلال البريطانى ضد مصر وشعبها، كما وضع أعضاؤه خط سير المظاهرة بحيث تمر بدور السفارات الأجنبية فى القاهرة وينتهى بها المطاف إلى دار سعد زغلول وبقية أخبار تلك المظاهرة تحدثت عنها فى الفصل الماضى من الكتاب الذى بين يديك وفى تلك الأيام كثر انعقاد المؤتمرات النسائية من منزل هدى شعراوى وفى منزل صفية زغلول زوجة سعد وفى المساجد والكنائس ومن أشهر المؤتمرات النسائية التى عقدت فى الأخير المؤتمر غالذى عقد فى أوائل يناير سنة ١٩٢٠ وحضرته أكثر من ٥٠٠ سيدة وآنسة وقررن تشكيل «اللجنة الوفدية للسيدات» واختيار هدى شعراوى رئيسة لها وفى يوم السبت الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ اجتمعت النساء فى مؤتمر كبير ليبحثن فى أمر اعتقال سعد زغلول وصحبة وإرسالهم إلى «جزيرة سيشل» وقررن إرسال مذكرة إلى «اللورد اللنبى» ثم خرجت المؤتمرات فى مظاهرة إلى بيت سعد لمشاركة زوجه فى ذاك اليوم المشهود أسوة بكافة طبقات الشعب الذى ثارت احتجاجًا على اعتقال سعد لرفضه طلب السلطات المحتلة له بالاعتكاف فى منزله الريفى «بمسجد وصيف» وترك القضية السياسية المصرية بيد أن سعدًا أرسل إلى السلطات البريطانية برقية تقول».

«لقد اختارتنى الأمة للمطالبة بحقها فى الاستقلال ولا أعترف لغير الأمة بسلطة إعفائى من المهمة التى عهدت بها إلى، وللقوة أن تصنع بى ما تشاء كما تصنع ببلادى ما تشاء»[2].

وكان نتيجة ذلك أن اعتقل سعد، وقامت قيامة الأمة ومعها نساء مصر وكانت المظاهرات والمذكرات التى كان أهمها ما أرسلته هدى باسم نساء مصر إلى اللورد اللنبى وتقول المذكرة:

«إذا كنت يا صاحب الفخامة تعتقد فى نفسك القدرة على خنق صوت الأمة المصرى وإبعاد الرجل الذى عهدت إليه بأن يتكلم باسمها فارجع عن هذا الاعتقاد إذ أنك بدل أن تسمع بعد الآن صوتًا واحداً سوف تسمع أربعة عشر مليونًا من الأصوات ترتفع للمطالبة بحقوقها فى الحرية واستنكار الظلم والعدوان، وإذا كنت يا صاحب الفخامة تعتمد على القوة للقضاد على الحق فارجع عن هذا الاعتقاد أيضًا، إذ أن القوة تفنى والحق يبقى وسوف نوالى احتجاجنا بلا انقطاع على التدابير الجائرة الظالمة التى تتخذها فخامتك ضدنا، وهى تدابير لن تؤدى إلا إلى إثارة غضب الشعب وغضب الله»

وكان التوقيع هكذا

«عن السيدات المصريات»

هدى شعراوى ٢٥/ ١٢/ ١٩٢١(٣)

وأكتفى بالحديث عن المؤتمرات النسائية الكثيرة التى عقدت خلال ثورة ١٩١٩ وأحداثها وأنتقل إلى المؤتمرات النسائية الكبرى التى رأتها مصر بعد ذلك وكان أولها المؤتمر الذى عقد فى مدينة القاهرة فى خريف سنة ١٩٣٨ ودعت إليه هدى شعراوى بصفتها ممثلة للمرأة المصرية من أجل دراسة ونصرة قضية فلسطين ولن أتعرض لهذا المؤتمر هنا بالتفصيل إذ تناولته بالكتابة فى كتاب خاص بقضية فلسطين بيد أن هذا المؤتمر كان أول مؤتمر نسائى يجمع شمل نساء العرب» فى مكان واحد لدراسة قضية تشغل بال الرأى العام العربى، وجاء بعد مؤتمر أكتوبر ١٩٣٨ مؤتمر آخر عام ١٩٤٤ عقد بمدينة القاهرة أيضًا من ١٢ ديسمبر أى ١٦ منه. وذلك لدراسة قضية المرأة فى البلاد العربية وموقف الحكومات العربية من قضاياها إلى جانب قضية العرب العتيدة أو قضية فلسطين، وقد مثلت فيه الدول العربية الآتية:

مصر ورأست وفده النسائى هدى شعراوى

العراق ورأست وفده النسائى نظيمة تحسين العسكرى

سوريا ورأست وفده النسائى عادلة الجزائرى

لبنان ورأست وفده النسائى روز شمعة

فلسطين ورأست وفده النسائى زليخة الشهابى

شرق الأردن ورأست وفده النسائى لولى أبو الهدى[٤]

وقد افتتح المؤتمر فى الساعة الرابعة من بعد ظهر الثلاثاء ١٢ ديسمبر ١٩٤٤ وحضر كثيرات من الشخصيات المصرية لنجاح الدعاية التى عملت له فقد شهدته أم المصريين صفية زغلول زوجة الزعيم المصرى سعد زغلول كذلك أرسلت الملكة السابقة وأمريات البيت المالك مندوبات عنهن لحضور المؤتمر وحضره على ماهر ورئيس الوزراء وقتزاك «أحمد ماهر» وعدد من وزراء مصر وقد ألقى كلمة الحكومة المصرية بصفتها الدولة المضيفة وزير المعارف محمد حسين هيكل حيث استهل كلمته بتحية أعضاء الوفود النسائية وترحيب مصر بهن وأضاف بعد ذلك:

إن عقد هذا المؤتمر شعور عربى صميم سارعت به سيدات أمم الشرق إلى تلبية الاجتماع بأرض شقيقتهن الكبرى ثقة منهن بأن ذلك سيتقدم بقضية التى يخدمنها خطوات واسعة تعود على أوطانهن بأجل الخدمات، واستطرد بعد ذلك يقول: إن من دواعى الرجاء العظيم أن المؤتمر الثانى يعقد فى الوقت الذى تتأهب فيه الدول العربية لعقد مؤتمر يضع لجماعة الأمة العربية عهدة وجودها ونشاطها فينظم أسباب التعاون بينها فى مختلف الميادين»[٥] واختتم كلمته «بأننا اليوم كغيرنا من الأمم فى مفترق الطرق ومفكرى العالم وساسته وعظمائه يعملون جميعًا ليصوروا عالم الغد ونظامه وليختاروا على ضوء هذا التفكير أهدى الطرق إلى هذا النظام والمجهود الذى سيبذله المؤتمر النسائى العربى فى اجتماعاته سيكون له أثره فى البلاد العربية وسيعاون ساسة البلاد العربية على اختيار أمثل الطرق لتوجيه بلادهم فى مستقبلها توجيهًا سليمًا»[٦].

وألقت هدى شعراوى كلمة الافتتاح بصفتها رئيسة وفد مصر ورئيسة المؤتمر قالت فيها بعد شكر حكام مصر لرعايتهم المؤتمر: «إن عقد المؤتمر سجل نصرًا كبيرًا على التضامن النسائى ودعم أركان الوحدة العربية فى هذه المناسبة التى سيشرق عليها عيد الهجرة» وأضافت شارحة الهدف من انعقاد المؤتمر على أنه يعقد لدراسة قضيتى فلسطين والمرأة وكلتاهما قضية حقوق مهضومة يجب أن ترد إلى أصحابها». وتناولت قضية فلسطين ومراحل تطورها، وذكرت كيف انعقد مؤتمر النساء الشرقى لعلاج هذه

القضية ١٩٣٨ ومد يد المساعدة لعرب فلسطين وذلك بشراء ما بقى من أراضيهم، ثم نادت بوجوب التضامن العربى تجاه هذه القضية.

وألقت كلمة لبنان نجلاء كفورى عضو الوفد اللبنانى وقالت: إنها وزميلاتها شهدن المؤتمر مندوبات عن «وطن ثار فكان حرًا وانتفض على العبودية فأصبح سيدًا طليقًا عرضت كفاح شعب لبنان فى سبيل الحصول على الاستقلال ودور المرأة اللبنانية فى هذا الكفاح وكيف أنها استقبلت الحديد والنار من أجل حرية لبنان الأمر الذى تجاوب صداه أنحاء الدنيا.

وتكلمت رئيسة وفد سوريا فقالت بعد شكر مصر على كرم ضيافتها بأن أهداف المؤتمر واضحة تؤيدها الطبيعة والحياة الاجتماعية التى تستغلها المرأة فى هذا العصر وهى رفع مستوى المرأة العربية أخلاقيًا وثقافيًا، وتمضى عادلة مختار الجزائرى.. رئيسة وفد سوريا معددة أهداف المؤتمر فتقول «تنشئة الفتاة تنشئة صالحة لأنها المحور الذى يدور عليه الأسرة وتخوض به معترك الحياة» وتضيف بأن أهداف الوطن العربى لن تتحقق إلا إذا سعى الجنسان لتحقيقها، ثم أتت ببيت شعرى يقول:

وإذا النساء نشأن فى أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

وتكلمت بعدها لولى أبو الهدى عن شرق الأردن فقالت بأن: المرأة البدوية تساعد زوجها مما يخفف عنه متاعب العيش، وذلك جريًا على التقاليد العربية الصحيحة غير أنه لايزال يعوزها التعليم لإنقاذها من ظلمات الجهالة ثم أعربت عن رجائها فى أن تقوم حكومة شرق الأردن بتعليم الفتاة.

وأنابت رئيسة وفد العراق حرم تحسين العسكرى إحدى أعضاء الوفد فى إلقاء كلمة العراق نيابة عنها وهى الآنسة سرية الخوجة التى ذكرت فى كلمتها تاريخ النهضة النسائية فى العراق وكيف أن حديثه لا تتجاوز العشرين عامًا وأن المرأة فى العراق تتقدم الآن بسرعة أكثر وهى تساهم مع الرجل فى جوانب الحياة المختلفة وذلك يرجع لحكمة رجال الحكم فى العراق، وتمضى مبينة مطالب المرأة العراقية وهى قضية الأمية المتفشية بين نساء فى العراق كذلك العمل على رفع مستوى الصحة العامة بين النساء إذ أنه بذلك تتمكن المرأة العراقية من رفع المستوى الاجتماعى النسوى.

وألقت كلمة فلسطين فى المؤتمر النسائى العربى «ساذج نصار» فقدمت أخلص آيات

الشكر إلى مصر حكومة وشعبًا وخاصة القائمات على المؤتمر «وفى مقدمتهن السيدة الجليلة هدى شعراوى باسم قطرنا العزيز مهبط الوحى وموطن الرسل»، ولم تشتمل كلماتها على أكثر من الشكر وإظهار عرفان الجميل وفى جلسة الافتتاح أيضًا طلبت روز شحاته «لبنان» من القائمات على المؤتمر أن يطلبن من القائمين على مؤتمر الصلح ـ المزمع عقده لقرب انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ أن يسمحوا للمرأة العربية بالتمثيل فيه «ليتسنى للمرأة العربية أن تشترك فى إيضاح ما تطلبه للحصول على حقوقها الطبيعية حتى لا يساء إلى التنظيم العام المقبل فى بناء العالم الجديد[٧].

وكان قد أجريت انتخابات لاختيار هيئة المكتب المشرف على أعمال المؤتمر وأسفرت عن اختيار الأسماء الآتية: هدى شعراوى رئيسة وحرم محمد على علبة رئيسة بالنيابة وجميلة عطية سكرتيرة وهن من مصر، ومن سوريا اختيرت عادلة مختار الجزائرى وكيلة وفائزة المؤيد العظم مستشارة والآنسة فاطمة دياب سكرتيرة، وعن لبنان اختيرت رورز شحاته وكيله ونجلاء كفورى مستشارة ولويز فيلمان سكرتيرة، كذلك انتخبت مى فلسطين زليخا الشهابى وكيلة وحرك جميل الحسينى مستشارة وساذج نصار سكرتيرة[٨] وفى الأيام التالية للمؤتمر عقدت جلسات حيث قدمت فيها أبحاث عن موضوعات تهم المرأة فى الدول العربية فقد تكلم الدكتور سليمان عزمى عميد كلية الطب حينذاك عن جهود النساء فى المجال الصحى، وعن نشاط المرأة فى المجال الاجتماعى تكلمت ليلى دوس من جمعية «تحسين الصحة» كذلك تكلمت ناهد سرى عن جمعية «الهلال الأحمر المصرى» وهكذا، كما تكلمت أعضاء الوفود العربية عن النشاط النسائى فى بلادهن فقد تحدثت سرية الخوجة عن «التعليم النسوى فى العراق» تاريخه وتطوره.

وكان برنامج المؤتمر عادة جلسات صباحية حيث تلقى أحاديث وأبحاث وكلمات وفى المساء تقام حفلات للترحيب بأعضاء المؤتمر، وأخيرًا أصدر المؤتمر النسائى العربى قراراته فى جلسة الختام التى أقيمت فى صباح يوم السبت الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٤٤ وقد نصت على:

القسم الأول: «الحقوق السياسية للمرأة» واشتملت على الآتى:

أولا: مطالبة الحكومات العربية بالعمل على المساواة تدريجيًا بين المرأة والرجل فى الحقوق السياسية وعلى الأخص حق المرأة فى أن تنتخب وتنتخب وإلى أن تهيأ للحكومات فرصة تحقيق هذه المساواة كاملة فى جميع الهيئآت التشريعية والنيابية، عليها أن تبدأ من الآن بتقرير هذه المساواة فى المجالس النيابية والإقليمية وبالتعيين فى مجلس الشيوخ.

ثانيًا: مطالبته الحكومات العربية بتعيين المرأة فى الوظائف التى يشغلها الرجل المتساوى معها فى الشهادات والمؤهلات.

القسم الثانى: «الحقوق المدينة والشرعية» واشتملت على الآتى:

أولا: تقييد حق الطلاق بما لا يجعله أداة إضرار بالمرأة وبما لا يتنافى مع أصول الشرائع فى حالة الطلاق أو الفرقة.

ثانيا: جعل الحضانة للأم إلى وقت المراهقة فى الجنسين مادامت أهلا للحضانة وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للأصلح من الوالدين حسبما يراه القضاء لمصلحة الطفل.

ثالثاً: الحد من سلطة الولى أبًا كان أو جدًا بما يجعل هذه السلطة مماثلة لسلطة الوصى.

رابعًا: تقييد تعدد الزوجات إلا بإذن من القضاء فى حالة العقم أو المرض غير القابل للشفاء.

خامسًا: فى حالة الطلاق تعوض المرأة عما يصيبها من ضرر بسبب إساءة الرجل استعمال حقه فى الطلاق.

سادسًا: رفع النسبة المقابلة للحجز فى مرتب الزوج الموظف إلى الحد الذى يتسع للإنفاق على زوجته وأولاده.

سابعًا: تحديد السن الأدنى لزواج الفتاة فى جميع البلاد العربية بست عشرة سنة والدقة فى تنفيذه.

ثامنًا: المساواة بين الرجل والمرأة فى أحكام قانون العقوبات[٩].

تاسعًا: وضع تشريع يبطل ما يصدر من عقود أو تصرفات من شأنها الإجحاف بحق المرأة فى الإرث زوجًا كانت أو بنتًا.

ثم وجه المؤتمر النسائى العربى قرارات إلى الحكومات العربية مطالبًا إياها بتحقيقها وهى:

أولا: أن تقيم التعليم الإجبارى لمحو الأمية فى جميع الأقطار العربية

ثانيًا: الإكثار من المدارس الصناعية والزراعية وترقية برامجها توطئة لنشر الصناعة والترغيب فى الأعمال الحرة.

ثالثًا: أن تقيم فرق الكشافة فى مدارس البنين والبنات فى مختلف الأقطار العربية.

رابعًا: العمل على توحيد الأسس الخاصة بتنظيم التعليم ومناهجه فى البلاد العربية لتيسير تداول البعثات العلمية ولزيادة الارتباط الثقافى المنشود بين البلاد العربية.

خامسًا: العمل على أن يعهد إلى السيدات بتعليم الناشئة بنين وبنات فى الطفولة ومرحلة التعليم الابتدائى وأن يجمع بين الجنسين فى هذه السن وفى هاتين المرحلتين.

سادسًا: العمل على طبع التعليم بطابع عربى تلتقى فيه ثمرات الحضارة العربية بما يتناسب معها من عناصر الحضارات الأخرى لتظفر بلاد العروبة بخيرها فى هذه الحضارات.

سابعًا: ترك إدارة تعليم البنات وشئونه للسيدات كلما وجد إلى ذلك سبيلا.

ثامنًا: جعل دراسة فن التمريض والإسعاف الأولى مادة أساسية فى مناهج الدراسة الثانوية للبنات.

وخصص المؤتمر النسائى العربى المنعقد فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٤ جزءًا من قراراته من أجل: «حماية الصحة والأمومة والطفولة».

وتضمن الأتى:

أولاً: إنشاء وحدات طبية متنقلة مجهزة بالأدوية تزور كل قرية كل أسبوع.

ثانيًا: إنشاء الحمامات والمطاعم الشعبية والمدن والقرى فى كافة أحياء الشعب.

ثالثًا: إصلاح نظام السجون وإشراف سيدات متخصصات على سجون النساء والأحداث.

وفيما يتصل بحماية الأمومة قرر المؤتمر ما يأتى:

أولاً: سن تشريع يلزم كلا من الزوجين بأن يخضع لكشف طب رسمى يثبت براءته من كل مرض تناسلى أو وراثى قبل أن يرخص له بالزواج.

ثانيًا: إنشاء مراكز لوقاية الأم الحامل.

ثالثًا: إنشاء مدارس متنقلة لا تزيد مدة الدراسة فيها عن بضعة أسابيع تتلقى فيها الأمهات التدريب الصحى فيما تتطلبه حالتهن الصحية أثناء الحمل وبعده والإكثار من هذه المدارس.

رابعًا: إنشاء وتعميم مستشفيات الولادة وعيادات خاصة بالأمراض التناسلية فى القرى.

خامسًا: سن قانون لحماية المرأة العاملة فى أثناء الحمل وبعد الوضع.

وقرر المؤتمر «لحماية الطفولة» ما يأتى:

أولاً: إنشاء وتعميم مكاتب حكومية للنشر تهتم بترجمة أصول التغذية.

ثانيًا: الإكثار من ملاجئ الأيتام وأبناء السبيل وإيجاد مصحات لأولى العاهات الجسدية فى الأطفال وتعميم معاهد ومصحات الأطفال.

ثالثًا: إصلاح قانون وأنظمة المحاكم الخاصة بالمجرمين والمتشردين من الأحداث

رابعًا: تعميم النوادى والمكاتب العمومية وحدائق الأطفال فى الأحياء الوطنية.

خامسًا: تعديل قانون العمل الخاص بالأحداث تعديلا يكون أكثر رفقًا بهم وتحديد سن العمل وساعاته بالنسبة للأطفال صبيانًا وبناتًا فى جميع البلاد العربية.

سادسًا: وضع التشريع الذى يحظر على الأطفال دون السادسة عشرة ارتياد دور الملاهى والحانات.

سابعًا: يرى المؤتمر أن مسائل الطفولة من أهم المسائل التى يجب أن تعنى بها الأمم والشعوب العربية وأنها تستحق أن يتوافر عليها فى كل بلد عربى حزب اجتماعى قوى

يسمى «حزب الطفل» ويكون بعيداً عن أعاصير السياسة وعن المهاترات الحزبية الشائعة، ولأول مرة يقرر مؤتمر مواد يضعها من أجل «حماية الأخلاق» وقال بالنسبة لهذه الحماية بأنه لابد من العمل على:

أولا: إلغاء البغاء المرخص به فى جميع الأقطار العربية إلغاء عاجلا.

ثانيًا عدم الترخيص للفتيات بالاشتغال فى الحانات.

ثالثًا: إغلاق أندية الميسر وإلغاء المراهنات.

رابعاً: يرى المؤتمر أن الحالة الخلقية التى نتجت عن الحرب تدعو للاهتمام وتناشد الحكومة المصرية وحكومات الدول العربية بأن تبذل من الجهود ما يحول دون تفاقم الحالة وأن تعمل على إنقاذ الفتيات من الوقوع فى أحضان الرذيلة سواء بإصدار التشريعات اللازمة أو بإنهاء المؤسسات الاجتماعية التى تعمل على حماية أخلاقهن وتوفر سبل العيش الشريف لهن، ويرجو الهيئات النسائية فى البلاد العربية أن تعمل على تحقيق ذلك.

وتناولت قرارات المؤتمر موضوع «التعاون الاقتصادى» بالمواد التالية:

أولا: تسهيل التبادل التجارى والمواصلات بين الأمم العربية.

ثانيًا: المطالبة بتشجيع الأم العربية على إقامة معارض مشتركة لمصنوعاتها المختلفة لترويجها فى جميع الأسواق.

ثالثًا: المطالبة بأن يفتح فى وجه المرأة العربية باب كل عمل شريف تريد طرقه وتكون قد أعدت نفسها لمزاولته، والمطالبة بمساواة أجرها بأجر الرجل فى كل الأعمال مادامت مؤهلاتهما وكفاءتهما متساويتين.

ثم خاطب المؤتمر الدول العربية فى قراراته التى تقول بأنه قرر المؤتمر:

١ ـ تضافر الأمم العربية على صيانة استقلال كل منها.

٢ ـ تأييد المؤتمر لمشروع تكوين جامعة الدول العربية والمطالبة بسرعة تنفيذ هذا المشروع.

ثم يقول: ولما كان لفلسطين وضع خاص أصدر المؤتمر بشأنها القرارت التالية:

١ ـ تأييد حق العرب فى أن تكون فلسطين دولة مستقلة تحكم نفسها حكمًا نيابيًا تمثل فيه الأكثرية العربية.

٢ ـ وقف الهجرة فى فلسطين وقفًا تامًا.

٣ ـ مطالبة الشعوب العربية أفرادًا وجماعات بالمساهمة المادية والمعنوية فى تأييد قضية فلسطين وتشكيل لجنة خاصة تمثل جميع البلاد العربية لوضع القواعد التى تراعى فى تحقيق هذا الغرض على أن يكون لهذه اللجنة فرع يمثلها فى كل بلد عربى.

٤ ـ نشر الدعوة فى جميع البلاد العربية للدفاع عن حقوق العرب فى فلسطين وتأليف لجان لهذا الغرض.

٥ ـ إرسال برقية باسم المؤتمر لكل من رئيس جمهورية الولايات المتحدة ورئيس حكومة إنجلترا تتضمن الإعراب عن تألم سيدات العرب مما يبدو بين آن وآخر من تصريحات تظاهر الصهيونية على حساب حق العرب الصريح ومطالبةالرئيسين المذكورين باسم السلام ألا يتأثر بنفوذ اليهود.

٦ ـ مطالبة الحكومات العربية بالتعاون فيما بينها على اتخاذ ما يلزم من الإجراءات التى تكفل منع تسرب أراضى العرب إلى اليهود ودعوة ملوك وأمراء ورؤساء جمهوريات وزعماء البلاد العربية وأفرادها على الاحتفاظ بأراضى فلسطين لمالكيها العرب وهذا نص القرار الذى اتخذ فى هذه المادة[١٠].

قرر المؤتمر النسائى العربى دعوة ملوك العرب وأمراءهم ورؤساء الجمهوريات والقادرين من أبناء مصر ومن أبناء الأمة العربية عامة إلى المساهمة فى تأسيس شركة مساهمة الغرض منها اتخاذ التدابير اللازمة للإحتفاظ بالأراضى الزراعية فى فلسطين لمالكيها العرب». ثم يضيف القرار أنه... «تحقيقًا لهذه الغاية قد ألفت لجنة برئاسة حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى شعراوى وعضوية سيدات سيعلن عنهن بعد، لحفظ المبالغ التى تدفع إليها لهذا الغرض، وستودع اللجنة المبالغ المذكورة فى أحد المصارف على ذمة مشروع تأسيس الشركة إلى أن يتم بالفعل فيدفع إليها هذا المال بقرار من اللجنة، ويعطى أصحابها أسهمًا بمقدار المدفوع من كل منهن، وستقوم اللجنة بالاتصال بمؤتمر جامعة الدول العربية لمعرفة ما تصل إليه نتائج أبحاثها فى هذا الشأن».

ومن استعراض هذه القرارات تبين لنا أثر الحركة النسائية فى تطور تفكير المرأة المصرية... ومن ثم المرأة العربية إذ أن هذه القرارات تعبر بصدق وبوعى عن احتياجات كل النساء سواء أكانت ابنة القصور أو ابنة الأكواخ، ومن ناحية أخرى، فإنها تحفظ للعاملين فى مجال الحركة النسائية آنذاك عمق التفكير واتساع الأفق وسلامة الإدراك، فقرارات مؤتمرهن تناولت قضايا الزواج والأحداث والبغايا والمسجونات وتعليم البنت ومدارسها ونظم وبرامج تعليمها التى لم نصل إليها حتى الآن كما ناقش المؤتمر القضايا الاقتصادية والسياسية وإقامة العلاقات الطيبة بين أبناء العروبة، وغير ذلك من قضايا حيوية تعبر بواقعية عن عقول مفكرة وإداك سليم لأمور الدنيا المختلفة.

ويتضح ذلك بوضوح فى تناول المؤتمر قضية منح المرأة حقها السياسى كناخبة ومنتخبة، فقد نص هذا القرار على أن تمنح المرأة هذا الحق بالتدريج، وهذا تفكير عملى قائم على المنطق، لأن المنادين بدخول المرأة البرلمان فورًا وقتذاك أرى أنهم على غير علم ودراية، بواقع المرأة، وقد أثبتت الحقائق والأحداث التى شاهدتها أيامنا القريبة الماضية، فإن من خضن الحياة البرلمانية والسياسية عامة لم يكن على علم بماذا يفعلن، ولا يدركن قيمته ولا المعنى الحقيقى للعمل فى أماكن تعد قمة التشريع القانونى والعمل السياسى فى البلاد، ومهما يكن عن شىء فقد كان المؤتمر فى الواقع ظاهرة بارزة للحركة النسائية فى مصر الحديثة أثر فيها وتأثر بها مثله فى ذلك، مثل الصحافة النسائية التى تعد إحدى الظواهر المهمة للحركة النسوية فى مصر الحديثة، تأثرت هى الأخرى بالحركة المذكورة وأثرت فيها وارتفعت بها إلى آفاق بعيدة لم تكن فى إمكان حركتنا النسائية أن تصل إلى هذه الآفاق لولا الصحافة النسائية، وهى هنا أيضا تشترك مع المؤتمرات فى إظهار قوة المنطق عند العاملات فى الحركة النسائية، ونضج تفكيرهن واهتمامهن الزائد بالمصالح الحقيقية للنساء بل للشعب كله والأمة، فالعناية بالمرأة والنشئ هو أساس كل تقدم يصيب الأمة ويحمى أبناءها.

ولقد رأت مصر عدة مؤتمرات نسائية بعد ذلك تكلمت عن بعضها فى غير هذا المكان، مثل المؤتمر النسائى الذى عقد بقاعة يورت خلال ١٩٥١ مطالبًا الحكومة والشعب بمنح المرأة حقوقها السياسية، ولن أتعرض إليه مرة أخرى، وأنتقل إلى مؤتمر آخر كان الأول من نوعه فى تاريخ مصر الحديثة، وأعنى «مؤتمر المرأة العاملة» وذلك لأهميته من جانب التأريخ للحركة النسائية فى مصر الحديثة، وقد بدأ انعقاده فى

مدينة القاهرة من ٢٣ نوفمبر حتى ٢٧ سنة ١٩٦٣، واختص بشئون العاملات فى مصر دون الدول العربية الأخرى، وقد أعدت له ودعت إليه وزارة الشئون الاجتماعية وضم هذا المؤتمر عدة لجان وهى كما يلى:

أولا: لجنة تحضيرية شكلت قبل انعقاد المؤتمر للإعداد له والدعوة إليه، وضمت السادة والسيدات حسن زكى أحمد ويحيى درويش وكمال الحسنى وفتحية سليمان وعلية إسماعيل ونفيسة حسين ونوال السعداوى وإصلاح الشربينى وزينب محرز وخيرية محمد ود. أحمد شلبى وحسن كامل الأسيوطى وأحمد سلطان ومصطفى كمال عبدالرازق.

ثانيًا: اللجنة الاجتماعية وتضم كل من يحيى درويش ومصطفى المسلمانى وكمال الحسنى.

ثالثًا: اللجنة الصحية وتضم د. نفيسة حسين.

رابعًا: اللجنة الثقافية وتضم كل من د. عبدالعزيز السيد وزينب محرز.

خامسًا اللجنة الاقتصادية وتضم حسين كامل الأسيوطى وعيلة إسماعيل.

سادسًا: لجنة مشكلات العمل واختير لعضويتها حسن زكى أحمد وخيرية محمد.

سابعًا: لجنة الإسكان والمواصلات التى شكلت عضويتها من أحمد السعيد سلطان و. د اعتدال باسيلى.

ثامنًا: لجنة التوفيق بين واجبات المرأة والعمل ومسئوليتها وضمت حسن عوض بريقى وإصلاح الشربينى، كما عمل حسن زكى أحمد مدير عام بنك القاهرة حينذاك مقررًا للمؤتمر، وقد ألقى كلمة الافتتاح حيث أشاد بأعمال ثورة ٥٢ ١٩ وتحريرها للمرأة إذا أسقطت عنها بقايا الأغلال ودعتها لكى تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة، ويمضى فيقول بأنه من الطبيعى: «أن تشعر المرأة بواجبها فى الإسهام فى بناء بلادها وتلبية الدعوة الموجهة إليها متحررة متعلمة قادرة، وهى إذ تفعل فإنما يدفعها حرصها على أداء واجبها كاملاً وتطلعها إلى مستقبل أفضل، يدفعها ذلك كله إلى تنظيم علاقاتها بالمجتمع الجديد، وعلاقاتها بالزوج والأسرة، وعلاقاتها بالعمل ورب العمل، وعلاقاتها بالإنتاج وبزميلها العامل».

ثم تكلمت د. حكمت أبو زيد بصفتها وزيرة للشئون الاجتماعية والعاملة الأولى فى البلاد ورئيسة المؤتمر - وذكرت ما عملته ثورة يوليو ١٩٥٢ للشعب المصرى كأفراد ومن ضمنهم المرأة لأن «تجاربنا الثورية هى تجارب مخطط لها منبثقة عن معرفة وعن تنظيم وعن دراسة لظروف مجتمعنا التاريخية والاجتماعية والسياسية والدينية وهى تقنين داخل الإطار العام للاشتراكية العربية، وقد أدركت هذه التجربة أن أساس ركيزتها هى القاعدة الجماهيرية العريقة بمعناها الواسع الشامل». وتمضى فتذكر أن الاشتراكية العربية تعرف تمامًا «أن المجتمع هو وليد المرأة فى كل العصور، فمن لا أم له ولا وجود له، وأن المرأة فى تاريخ الإنسانية الطويل هى المحور الذى إلتف حوله المجتمع، وأن فى استعراضنا لتاريخ المرأة استعراض لحياة المجتمعات الإنسانية كلها»، وتضيف بأن المرأة فى كفاحها الطويل ضد استعباد الرجل فى عصور التاريخ الغابرة، إنما تمثل صفحة من صفحات كفاح الإنسانية فى سبيل حرية الجنس البشرى ضد الاستغلال والاستعباد، وضد الإقطاع البشرى فى أسوأ صورة.

ثم تناولت التطور الآلى الذى شمل العالم وما نتج عنه من ارتفاع مستوى المعيشة، وهما ضمان سعيت المرأة للعمل لتتعاون مع الرجل فى مجابهة ظروف الحياة. وعرضت بعض العوائق التى وقفت أمام خروج المرأة للعمل مثل نظرة بعض الفئات إلى دخول المرأة فى نطاق العمالة على أنها منافسة غير مشروعة من الجنس الأضعف، «ونرى البعض الآخر لغيرته لشديدة على المرأة حال دون نزولها لميدان الأعمال» وتعلق على هذه الآراء بأن: «اتجاهات العصر الذى نعيش فيه لم تعد تحتمل أن يشل المجتمع لمجرد نظرة تشاؤمية أو رجعية لا تعتمد على دراسة موضوعية أو على منطق سليم أو استقراء تاريخ النساء النابغات اللائى أضأن طريق البشرية، وقالت بأنه إذا كانت الدول تعمل على تأهيل ذوى العاهات، فإنه من باب أولى أن تتاح الفرصة للمرأة لكى تعمل، وأن المرأة لا يجب أن تعتمد على إعالة الزوج لها لأن: «الزواج لا يجوز أن يكون وظيفة يتعيش منها الرجل أو المرأة - أنه كالعمل حق وواجب يرعاه الله وتدعو إليه جميع الأديان»، وقالت بأن المجتمعات الجديدة تحتم عمل المرأة لرعاية أطفالها حين تلعب بمقدراتهم الأحداث، وعرضت للمشكلات التى تنجم عن تشغيل المرأة فقالت: إن المجتمع الجديد لا يمكن أن يهرب من المشكلات التى قد تنجم عن تشغيل النساء مكتفيًا بمواجهة المشكلات الناجمة أصلاً عن تشغيل الرجال فقط، ثم تكلمت عن أهداف عمل المرأة وقالت أنها تتلخص فى:

أولا: زيادة دخل الأسرة من أجل رفع مستوى معيشتها، ومن أجل المشاركة فى تربية أبنائها تربية سليمة.

ثانيًا: زيادة الإنتاج القومى كمًا وكيفًا، لأن المرأة التى تقف بإنتاجها البشرى عند حد إنجاب الأولاد كمًا لا كيفًا تكون بذلك قد ارتكبت جريمة كبرى فى حق الأمومة وفى حق المجتمع.

ثالثًا: تكوين اتجاهات سليمة نحو العمل وصاحب العمل وزملائها فى العمل لأن العلاقة بين المرأة العاملة والرجل العامل يجب أن تكون مبنية على الاحترام والتفاهم والتقدير لما يقوم به كليهما.

رابعًا: المرأة العاملة إنما هى مركز قيادة وإشعاع لأن من واجبها أن تأخذ بيد المتخلفة ولتذكر المرأة العاملة أن أكثر من تسعة ملايين من بنات جنسها يتمرغن فى الجهل ويعشن على هامش الحياة.

خامسًا: المرأة العاملة والتمسك بالقيم الروحية: وطالبت المرأة العاملة فى كل قطاع، فى المصنع فى المعمل فى المستشفى فى الكلية.. إلخ أن تكون نموذجًا حيًا لبناتها وأخواتها فى المدينة والقرية وذلك لأن «القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة.

سادسًا: المرأة العاملة وتنظيم الأسرة: فإن واقعنا اليوم يفرض على المرأة العاملة أن تقوم بدور القيادة فى تنظيم الأسرة.

وتناولت فى نهاية كلمتها واجب الدولة نحو المرأة العاملة بأن تعمل على علاج مشكلات المرأة الاجتماعية كذلك، تعمل على انتشار دور الحضانة، كما تطالب المرأة العاملة بالمزيد من المجالات الصناعية التى تتفق مع قدراتها ومواهبها فمن المتوقع أن يزيد إقبال الوعى العمالى فى تكوين شخصية المرأة،و وتضيف بأنه إذا كانت مجالات العمل فى الزراعة ٢٧٠،٦٠٢ عاملة، وفى الخدمات تدريب وطب وخدمة اجتماعية ٢٤٠،٤٦ عاملة فقد استطاعا أن يجتذبا النسبة الكبرى فى قطاع المرأة العاملة، بيد أن الشواهد تشير إلى زيادة إقبال الفتيات على المجالات الصناعية سنة بعد أخرى فى ظرف العشر سنوات الأخيرة إذا بلغت ٢٤،٥٢٦ فتاة سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ من مجموع

قطاعات المرأة العاملة البالغ ٦١٢،٠٧ فتاة، وختمت خطابها هذا بأن، «هذه خلاصة مسئولية المجتمع ومسئولية صاحب العمل ومسئولية المرأة العاملة ومسئولية الدولة فى خلق الجو الملائم نفسيًا واجتماعيًا حتى تستطيع المرأة أن تشترك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة»[١١].

ثم قدمت أبحاث عن مشاكل المرأة فى العمل للسيد حسن زكى أحمد كذلك قدمت السيدة عزيزة حسين بحثًا عن تطور مركز المرأة الاجتماعى والسياسى كما قدم حسن زكى أحمد أيضًا بالاشتراك مع علية محمد إسماعيل بحثًا عن «القوى العاملة للمرأة وأثرها فى التنمية الاقتصادية» وقدمت د. سمية أحمد فهمى بحثًا عن «مشكلات الطفولة الناتجة عن عمل المرأة» وعالجت د. سعاد جاد الله فى بحثها «أثر التدريب المهنى فى إنتاج المرأة»[١٢].

ثم وضع المؤتمر توصياته وتتلخص فى:.

أولاً: فى مجال إلحاق المرأة بالعمل وظروف النقل والترقية:

١ - (أ) إصدار التشريعات التى تحقق دخول المرأة فى الميادين التى كان ممتنعا عليها الالتحاق به كلية.

(ب) التصريح للمرأة بالالتحاق بالوظائف الحكومية على قدم المساواة مع الرجل ما لم يثبت بصفة مؤكدة عدم اتفاقها مع طبيعة المرأة وعندئذ تحدد هذه الأعمال على سبيل الحصر.

(حـ) يكون التعيين فى وظائف الشركات والمؤسسات العامة عن طريق المسابقات على أن تقوم بإجرائها جهة محايدة.

٢ - تعميم مبدأ إلحاق أبناء المحافظات بالعمل فى الأنشطة المحلية وإعادة النظر فى توزيع الوحدات الإنتاجية والمؤسسات فى المحافظات لاسيما تلك التى لا يتصل نشاطها الرئيسى بالقاهرة بصفة مباشرة وبمراعاة عدم التركيز فى عواصم المحافظات نفسها تخفيفًا للضغط.

٣ - إعطاء المرأة الحق فى الترقيات والاختيار وفى المناصب القيادية.

٤ - تحديد مستويات اللياقة الطبية للصناعات المختلفة بالنسبة للمرأة.

٥ - علاج ظاهرة النقص فى المشتغلات فى بعض المهن.

ثانيًا: مناهج تعليم المرأة واشتملت على:

١ - تعميم المدارس المشتركة فى التعليم الابتدائى.

٢ - توسيع نطاق التعليم المشترك بحيث شمل الإعدادى والثانوى.

٣ - التوسع فى إنشاء مدارس البنات فى المراحل التالية للابتدائى بحيث يشمل الثانوى والمعاهد كما يكون لإعداد البنت فى مراحلها العليا ودورها المناسب.

ثالثًا: التأهيل المهنى:

١ - إعداد المؤسسات ومراكز تأهيل ذوى العاهات ومن يصبن بالعجز أثناء العمل من النساء.[١٣]

رابعًا: التدريب المهنى للمرأة وتضم المطالبة بإعادة النظر فى برامج التعليم الإعدادى والتدريب المهنى وتطويرها والتوسع فيها بما يمكن للمرأة العمالة من أن تزيد من كفاءتها الإنتاجية وتتسع أمامها مجالات العمل.

كما طالبت المادة الرابعة بأن يسمح للمرأة بالجمع بين معاشها من عملها ومعاشها عن زوجها دون قيد، كما طالبت لأولاد العاملة بالجمع بين المعاش المستحق لهم عن والديهم دون التقيد بحد أقصى له وطالبت أيضًا بتقدير حق المرأة فى العمل نصف الوقت بنصف الأجر إذا رغبت فى ذلك على ألا يتعارض مع مصلحة العمل وتحقيق الضمانات الكافية للمرأة العاملة فى قطاع الزراعة وما يتصل بها من صناعات وحرف وذلك من ناحية الأجور والتأمينات.

خامسًا: وتناول هذا البند الإجازات الاجتماعية للمرأة العاملة وقد نص على منح المرأة أجازات بدون مرتب فى جميع القطاعات وبالشروط فى الحالات التالية:

١ - سفر الزوج للخارج.

٢ - التفرغ لرعاية الأطفال دون السادسة.

٣ - تحديد حد الإجازات الاجتماعية بالقدر المناسب بالقانون.

سابعًا: وتضمن مجال دور الحضانة.

وطالب بالتوسع فى إنشائها بحيث تتناسب ومراحل النمو المختلفة للطفولة على أن يتيسر سبل المواصلات لنقل الأطفال إليها وإعادتهم منها.

كذلك الاهتمام بإمداد وتدريب العاملات فى دور الحضانة ومراكز الرعاية النهارية على تفهم مهمتها والوظيفة التى تقوم بها فى توفير الرعاية والتعويض عن رعاية الزم فترة غيابها حتى تحقق هذه الدور الرعاية الصالحة للأطفال.

اشتمل البند الثامن على موضوع: المرأة العاملة ورعاية المنزل.

وتناول العمل على تطوير أنماط وأساليب الحياة المنزلية عن طريق تصميم المساكن الحديثة على نحو اقتصادى لتيسير استعمال الأدوات المنزلية الكهربائية والآلية الحديثة وتعميم الأثاث الحديث بما يتفق مع الأحجام الجديدة للمساكن، وذلك تيسيرا لمهمة المرأة العاملة فى أعمالها وإنشاء نظام للمشتغلين بالخدمات الشخصية كالمنازل عن طريق هيئات متخصصة والعمل الجاد على إعداد عاملات متخصصات ذات مستوى كريم فى رعاية الأطفال وشئون المنازل مع تحقيق الضمانات الكفيلة بتأمين مستقبل المشتغلات بهذا العمل وتحديد الأجور المناسبة لهذه الخدمات.

وتضمن البند التاسع: رفع المستوى الاقتصادى للأسرة ونادى بزيادة الأسر المنتجة والتوسع فى نشر الصناعات الريفية والمنزلية بحيث يشمل المناطق الصحراوية وذلك باستغلال الخامات البيئية والقدرات والجهود البشرية الضائعة طبقًا لاحتياجات التسويق المحلى والخارجى مع المحافظة على الإنتاج المتميز بالطابع المحلى الأصيل لكل منها مع تطوره.

عاشراً: وتناول الخدمات الاجتماعية للمرأة العاملة وقال: إن توافر الخدمات يزيد الإنتاج ومعنويات المرأة العاملة.

الحادى عشر: وتضمن خدمات النقل والإسكان بحيث يؤدى الراحة فيهما إلى استقرار المرأة العاملة النفسى والأسرى.

الثانى عشر: وتحدث عن التوعية الاجتماعية وتختص بقضايا الاستهلاك الزائد عن حاجة الشعب ودور العاملة والأم فى توفير الزائد منه، كذلك مساهمة المرأة العاملة فى تنظيم الأسرة والتوعية الأسرية بوجه عام وتوعية الشعب كافة لتكيفه بالمفاهيم الجديدة التى نتجت عن دخول المرأة معركة الإنتاج والقطاعات الاقتصادية وتحدثت المادة الثالثة عشرة عن النقابات والاتحادات النسائية وخدماتها بأنه:

١ ـ يجب أن تتولى أجهزة نقابات العمال أداء وظيفتها الاجتماعية إعمالا للمادة ١٦١ من القانون رقم ٩١ سنة ١٩٥٩ بقانون العمل الموحد الذى يعطى للنقابات المشكلة طبقًا للقانون المذكور حق إنشاء صناديق ادخار وجمعيات تعاونية ونوادى رياضية وثقافية وإبرام اتفاقات للتأمين الاجتماعى وتوفير الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية ويأتى ذلك عن طريقين:

(أ) تعزيز مواردها المالية واتفاقها طبقًا لتخطيط متفق عليه ويعد طبقًا لاحتياجات العمال أنفسهم.

(ب) التوعية الاجتماعية فى محيط العاملات أنفسهن، وفى مراكز جموعهن طبقاً لبرنامج اجتماعى وثقافى يتفق ومبادئ اشتراكية الدولة، مع العناية التامة بتنمية الوعى الإدخارى بين العاملاتت خصوصاً وقد ورد فى المادة ١٦٠ من القانون المشار إليه أن تعمل هذه النقابات على تحسين حالة العمال المادية والاجتماعية تحقيقًا لما جاء بالميثاق.

٢ ـ إنشاء اتحاد نسائى يمثل قوى الشعب النسائية العاملة ويستهدف الأغراض الآتية:

(أ) تمثيل القوى النسائية أمام القوى الدولية.

(ب) تنظيم نشاط المرأة الاجتماعى والقومى من جميع الوجوه، ومن جميع قطاعات السكان فى الريف والحضر.

(حـ) تنظيم برامج التوعية الاجتماعية والقومية والثقافية.

(د) تنفيذ برامج التدريب اللازمة على جميع المستويات.

الرابع عشر: وتحدث عن «الدولة والخدمات الاجتماعية» وتتمثل هذه الخدمات كما نادى بها هذا البند فى وزارة الشئون الاجتماعية، وما تقوم به لرعاية المرأة كأم وربة بيت وعاملة وتجمعات جماهيرية نسائية(١٤).

وعقد فى العام التالى ١٩٦٤ مؤتمر آخر لشئون الأسرة بيد أنه كان صورة مصغرة لهذا المؤتمر الأول من حيث الأبحاث والاهتمام بالقرارات والتوصيات وما إلى ذلك، ويكون الحديث عن تفاصيله ترديداً لأعمال المؤتمر الأول، لهذا لن أتحدث عنه، وأرى

فيما ذكرت عن مؤتمر شئون المرأة العاملة الأول الكفاية بيد أن لى ملاحظة هى أن عديد من رجال وزارة الشئون الاجتماعية والعاملين فى قطاعات الإنتاج الأخرى خارجها قد اشتركوا فى إعداد هذا المؤتمر، اعنى المؤتمر الأول وأعتقد أن الكفاءات النسائية فى العمالة المصرية كانت قادرة على إعداد هذا المؤتمر وتنفيذه خاصة، وأن المؤتمرات النسائية السابقة والتى لم يشترك فيها الرجل بطريقة عملية وفعالة قد نجحت.

ومن المؤتمرات النسائية التى رأتها مصر واشتركت فيها المرأة المصرية بنشاط كبير مؤتمر آخر يختلف عما سبقه من مؤتمرات تمام الاختلاف فهو ليس مؤتمرًا محليًا إقليميًا كالمؤتمر العربى، ولكنه مؤتمر شبه دولى وأعنى بهذا المؤتمر:

«مؤتمر المرأة الأفريقى الآسيوى» وقد عقد فى القاهرة بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٦١ إلى ٢٣ منه، والمؤتمر الآسيوى الأفريقى والذى عقد عندنا ليناقش قضايا المرأة فى دول القارتين، هو الأول من نوعه فى تاريخ العالم الحديث وقد دعت إليه الحاجة بعد أن تقدمت وسائل الاتصال بالجماهير، ومن ثم حدثت مشاركة فى الوجدان والعواطف وارتبطت آمال وآلام شعوب القارتين خاصة وأن معظم أمراض هذه الدول مصدرها واحد خلفتها العناصر الدخيلة التى أتت من أوروبا الاستعمار القارتين واستنزاف خيراتها وساعدها على ذلك عزوف أبنائها عن العمل الجاد وقد دفع التفكير الجدى للنهوض، بدول القارتين قادتها على العمل متعاونين يظلهم التضامن لحل مشاكل البلاد الأسيوية الأفريقية، ومساعدة دولها التى لم تستقل بعد، ومن ثم حدث عدة اجتماعات بين قادة هذه الدول وأولى الأمر فيها، ونشأ بينهم سياسة ما يسمى بالحياد الإيجابى والتعايش السامى، ولما كانت المرأة هى أكثر حساسية واستجابة للأحداث، فقد كان لزامًا عليها أن تجتمع هى الأخرى لدراسة مشكلاتها ودراسة السبل التى قد تكونت لجأت إليها أحداها ونجحت كعلاج لبعض تلك المشكلات.

وقد اجتمع لهذا السبب ممثلات لستة وثلاثين دولة هى:

١ ـ الجزائر: ومثلها وفد من ثلاثة أعضاء برئاسة مميا شنطوف

٢ ـ الجنوب العربى: ومثلته قدرية زين الهزمى وناهية عمر جارجره

٣ ـ باسوتولاند: «جيرتورد ماسيلونى وأناماميل مافيك

٤ ـ كامبوديا: ومثلتها فليك فيرورن

٥ ـ سيلان: «تيجاجونا واردهانا

٦ ـ الصين: ومثله وفد من ثمانية أعضاء برئاسة يانج يون ـ يو

٧ ـ إيران: ومثلتها ميهفاخ سافينى مصطفى

٨ ـ العراق: «زكية عبودى فتوح

٩ ـ جامبيا: «سيسيليلا مارى روث كول

١٠ـ غينيا: سوينما

١١ ـ الهند: وفد من ٧ أعضاء برئاسة سميتى رامشوارى نهرو

١٢ ـ أندونيسيا: ٦ برئاسة إيواناه بريجونو

١٣ ـ اليابان: ١٠ أعضاء برئاسة تاناكاسوميكو

١٤ ـ الأردن: ٣ نمرة طانيوس السيد

١٥ ـ الكاميرون: ٤ برئاسة م. أواندى

١٦ ـ كينيا: بيريس ويرا إمبيتو

١٧ ـ كوريا: ٥ أعضاء برئاسة كيم جونج سون

١٨ ـ لبنان: ٤٣ عضو برئاسة إبتهاج قدورة

١٩ ـ ليبيريا: كلارا دافيز براون.

٢٠ ـ ليبيا: ٥ أعضاء برئاسة رباب عبدالسلام أدهم

٢١ ـ منغوليا: ٣ أعضاء برئاسة سونومين أودفال

٢٢ ـ مراكش: فاطمة حصار ونعيمة الخطيب

٢٣ ـ نيجيريا: جلاديس أدبيس أودبى

٢٤ ـ فلسطين: ٥ أعضاء برئاسة وديعة قدوره خرطبيل

٢٥ ـ السنغال: روزباس

٢١٦ ـ جنوب غرب أفريقيا: ديرى ماكيلون

٢٧ ـ سيراليون: زنوبة كامارا

٢٨ ـ الاتحاد السوفيتى: ٨ أعضاء برئاسة السيدة هامرا تاريوفا

٢٩ ـ السودان: عنايات طوبيا

٣٠ ـ تونس: فاطمة زهرة بن سليمان وصفية عبدالله

٣١ ـ الجمهورية العربية المتحدة «جمهورية مصر العربية» ومثلها وفد من ٩١ عضوًا برئاسة كريمة السعيد

٣٢ ـ اتحاد جنوب أفريقيا: ومثله ٤ أعضاء برئاسة أدلايد تأمبو

٣٣ ـ فيتنام الشمالية: ومثله ٣ أعضاء بوى ـ تى ـ كام

٣٤ ـ زرنجبار: ومثله ٤ أعضاء فتحية عبدالله سعود

٣٥ ـ اليمن: ومثله ٤ أعضاء فطومة عبدالله العلوى

٣٦ ـ روديسيا الجنوبية: ومثله ٣ أعضاء أيفيلن موشنجا

وإلى جانب هذا العدد الضخم من الأعضاء والوفود، حضر عدد آخر من بعض الدول كمراقبات، فقد أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية السيدة شيرلى جراهام ديوبو، وأرسلت ألمانيا السيدتين ليرى تاشكو وأيرديتتا جاميتا، وحضر من نيجيريا سيدة كمراقبة وليست كعضو بالوفد النيجيرى وهى فويميلايورانو مكوتى كما اهتم الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى بالمؤتمر، فأرسل مراقبتين عنه هما: أويل إيفون وأندريه أندولووف، وتضمن جدول أعمال المؤتمر الموضوعات التالية:

أولاً: دور المرأة فى الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى وإقرار السلام.

ثانيًا: حقوق المرأة السياسية والقانونية.

ثالثًا: المساواة بين المرأة والرجل فى الميدان الاقتصادى.

رابعًا: حقوق المرأة الاجتماعية.

خامسًا: حقوق المرأة الثقافية.

وقد بعث بعض رؤساء الحكومات الأفروأسيوى بعدد من البرقيات والرسائل مشجعين ومتمنين نجاح المؤتمر وهؤلاء الحكام هم: جمال عبد الناصر «مصر» ونكرورما «غانا» وسكارنو «أندونيسيا» وفرحات عباس «الجزائر» وخروشوف «الاتحاد السوفيتى» وألقت رئيسة الوفد المصرى كلمة الافتتاح المصرى باسم نساء مصر، وبدأتها قائلة: «فى هذه المناسبة السعيدة التى تلتقى فيها المرأة العربية بأخواتها من مختلف الشعوب الحرة المناضلة وفى قارتى آسيا وإفريقيا، يطيب لى أن أرحب بكن فى أرض العروبة التى آمنت بمبدأ الحياد الإيجابى فى خدمة الحرية والتعايش السلمى وتستطرد قائلة: «نجتمع اليوم نحن نساء أفريقيا وآسيا وشعوبنا تمثل ثلثى سكان العالم، تربطنا وحدة الماضى العريق والحاضر الثائر والمستقبل المجيد، وحدة الآلام والآمال، وحدة الكفاح لنصرة الحق والنضال من أجل الحرية ومن أجل السلام والإنسانية»، وتمضى كريمة السعيد رئيسة وفد مصر مبينة كيف أن القارتين كانتا مهدًا للحضارة والإنسانية، ثم أصابها التدهور والتأخر بفعل الاستعمار الذى عمل كل ما فى وسعه لثرائه وفقر شعوب القارتين، وضربت أمثلة من دون القارتين التى عانت من التأخر والاستغلال مثل الكونغو المجاهدة وفلسطين الشهيدة أرضنا العربية بيد أن المستعمرين وأعمالهم، وقد وضعنا لهم حدًا عندما اتحد شعوبنا وترابطت بلادنا... وتعرج على دور المرأة الأوفروأسيوية فى حركات التحرير فتقول:

«كانت المرأة دعامة قوية فى هذه الحركات التحريرية... جاهدت مع الجاهدين وثارت مع الثائرين واستشهدت مع المستشهدين» وضربت مثلاً لهذا باشتراك نساء مدينة بورسعيد مع الرجال فى الدفاع عنها إبان عدوان ١٩٥٦. وقد أقنع كفاحها ذاك المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة بقدرة نساء الجمهورية فمنحوها حق الانتخاب، ودخلت معركة الانتخابات على كافة المستويات «وها هى فى تشكيلات الاتحاد القومى، وقد أبلت لجنة النشاط النسائى فى الاتحاد بلاءً حسنا فى بحث سن دراسة مشكلات المرأة واتخذت قرارات أجمع الرأى على تأييدها. كما اشترك النساء فى جميع اللجان الأخرى، وهى تربو على العشرين»... وتضيف مبينة مدى الأضرار التى صنعتها عهود الاستعمار التى مرت بنا وأساءت أبلغ الإساءة إلى أوضاعنا «الأمر الذى تدهور بهن فأعجزهن عن مشاركة الرجال فى إعادة البناء القومى ـ وقد أصبح الآن من واجبهن إزاء الحرية التى نالتها بلادهن أن يعملن على النهوض من كبوتهن ويعالجن مشاكلهن ويذللن العقبات القائمة فى طريقهن، وأن يرتقين ومجهودهن إلى المرتبة اللائقة بكرامة

الحياة الجديدة التى نبتغيها جميعًا لشعوبنا، وهذه الغاية يصعب علينا تحقيقها مالم نوحد جبهتنا وتوثق روابط مودتنا لنسير معًا صفًا واحدًا نحو هدفنا الأكبر، وهو الوصول بالمرأة إلى مرتبة تجعلها أهلاً للقيام بالواجبات المطلوبة منها» وتختتم كريمة السعيد كلمتها فى افتتاح المؤتمر الأول للمرأة بقول أحد الفلاسفة حين سئل عن الحضارة، فأجاب إن الحضارة هى: «نفوذ النساء الصالحات»، وطلبت من المؤتمر أن يضع نصب أعينه قضايا الجزائر التى نكل برجالها المجاهدين ألعن تنكيل، وتعرضت نساؤها الأبطال لأبشع صور التعذيب المتوحشة . وليسترد أهل فلسطين ديارهم المغتصبة، وليخرج الكونغو المجاهد والجنوب العربى ولاوس وفيتنام من محنتهم الحالية مكللين بالنصر حاصلين على الحرية[١٥].

وتكلمت بعد ذلك رامشوارى نهرو رئيسة وفد الهند ووجهت حديثها إلى «الأخوات المكافحات ضد الإمبريالية والاستعمار فى سبيل الاستقلال الوطنى والسلام العالمى»، ثم وجهت الشكر إلى ج. ع. م باسم شعوب دول آسيا وإفريقيا وتضيف بأن هذه الشعوب على ثقة من أن هذا المؤتمر من معالم الطريق فى كفاح الشعوب الإفريقية الآسيوية ضد قوى الاستعمار والحرب: «لأن قوى الاستعمار والحررب تتصدع، ونحن المكافحين من أجل الاستقلال والسلام، الجانب الأقوى وقفنا ننزل هزيمة بعد أخرى بقوى الظلام والرجعية» ثم تعرضت لأعمال المؤتمر فتقول أنه سوف يناقش «ثم يتخذ قرارات بصدد كل المسائل العاجلة فى الوقت الحاضر، وسوف تولى لجنتنا الهندية والشعب الهندى تأييده الكامل لكل قراراتكم بصدد المشاكل الخطيرة كمشكلة الكونغو والجزائر ولاوس وجنوب أفريقيا والمستعمرات البرتغالية وغيرها من بلاد العالم التى يهدد فيها الاستعمار حرية البشر وسلامهم» وتضيف بأن بلادها سوف تؤيد الحقوق الاجتماعية والقانونية «للمرأة والتقدم الاقتصادى لبلادنا والبعث الثقافى لشعوبنا، وأن المؤتمر بلا شك يناقش موضوع السلام الذى يتطلع إليه الجنس البشرى وتريد إنهاء التهديد بالأسلحة النوية، فإن أول ضحية لأول قنبلة ذرية كان شعبًا من الشعوب الآسيوية، وفى الحياة الأسيوية قام الاستعماريون بتجاربهم النووية الخطيرة، واليوم ذهب الشعب الإفريقى العظيم ضحية التجارب الذرية التى قامت بها فرنسا فى الصحراء الكبرى». وتستطرد رامشوارى نهرو فى كلمتها بأن «شعوب القارتين تريد تصفية الأحلاف العسكرية وتريد أن ترحل كل القوات الاستعمارية عن آسيا وإفريقيا، وتتوق إلى نزع السلاح العام المشمول بالرقابة» وختمت كلمتها بأن هذه القضايا لن تحل إلا بقوة

الشعوب وهى كفيلة بتحقيق نزع السلاح والقضاء على الحروب فنحن فى إمكاننا أن ننتصر»[١٦].

وخلال المؤتمر الأول للمرأة الأفروأسيوية تكلمت بهية كرم بصفتها عضوًا بالوفد المصرى وسكرتيرة اللجنة التحضيرية للمنظمة الأسيوأفريقية فذكرت بعد أن رحبت بالأعضاء باسم نساء مصر بأن «انعقاد هذا المؤتمر جاء تنفيذًا لقرار من قرارات مؤتمر القاهرة للتضامن الإفريقى الأسيوى فعندما اجتمع ممثلو خمسين شعبًا من شعوب إفريقيا وآسيا دعوا إلى عقد مؤتمر نسائى ليقوم بدراسة موقف المرأة فى القارتين، ثم أخذت تبين كيف أن مؤتمر القاهرة سنة ١٩٥٩ ندد بأعمال الاستعمار التخريبية التى أصابت الأسرة قبل غيرها، وأن المرأة يهمها أن تستقل البلاد حتى تتمكن من القيام بدورها وتعرضت بعد ذلك للاستعدادات التى سبقت انعقاد المؤتمر النسائى الأفروأسيوسة وقالت «إن لجنة تحضيرية دولية اجتمعت فى القاهرة فى مارس ١٩٦٠، ومثلت فيها اثنتان وثلاثون دولة حيث تم وضع جدول الأعمال وتقرر أن تتفرغ عن المؤتمر لجان متعددة لتتناول المشاكل المختلفة التى تواجه المرأة وعهد إلى عدة بلاد بإعداد التقارير المختلفة» وتختتم كلمتها بأهمية المؤتمر لأنه «كفيل بأن يلقى على أكتافنا عبء مخلفات الاستعمار، فيجب علينا أن نفيد إلى أكبر حد ممكن من اجتماعنا ويجب أن نصدر مناقشاتنا وقراراتنا، بحيث تكون إيجابية وبناءة[١٧].

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر أصدر قرارات وهى كما يلى:

١ . قرار بشأن التجارب الذرية: يحتج المؤتمر بشدة على التجارب الذرية الفرنسية فى الصحراء الكبرى.

٢ . قرار بشأن الأمم المتحدة: يقرر العمل لدى الحكومات الإفريقية الآسيوية الأعضاء فى الأمم المتحدة لتشترك المرأة فى الوفود التى تبعث بها لحضور دورات الأمم المتحدة السنوية، وليسمح للقديرات منهن أن يتولين الأعمال الدبلوماسية.

٣ . قرار بشأن الجزائر: يحيى المؤتمر الذى يمثل ملايين الأمهات، والزوجات والأخوات فى أسيا وإفريقيا، ويعبر عن تقديره وعجابه بالبطولة اتى أبداها الشعب الجزائرى فى سبيل الحصول على استقلاله، وننحنى جميعًا إجلالاً للشهداء الذين أزهق الاستعمار وأرواحهم فى سبع سنوات، وكما يندد المؤتمر بما تقوم به الحكومة الفرنسية من جرائم تعذيب الشعب الجزائرى الباسل ويناشد الأمهات والزوجات

الفرنسيات أن يبذلن كل ما يستطعن من جهود لوقف هذه المذابح ويطالب المؤتمر بإطلاق سراح جميع السيدات الجزائريات المسجونات واللائى يلاقين ألوان التعذيب على أيدى السلطات العسكرية فى الجزائر، وأن يطلق سراحهن فوراً.

٤ ـ قرار بشأن الكونغو: يطالب هذا المؤتمر بالإفراج عن لومبوبا رئيس الوزراء الشرعى وجميع أعضاء حكومة الكونغو الشرعية كما يعترف بجيزينجا كرئيس للوزراء بالنيابة والممثل لحكومة الكونغو الشرعية كما يطالب بنزع سلاح قوات موبوتو وبإجتماع البرلمان الكونجولى وعودة جميع المطارات ومحطات الإذاعة التى استولى عليها عملاء الاستعمار بالقوة كما يطالب بتغيير قيادة بعثات الأمم المتحدة التى تآمرت ضد حكومة الكونجو مع قوات منظمة حلف شمال الأطلنطى لمصلحة الاستعمار الأمريكى، وفشلت فى تنفيذ توجيه مجلس الأمن بانسحاب القوات البلجيكية، ويناشد هذا المؤتمر نساء بلجيكا لحث حكومتهن بالكف عن جلب الآلام لشعب الكونغو والتى تقف حائلاً دون توحيد الحكومة الوطنية فى جمهورية الكونغو.

٥ ـ قرار بشأن فلسطين: يعلن أن إسرائيل قاعدة استعمارية يهدد وجودها السلام العالمى وأنه يؤيد جميع الحقوق الشرعية لشعب فلسطين فى العودة إلى وطنهم وفقًا لقرارات الأمم المتحدة كما يطالب بمنع الهجرة الصهيونية إلى إسرائيل ويؤيد القرار الذى اتخذته الدول العربية لبعث الكيان الفلسطينى.

٦ ـ قرار بشأن فيتنام: قرر المؤتمر أن من واجبه فى حضور وفود نساء إفريقيا وآسيا أن يستنكر المناورات العدوانية والجرائم البشعة التى يقترفها الإمبرياليون والأمريكان فى جنوب فيتنام. ثم دعا المؤتمر المرأة فى كلا القارتين إلى التضامن الفعال مع شعب ونساء فيتنام.

٧ ـ قرار بشأن لاوس: يحتج المؤتمر على مناورات الولايات المتحدة وعملائها وما تقوم به من إزلال للشعب المسالم فى لاوس والتى تخلق موقفًا منأزمًا فى البلاد والتى تشكل خطرًا على السلام فى جنوب شرق آسيا، ونحن نطالب بتطبيق اتفاقية جنيف سنة ١٩٥٤ لكى تصبح حكومة الأمير سوفانا فوما الحكومة الوحيدة الشرعية فى مملكة لاوس.

٨ ـ قرار بشأن كوريا: إن المؤتمر يؤيد بقوة نضال المرأة الكورية والشعب الكورى لإجبار القوات المعتدية للولايات المتحدة على الانسحاب فى الحال من كوريا الجنوبية، ولإيجاد حل سلمى للمشكلة الكورية عن طريق شعب كوريا نفسه بدون أى تدخل أجنبى.

٩ ـ قرار بشأن اليمن: يؤيد المؤتمر كفاح ومطالب شعب اليمن فى الشمال وفى الجنوب العربى بتحرير الجنوب وتوحيده مع الشمال ويستنكر المؤتمر المذابح التى ترتكب فى الجنوب.

١٠ ـ قرار بشأن غينيا: يحتج المؤتمر على المؤامرات التى تدبر ضد جمهورية غينيا عن طريق بلاد الاتحاد الفرنسى.

١١ ـ قرار بشأن الصين: يعلن المؤتمر مساندته للشعب الصينى فى نضاله العادل لتحرير تايون التى تعتبر جزءًا من أراضيها والمطالبة باسترداد جمهورية الصين الشعبية مكانها الشرعى فى هيئة الأمم المتحدة.

١٢ ـ قرار بشأن إيريان الغربية: يصرح المؤتمر بفهمه الكامل لكفاح حكومة شعب أندونيسيا للعودة إلى إيريان الغربية وهى الأرض الشرعية للشعب الأندونيسى وحق الجمهورية الأندونيسية المشروع فى ذلك، كما يؤيد المؤتمر الإجراءات التى تمر بها الحكومة الأندونيسية فى جميع الميادين الهامة تجاه تهديد هولندا بالاعتداء الذى يهدد سلامة جنوب شرق آسيا.

١٤ ـ قرار بشأن اليابان: يؤيد المؤتمر كفاح الشعب اليابانى لإلغاء معاهدة الأمن الأمريكية اليابانية وجلاء قوات الولايات المتحدة وقواعدها واسترداد أوكيناوا،، ويعارض المؤتمر جعل اليابان قاعدة للتجارب النووية والحربية مما يهدد حياة وحقوق النساء والأطفال على الأخص.

١٥ ـ قرار بشأن إفريقيا الوسطى: الاحتجاج على المناورات التى ترمى إلى إنشاء جمعيات برلمانية من العملاء مثل برلمان اتحاد إفريقيا الوسطى واتحاد شرق إفريقيا فأغلبية أعضاء هاتين الجمعيتين من الأوروبيين.

١٦ ـ قرار بشأن روديسيا: إن المؤتمر يطالب بالإفراج عن القادة وعن النساء المناضلات فى سبيل الحرية اللائى سجن ومنعن منحقهن الأساسى فى الدفاع عن أنفسهن فى المحاكم، والمؤتمر يرفض محاولات الاستعمار البريطانى لإقامة اتحاد فيدرالى بين روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية بنياسالاند ضد رغبة الشعوب.

١٧ ـ قرار بشأن جنوب إفريقيا: يستنكر المؤتمر التفرقة العنصرية البشعة فى جنوب إفريقيا ويؤيد كفاح شعب جنوب إفريقيا فى سبيل تحررهم ومساواتهم فى جميع الحقوق ويطالب المؤتمر بسرعة إطلاق سراح نساء اتحاد جنوب إفريقيا اللائى زجت الحكومة الاستعمارية بهن فى السجون.

١٨ ـ قرار بشأن كينيا: يطالب المؤتمر بالإفراج السريع وبدون شروط عن جومو كينياتا والقادة الوطنيين فى كينيا وذلك قبل إجراء الانتخابات العامة فى فبراير سنة ١٩٦١.

١٩ ـ قرار بشأن زنزبار: يؤيد المؤتمر شعب زنزبار فى نضاله ضد الاستعمار البريطانى والقواعد العسكرية الأمريكية فى زنزبار.

٢٠ ـ قرار بشأن جوا: إن المؤتمر يؤيد الانسحاب الكامل السريع للقوات الاستعمارية البرتغالية من جواودامان ودين والمستعمرات البرتغالية فى إفريقيا وتيمور.

٢١ ـ قرار بشأن لواء الأسكندرونة: يطالب المؤتمر باسترجاع لواء الأسكندرونة السليب الذى سلخه الاستعمار من ج. ع. م.

٢٢ ـ قرار بشأن موريتانيا: تأييد الكفاح الشرعى لشعب مراكش فى سبيل إعادة موريتانيا لأصحابها الشرعيين.

ومن هذه القرارات التى بلغ عددها كما ترى ٢٢ قرارًا قد شملت قضايا ومشكلات القارتين جميعًا ترى أن أغلبها مشكلات سببها الاستعمار بسلخه أجزاء من مواطنها الأصلية وضمها لبلدان أخرى تبعًا لمصلحته مثل ما فعل فى المشكلة القديمة العتيدة الأسكندرونة وموريتانيا، أو من سجن وتعذيب قادة التحرير فى بعض البلاد مثل الزعيم الكينى جومو كنياتا والمرحوم باتريس

لومومبا، كما عالجت قرارات التجارب النووية وقضايا الجلاء عن أرض إفريقيا واضطهاد أبناء البلاد الأصليين ومنعهم من تولى المناصب الإدارية والفنية فى بلادهم، كذلك حفظت تقارير المؤتمر النسائى الأول لقارتى آسيا وأفريقيا للتاريخ ما تعانيه بلاد تلك القارتين وشعوبها من آلام ومطالب ومشاكل وقضايا كانت تشغل الرأى العام وقتذاك، وقد أرسل المؤتمر فى نهاية أعماله برقية إلى هيئة الأمم المتحدة تقول: «إن مؤتمر النساء الأفريقى الآسيوى المجتمع فى القاهرة فى ١٩ يناير سنة ١٩٦١ يحتج بشدة على الاعتداء بالضرب بصورة وحشية على رئيس وزراء الكونغو الشرعى باتريس لومومبا وما أذيع عن وفاة الجنرال موبوتو نتيجة للضرب المبرح، والمؤتمر يطالب باتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية شخص بارتيس لومومبا[١٨] والحكومة الشرعية فى الكونغو وحفظ الأمن والسلام هناك.

وأصدر نداء إلى شعوب آسيا وأفريقيا بأننا : «نحن أعضاء مؤتمر المرأة الأفريقى الآسيوى الأول المنعقد فى القاهرة من ١٤ ـ ٢٠ يناير سنة ١٩٦١ اللائى يمثلن الملايين من نساء أفريقيا وآسيا. يسرنا أن نعلن انتهاء المؤتمر ونجاحه، ونرجو أن نتقدم بأحر التهانى إلى الشعوب الإفريقية الأسيوية التى نالت استقلالها، والمؤتمر إذ يعترف بفاعلية مشاركة المرأة فى نضال الشعوب للتحرر والاستقلال ـ ندعو جميع نساء أفريقيا وآسيا ليتحدن فى النضال والكفاح لتحقيق الأهداف التى رسمها هذا المؤتمر،وأن من واجب نساء أفريقيا وآسيا أن يعملن بشتى الوسائل والإمكانيات لتنفيذالقرارات والتوصيات الصادرة عن هذاالمؤتمر. وختم المؤتمر هذاالنداء بأن نساء شعوب آسيا وأفريقيا «عليهن أن يتذكرن على الدوام بأن تحرير البلاد والشعوب الرازحة تحت نير الاستعباد لن يتم إلا بالتآزر والتضامن وإثبات موجودية المرأة وحقها فى الذود عن حياض الأوطان[١٩].

كما وضع المؤتمر الأول للمرأة فى قارتى آسيا وإفريقيا عدة توصيات وهى: توصيات الكفاح فى سبيل الاستقلال الوطنى والسلام: وقد اشتملت على وجود تصفية الاستعمار نهائيًا حتى تحقق رفاهية البلاد وتحرير المرأة فى إطار الحرية القومية والسلام وطالبت بتصفية حكومات العملاء، ومن العناصر الفاشية

والدكتاتورية لأن هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون الذين يعوقون تحرير المرأة فى آسيا وإفريقيا تحريرًا شاملاً. كما طالب فى هذه التوصية بتصفية الاتفاقيات والقواعد الحربية والتجارب الذرية واستقرار السلام وتشييد الاقتصاد القومى المستقل فى بلاد آسيا وإفريقيا على أساس التصنيع ورفع مستوى المعيشة بين الأسر، وإفساح المجال أمام الكفاءات الخلاقة لتنمو، كما طالب بتنمية روابط الصداقة والأخوة بين جميع شعوب العالم، ولتحقيق ذلك يوصى المؤتمر بإنشاء هيئة للمرأة الإفريقية الآسيوية فى السكرتارية الدائمة للشعوب الآسيو أفريقية لتبادل الخبرات ووجهات النظر وإصدار صحيفة أو مجلة تعطى صور حقيقية عن أحوالنا وتساهم فى تكويننا السياسى والاجتماعى ،وفى إيجاد رأى عام مشترك موحد ليواجه مشاكلنا والمشاكل الدولية أيضًا.

التوصيات الاقتصادية: وتشتمل على المساواة الكاملة للنساء فى المجال الاقتصادى ووضع حد للنشاط الصهيونى الاقتصادى فى آسيا وأفريقيا لأنه ليس فى الواقع إلا استعمارًا متنكرًا ونص أيضًا على: «مقاطعة البضائع الإسرائيلية والفرنسيةوكل بضائع البلاد الاستعمارية»، كما تضمنت أيضا الحقوق الاقتصادية للمرأة مثل الأجر المتساوى عن العمل المتساوى وتكافؤ الفرص للتدريب المهنى والفنى وضمان العمل للسيدات المتزوجات الحوامل وإنشاء ملاجىء للسيدات المتقدمات فى السن واللائى لاعائل لهن وتنظيم النساء القائم بالأعمال الحرفية فى جمعيات تعاونية للإنتاج ومنحهن تسهيلات للحصول على رأسمال يبدأن به العمل، والمواد الخام اللازمة للإنتاج وللتسويق، كما أوصى بالنسبة للموظفات بأن يتاح لهن الاطلاع على ملفاتهن الشخصية والتعبير عن أرائهن وإنشاء منظمة نقابية تسمح لهن بالدفاع عن حقوقهن، وتضمنت التوصيات أيضًا المجال الاجتماعى والثقافى وحقوق المرأة السياسية [٢٠].

ورسم المؤتمر صورة واضحة عن دور المرأة فى الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى وحفظ السلام، وأتى فى ذلك بأمثلة حية عن أعمال الاستعمار الوحشية والاستغلالية لأرض القارتين وشعوبها مع الإتيان بالنسبة المئوية لأعمال تلك السلطات الاستعمارية كما أتت بأمثلة عن كفاح نساء الشعوب الأفروأسيوية من

أجل تحرير أوطانهن المتعددة مثل نساء اليابان ومصر والجزائر ولاوس وفلسطين وفيتنام... إلخ.

وهكذا فقد كان مؤتمر المرأة الإفريقى الآسيوى الأول، سجلاً حيًا وصادقًا وموضوعيًا ومعبرًا عن واقع نساء آسيا وإفريقيا فقد صور مدى تفكيرهن ومعاناتهن ومطالبهن السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ودورهن فى هذه المجالات وكفاحهن ضد الاستعمار ومخلفاته من جهل ومرض واستغلال وظلم، وقد أرجع المؤتمر استقلال الأوطان الآسيوية الإفريقية السياسى إلى تمتع النساء فيها بحقوقهن السياسية وقول نفس القول عن تمتعها بالرخاء الاجتماعى والتقدم الثقافى إنما ترجع كلها إلى تمتع النساء بالمساواة الاجتماعية والحرية الثقافية وعلى الدول المختلفة فى تلك المجالات أن تعمل أولاً على منح المرأة بهاحقوقها وحريتها واستقلالها خاصة فى القطاع الاقتصادى لأن ذلك قاعدة أساسية لحصول الدول على حقوقها فى كافة المجالات وتمتعها بصفات التقدم والرقى.

والواقع إن هذاالمؤتمر كان ظاهرة خطيرة لقوة نساء آسيا وإفريقيا إذ لم يجتمع قبله مثل هذاالعدد من النساء فى مكان واحد ولم يحضر مؤتمر نسائى قبله ممثلات لهذاالعددالكبير من الدول الإفروأسيوية، واهتمت بعض الدول من خارج القارتين فبعثت بمراقبات لها فى المؤتمر مثل الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت هذه المرة الأولى التى التقت المرأة المصرية والعربية بهذاالعدد الضخم من الجنسيات الأجنبية لذا تكون الوفد النسائى لمصر من ٩١ عضوًا ومثل فيه الإقليم السورى لأن الوحدة بين سوريا ومصر كانت قائمة حينذاك - يناير ١٩٦١ والانفصال حدث فى سبتمبر ١٩٦١ - ولو إنى آخذ على الوفد العربى كثرة عدد أعضائه وعدم تخصص أغلبهن فيما عرض على المؤتمر من موضوعات،مثلا ماجدة وفاتن حمامه والسيدة أم كلثوم، حقيقة هى قمة فى الغناء العربى بيد أنه ليس مطلوبًا من الفنان أن يكون سياسيًا أو اقتصاديًا ويكفيه جدًا أن يكون فنانًا وكفى ليخدم بلاده كأى إنسان وطنى، وأعتقد أنه كان يكفى أن يتكون وفد ج.ع.م من عشرين عضوًا حتى تتمكن الأعضاء من الاتفاق على رأى فى دراسة

الموضوعات المعروضة [٢١] على أن يشترك معهن أعضاء غير رسميين لشئون الضيافة والاستقبالات، والزيارات من العاملات فى قطاعات مصالح الاستعلامات والسياحة لتخصصهن فى مثل هذه الأمور كماحدث بعد ذلك فى المؤتمرات الآسيوأفريقية والتى عقدت بالقاهرة بعد ئذ ومع ذلك فقد استطاعت الفئة المتعلمة المشتركة فى الوفد أن تقوم بالمعجزة وتنجح المؤتمر.

ومن المؤتمرات النسائية الأخرى التى شهدتها مصر وكانت علامة على طريق حركتنا النسائية، المؤتمر النسائى العربى السادس والذى عقد بمدينة القاهرة بتاريخ أول مايو سنة ١٩٦٦ وحضرته وفود ١٢ دولة عربية ورأست وفد مصر د. «سهير القلماوى» التى ألقت كلمة الافتتاح حيث قالت فيها: «إن العمل حق للمرأة تستكمل به شخصيتها التى تصونها من متاهات التفاهة، وإن المرأة تخوض معارك جادة مع الرجل ضد التخلف» [٢٢].

وأهم ما قام به هذا المؤتمر وضع دستور جديد لاتحاد نسائى عربى يضم جميع السيدات الأعضاء فى الاتحادات والمنظمات والجمعيات النسائية فى الأقطار العربية المنتسبة للاتحاد النسائى العربى العام، وينادى الدستور الجديد بأن يكون شعار الاتحاد المزمع تكوينه هو: «الأسرة ـ المجتمع ـ العروبة» وأهدافه تتلخص فى إتاحة العمل للمرأة ما أمكن ومساعدتها على التوفيق بين عملها فى الأسرة وعملها فى المجتمع، وتشجيع مساهمتها فى كل عمل على جميع مستوياته، ومساعدة المرأة على الوصول إلى أعلى المستويات الفنية علمًا وتدريبًا لتفيد الأمة العربية من كل طاقاتها لدعم الصناعات البيئية والريفية لتمتص نشاط المرأة وتوجيهها إلى رفع مستوى الأسرة والمجتمع، والعمل على مشاركة المرأة فى كل مشروع محلى أو وطنى للقضاء على الأمية والتخلف والمرض والفقر فى الوطن العربى. ونص الدستور على أن يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل سنتين فى إحدى العواصم العربية فى دورة عادية وتجوز دعوته لدورة غير عادية بقرار من المكتب الدائم والذى يتكون من ممثلتين اثنتين عن كل اتحاد محلى أو منظمة أو جمعية عضو بالاتحاد على أن تكون إحداهما الرئيسة وألا يزيد عدد الممثلات عن اثنتين لكل دولة، وتكون مهمة هذا المكتب الإشراف على أعمال

الاتحاد وإدارته والعمل على تنفيذ قراراته وتحقيق أهدافه. وينتخب أعضاء المكتب من بين أعضائه أمينة وأمينات مساعدات لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، وينعقد المكتب مرتين كل سنة على الأقل. وتتألف الأمانة العامة من الأمينة العامة والأمينات المساعدات وأمينة الصندوق.

وشكل المؤتمر النسائى العربى السادس عدة لجان أوصت فى نهاية المؤتمر بعدة توصيات هى:

لجنة قضايا الوطن العربى: مطالبة الشعوب العربية بعدم إعطاء البترول العربى للدول الاستعمارية ومقاطعة البضائع الإسرائيلية حتى لو دخلت الدول العربية بأسماء مستعارة، وتجنيد المرأة العربية إجباريًا وتدريبها استعدادًا لاسترداد فلسطين.

لجنة الرعاية الاجتماعية: تعاون الهيئات الأهلية والحكومية على إنشاء عيادات نفسية لعلاج المشكلات النفسية للأطفال والشباب وإيجاد إخصائيات اجتماعيات بالمحاكم تحول إليهن قضايا الطلاق، والتركيز على رعاية الأحداث ومجهولى الوالدين ومراقبة أفلام السينما والكتب والمجلات والصحف والروايات البوليسية التى تهدد أخلاق الجيل، وتوفير المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود.

لجنة الأسرة: تقييد الطلاق وتربية الشباب أخلاقيًا ودينيا، وأن تكون حضانة الأولاد للأصلح من الوالدين، والجمع بين معاش الزوجين عند وفاة أحدهما.

لجنة الثقافة النسائية: إنشاء جهاز مركزى لثقافة الأسر يتفق مع تطور المجتمع والعمل على أن تكون مجلات الأطفال بحيث تناسب ثلاث فئات من أعمارهم من٣ ـ ٥ ومن ٦ ـ ١٢ ومن ١٣ ـ ١٦، مع إنشاء مجلة للمرأة على مستوى الدول العربية والتبادل التليفزيونى والإذاعى فيما يختص بالمرأة بين الدول العربية، ومراقبة الأفلام الأجنبية قبل عرضها.

لجنة النشاط الدولى: تأييد مبدأ عدم الانحياز والتعايش السلمى والحياد الإيجابى. كما ذكرت التوصيات بأن الخدمة الإجبارية للفتاة تعادل مدة خدمة

الجندية التى يقضيها الفتى، تقضيها فى تنفيذ برامج الدولة فى الرعاية الاجتماعية والصحية ومحو الأمية على ألا يتم توظيفها إلا بعد أن تستكمل مدة هذه الخدمة. وقد لمعت هذا فى المؤتمر فاطمة إبراهيم رئيسة وفد السودان ولمعية البدرى رئيسة وفد العراق، وخدوجة الشبلى رئيسة وفد ليبيا ونورية الصالح رئيسة وفد الكويت وإبتهاج قدورة رئيسة وفد لبنان ورقية إحسان رئيسة وفد الجنوب العربى [٢٣].

وآخر مؤتمر نسائى شهدته القاهرة هو «مؤتمر المرأة العربية» والذى عقد بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٧٢ وحضرته وفود ١٦ دولةعربية وقامت بتنظيم هذا المؤتمر جامعة الدول العربية بالاشتراك مع منظمة رعاية الطفولة التابعة لهيئة الأمم المتحدة ورأست اجتماعه د. عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية، وقدمت د. هدى بدران باسم منظمة رعاية الطفولة بحثًا عن «دور المرأة العربية فى التنمية القومية» مع التطبيق على المرأة فى مصر ولبنان والسودان كما قدمت مصر الأبحاث التالية: «تخطيط المرأة فى العالم العربى» للدكتور إسماعيل صبرى عبد اللّه و«التشريعات الخاصة بالمرأة» للدكتور جمال العطيفى و« القوانين الخاصة بالجمعيات النسائية» لنجيبة عبد الحميد و«دور الأم بالنسبة للأطفال» للدكتورة سمية خليل وقدمت السودان بحثين عن: «التعليم النسائى فى السودان» للدكتور محى الدين صابر، و«المنظمات النسائية فى العالم العربى» لنفيسة الأمين.

وألقت د. عائشة راتب كلمة الافتتاح نيابة عن الرئيس السادات حيث أكد فيها أهمية المرأة فى المعركة المريرة التى «تخضوها شعوبنا من أجل استرداد الأرض بصفتها ربة بيت لتحويل اقتصاديات أسرتها لتصبح اقتصاديات حرب، وعاملة لتضاعف من إنتاجهالخدمة المعركة، والمتطوعة للعمل الاجتماعى تدعم الصمود حتى النصر».

وقد انتخبت سلوى الدليمى رئيسة وفد العراق وجليلة بنت مصطفى رئيسة وفد تونس نائبتين للدكتورة عائشة راتب، وتكونت بالمؤتمر لجنتان الأولى اختصت بمناقشة دور المرأة فى إطار الأسرة والثانية ناقشت دور المرأة فى إطار المجتمع،

وتعرض المؤتمر لدراسة قوانين الأحوال الشخصية فى الدول العربية خاصة فيمايتصل بتعدد الزوجات والسن الأدنى للزواج وحضانة الأولاد ومشكلات الطلاق [٢٤].

وبعد، فقد ضم هذا الفصل أهم المؤتمرات الداخلية التى شهدتها المرأة العربية فى مصر، وربما لاحظ البعض عدم ذكرى شيئًا عن «المؤتمر النسائى الشرقى» الذى عقد فى القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٣٨ لمناقشة «قضية فلسطين» على أهميته وذلك أنه يدخل ضمن بحث آخر سيصدر قريبًا بعون اللّه ويتكلم عن هذه القضية الخطيرة، كذلك عدم إشارتى لبعض الندوات أو الاجتماعات النسائية والتى شاهدها تاريخنا الحديث، وذلك لعدم تأثيرها المباشر أو غير المباشر على الحركة النسائية فى مصر أو الوطن العربى، ومهما يكن من شىء فقد كانت المؤتمرات النسائية فى مصر علامات بارزة فى سجل حركتنا النسائية الحديثة وصفحات خالدة على قدره المرأة الكبيرة فى إنجاح هذه المؤتمرات وذلك يرجع إلى جدية بعض أعضاء الوفود المصرية وإيمانهن بأن عملهن فى هذه المؤتمرات إنما يرسم تاريخ التقدم النسائى والمساهمة الفعالة لنسائنا فى موكب الحضارة الإنسانية.

هوامش الفصل الثامن

(١) انظر عبد الرحمن الجبرتى ـ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ـ الجزء ٢ ط الشعب القاهرة سنة ١٩٥٧ ص ١٩٣.

(٢) انظر عبد الرحمن الرافعى ـ ثورة سنة ١٩١٩ مرجع سابق.

(٣) صحيفة الزمان القاهرية بتاريخ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧.

(٤) راجع فى ذلك صحف القاهرة الصادرة فى شهر ديسمبر ١٩٤٤.

(٥) يقصد محمد حسين هيكل أن ذلك المؤتمر هو المؤتمر الثانى لنساء العرب بعد المؤتمر الأول والذى عقدفى أكتوبر ١٩٢٨. كما قصد بالمؤتمر الذى كانت البلاد العربية تتأهب لعقده والذى وضع فيه ميثاق جامعة الدول العربية.

(٦) صحيفة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ص ٢.

(٧) راجع ذلك بالتفصيل فى صحيفة الأهرام الصادرة بمدينة القاهرة بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٤٤.

(٨) المرجع السابق ـ والوثائق التاريخية فى هذا المؤتمر والتى كانت محفوظه عند المرحومة جميلة عطية.

(٩) يقصد هنا المساواة فى تطبيق عقوبة الزنا والتى ينص قانون العقوبات بعقوبة الزوجة التى تضبط متلبسة بارتكابها فى أى مكان أما الزوج فلا يعاقب لارتكابه هذه العقوبة. إلا إذا ضبط متلبسًا بارتكابها فى بيت الزوجية.

(١٠) راجع فى ذلك صحف القاهرة الصادرة فى صباح ١٧ ديسمبر ١٩٩٤ وقد حصلت على هذه القرارات من الوثائق التاريخية بنشاط أعضاء الاتحاد النسائى وكانت محفوظة عند المرحومة جميلة عطية.

(١١) حكمت أبو زيد ـ من خطابها فى المؤتمر الأول للمرأة العاملة القاهرة نوفمبر ١٩٦٣.

(١٢) ارجع إلى الأوراق الخاصة بمؤتمر المرأة العاملة والتى وزعتها وزارة الشئون على الحاضرات فى أيام انعقاد المؤتمر.

(١٣) راجع فى ذلك بالتفصيل الوثائق الخاصة بالمؤتمر والمحفوظة بوزارة الشئون الاجتماعية.

(١٤) الوثائق الرسمية الخاصة بمؤتمر المرأة العاملة الأول والمحفوظة بوزارة الشئون الاجتماعية.

(١٥) الوثائق الرسمية الخاصة بالمؤتمر الأول للمرأة الأفروأسيوية والمحفوظة بالسكرتارية الدائمة لمنظمة الشعوب الأفروأسيوية بالقاهرة.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) النشرات الخاصة بمؤتمر المرأة الأول لشعوب آسيا وإفريقيا يناير سنة ١٩٦١.

(١٨) توفى لومومبا بعد ذلك بعد شهور من قسوة التعذيب.

(١٩) للتفصيلات الكاملة عن المؤتمر وتوصياته ـ ارجع إلى الوثائق الرسمية عنه بالسكرتارية الدائمة لتضامن شعوب آسيا وإفريقيا.

(٢٠) الأوراق الرسمية عن أعمال المؤتمر الأول لنساء آسيا وإفريقيا.

(٢١) راجع أسماء أعضاء وفد ج.ع.م بالتفصيل فى السجلات الرسمية الخاصة بأسماء المندوبات والمحفوظة بالسكرتتارية.

(٢٢) من مظاهر الصعوبات المعوقة للباحث فى شئون المرأة عندنا عدم العثور على المراجع العلمية الخاصة بمثل هذا الموضوع إذ بذلت مافى وسعى للحصول على الوثائق الرسمية الخاصة بهذا المؤتمر والمؤتمر التالى هنا، دون جدوى مما اضطرنى إلى اللجوء إلى أرشيف صحيفة الأهرام والاطلاع على ملفات الأنشطة النسائية بها. ومنها المؤتمرات النسائية كما روتها ونقلتها الصحف لا الوثائق الرسمية.

(٢٣) ارجع فى ذلك إلى الملف الخاص بالمؤتمرات النسائية بصحيفة الأهرام.

(٢٤) المرجع السابق. وتلاحظ هنا أننى استطعت العثور على المراجع العلمية للمؤتمرات النسائية القديمة والسابقة على وقتنا المعاصر لاهتمام القائمين عليها بتسجيلها، غير أننى فشلت فى العثور على مراجع علمية للمؤتمرات النسائية المعاصرة بالرغم من الجهد المضنى والبحث الشاق لعدم الاهتمام بتسجيلها.

الفصل التاسع

الحركة النسائية فى المجال الخارجى

يعالج هذا الفصل أحد مظاهر الحركة النسائية المهمة والتى لم تتناول من قبل، وأعنى بها النشاط النسائى المصرى فى المجال الدولى.

وخروج الحركة النسائية من النطاق المحلى إلى العالم الخارجى يعد نصرًا كبيرًا لبعض نسائنا اللائى كان لنشاطهن وحماسهن فى رفع مستوى المرأة، دوى أسمع العناصر النسائية خارج الديار المصرية، وأقنع تلك العناصر الأجنبية بجدارة المرأة المصرية وجدية الأعمال التى تقوم بها للارتقاء ببنات جنسها مما يؤهلها لمشاركة نساء الدول فى الأمور المختلفة.

والواقع أن نساءنا سبقن الرجال فى تمثيل مصر فى المؤتمرات السياسية الدولية، فقد مثلن بلادنا فى المؤتمر الدولى لنزع السلاح والذى أقيم فى بعض عواصم أوروبا سنة ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠.

والمؤتمر الدولى لنزع السلاح هو نتيجة لما عانته أوروبا من حروب وسفك الدماء، ومن ثم فكر إمبراطور روسيا نيقولا الثانى يعاونه بعض رجال أوروبا ونسائها فى نشر الدعوة من أجل سيادة روح السلام والمحبة بين الشعوب بدلاً من روح المشاجرة والتشاحن وإنفاق ما يصرف على الاستعداد للحرب فى رفع مستوى المعيشة وسيادة الرخاء بين الشعوب.

وفى مقدمة النساء اللائى آمن بهذه الفكرة الأميرة الإيطالية فيزنيوسكا التى عاصرت الحرب السبعينية ورأت ما عانته منها شعوب أوروبا ومن بينها شعبها، ومن ثم امتلأت حماسًا للفكرة وعملت بهمة ونشاط على بث الدعوة لها بين

شعوب الأرض بصفتها رئيسة القسم النسائى للجمعية الدولية لنزع السلاح... لذا أرسلت الخطابات والنشرات إلى قادة الرأى للشعوب فى بلاد العالم كما عقدت اجتماعات ومؤتمرات صحفية لشرح وجهة نظرها، ودعت نساء العالم إلى الانضمام لعضوية الجمعية، وكانت فى مصر وقتذاك مجلة نسائية نشطة ويرجع نشاطها هذا إلى ذكاء صاحبتها ورئيسة تحريرها الكسندرا أفرينو، وإلى علاقاتها المتعددة بكبار أدباء الدول العربية والتركية والأوروبية، وقد أمدتها معرفتها بهؤلاء بكثير من الأخبار المحلية والخارجية، وجاءت الكسندرا أفرينو صاحبة المجلة النسائية المصرية حينذاك «أنيس الجليس» أخبار تلك الجمعية، وأنها عقدت أول مؤتمر لها فى صيف ١٨٩٩ بمدينة لاهاى العاصمة الهولندية، ونشرت إلى جانب هذا الخبر صورة قيصر روسيا وزوجته الإمبراطورة الكسندرا فيزورنا التى نسبت إليها أنيس الجليس الفضل الأكبر فى إيمان القيصر نيقولا الثانى «بعقيدة نزع السلاح والدعوة إلى السلام ونبذ الحروب للأبد، فإن كل ذلك يرجع إلى الروح الشريفة التى مكمن عنده والتى لا شك فى أن جلالة الإمبراطورة قرينته هى العامل الأكبر فى تمكين هذه الروح منه والمساعدة على إظهارها مما جعل لها نصيب أكبر من الفضل العائد من هذا العمل العظيم الذى هو ولا مشاحه أجل أعمال هذا الجيل وأولاها بالإعجاب والإكبار»[١].

وكانت الأميرة فيزنيوسكا قد رأست الشعبة النسائية من الجمعية، وعقدت أول مؤتمر لها فى شهر مايو سنة ١٨٩٩ بباريس وقبل انعقاد الجمعية بكامل هيئتها بلاهاى، ونشرت أنيس الجليس الخبر وقالت: إن الأميرة ألقت خطابًا دعت فيه: «شعوب العالم إلى ترك روح الشر والسعى إلى إشاعة روح المحبة والسلام بين شعوب الأرض» وقالت: إن عدد أعضاء الجمعية من النساء بلغ نصف مليون امرأة.

ولقد ساء الأميرة فشل مؤتمر الرجال الذى عقد بمدينة لاهاى مع استمرار انعقاد مؤتمر النساء بنفس المدينة، وهو المؤتمر النسائى الثانى لنزع السلاح بعد مؤتمر باريس فى نفس العام ١٨٩٩؛ لذا اتصلت بالصحافة العالمية تشرح لهم أسباب فشل الرجال فى الدعوة لنزع السلاح وهو «تأصل روح العدوان والشر فى

نفوسهم»، وأن السلام لن يسود العالم إلا بإيمان المرأة فى العالم به والدعوة إليه، وقد أرسلت الأميرة فيزينوسكا «إلى النابهات من نساء العالم تطلب منهن التأييد والانضمام إلى الجمعية ومديد المساعدة الأدبية والمادية» ومن أولاء النساء صاحبة مجلة أنيس الجليس العربية الكسندرا، والتى كانت تعبر عن رأى نساء العرب حينذاك، وتتزعم الحركة النسائية المصرية، وهذا هو نص الخطاب التى أرسلته إليها الأميرة فيزينوسكا رئيسية المؤتمر النسائى الدولى لنزع السلاح بهذه المناسبة «وبعد فإننى مسرورة جدًا بأن أراك مصدقة لمشروعنا هذا وساعية فيه سعيًا ألا وهو اتحاد نساء العالم اتحادًا وديًا تضمن فيه نشر روح السلامة والوداعة بين شعوب البشر والذين يتباغضون على غير معرفة وتتقاتل أفرادهم على غير عداوة، دون أن يتوصلوا إلى تحكيم إجبارى ينزعون به السلاح الذى يثقل كواهل الأمم ويريق دماء الشعوب، وهو البحث الذى أرجأه مؤتمر لاهاى وانفض دونه على غير جدوى». وتستطرد الأميرة فى خطابها إلى الكسندرا بأنه:

«تلك النية التى ارتدت على عقبها كما عرف الناس قد ألقى الآن تحقيقها إلى جمعيات السلم التى تضاعفت واجباتها وازدادت مطالبها لدى الشعوب بحيث صار أكبر همها وأشد حاجاتها ألا ترجع عن عزمها، وترتد عن أربها إلا وهى غانمة كل ما تريد وناشرة إرادتها هذه فى جميع أطراف الأرض»، ومن هنا فإننى «مرسلة إليك فى كتابى هذا دعوة إلى نساء مصر راجية منك أن ترسلى عنه ردًا موقعًا عليه منك ومن جميع صواحبك وسواهن اللائى ينضمن إلى هذا الغرض النبيل حتى نضيف ذلك إلى ما تجمع عندنا ونعرضه من مصر فى معرض باريز القادم عام ١٩٠٠»[٢].

ولقد أتيت بالخطاب لما لهذه الفترة المبكرة من تاريخ الدعوة لنزع السلاح فى العالم من جهة، وإن ذلك المؤتمر النسائى للسلام كان النافذة الأولى التى رأت منها حركتنا النسائية العالم الخارجى فى تاريخها من جهة أخرى، وكان لحماس الكسندرا لدعوة نزع السلاح ونشر الدعوة لسيادة روح السلام بين شعوب العالم، أن اختارتها رئيسة الجمعية الدولية النسائية لنزع السلاح وكيلة الجمعية فى مصر.

وقامت الكسندرا بواجبات تلك المهمة على خير وجه، فقد أخذت استمارة العضوية التى أرسلتها إليها الأميرة فى خطابها وطبعت منها مئات النسخ ووزعتها ضمن مجلتها، وطلبت من الأزواج القراء أن يملئوها بالنيابة عن زوجاتهم، وأن يوقعها الزوجات لو كن قارئات. وقد تضمنت رقاع الدعوة التى أرسلتها القائمات على مؤتمر النساء الدولى لنزع السلاح إلى نساء مصر هذه الكلمات «إنما نمد إليكن أيدينا يا نساء مصر دلالة على ما نكنه لكن من حب وود؛ لذا ندعوكن أن نتعاون ونجمع قوانا وجهدنا لنصل إلى ما نرجوه من إشاعة السلام ومنع الحروب بين الشعوب، فنحقق بذلك أشرف قصد وأسمى غاية رنت إليها نفس الإنسان، ولا شك إن اتحاد بنى الإنسان على بعد المسافة واختلاف البلدان، لإرادة قوية ينال بها أبعد الأمال والمطالب»[٣]، والغريب أن الكسندرا نشرت بعد ذلك بأنه لم يرسل إليها أحد الدعوة بعد إمضائها ورفضت التوقيع وأرجعت ذلك إلى أن النساء خشين أن يدفعن أموالاً فى شكل ضرائب أو رسوم ثمنًا لإمضائهن، كما خشين أن يكون انضمامهن لجمعية نزع السلاح فيه تكليف مالى لهن بعد التوقيع على استمارة الاشتراك.

وقد استمر حماس الكسندرا للجمعية وإخلاصها لأهدافها وقتًا طويلاً مما وطد روح الصداقة بينها وبين الأميرة رئيسة المؤتمر؛ لذا استمر الاتصال بينهما سنوات عدة، وقد أرسلت الكسندرا للأميرة عدة خطابات منها هذا الخطاب الذى تضمن بعض خواطر لالكسندرا عن أهداف الجمعية، وقد طلبت فيه أيضًا من الأميرة دعوة نساء العالم إلى استنكار سوء حكم بعض قادة شعوب العالم وساسة الحكم فيه؛ لأنها تسوق شعوبها إلى هاوية الحروب، وطلبت من الأميرة أن تطلب منهم باسم نساء العالم «رد السيوف إلى أغمادها، ذلك لاعتقادنا أن الشر والخير ولدا توأمين يتنازعان البقاء، فمن توفرت له من الاثنين أسباب النمو تغلب بقوته على ضعف الآخر». إلى أن تذكر بأنها «نرى طبيعيًا أن يكون مشروع نزع السلاح تباشره المرأة، فإنها أرق خلقًا وقلبًا من الرجل، وأوفر نصيبًا منه فى قسمة المصائب والويلات التى تحل على البيوت بسبب الحروب».

وقد ردت عليها الأميرة فيزنيوسكا قائلة:

«أنا لا أدرى كيف أشكرك على كتابك البديع الذى تلوته فى جلسة حافلة من جمعيتنا فعهد إلى بتبليغك أخلص عبارات الشكر والثناء، وحقًا إننا نفاخر بأن لدينا مندوبة مثلك لجمعيتنا فى بلد كان مهدًا للحضارة والمدنية، ولا تزال بذورهما تأتى بأطيب الثمار وأنت أكبر دليل على ذلك، وأنه لو كان كل النساء يستطعن أن يفقهن مثلك ما فى الحروب من نقض الشرائع الإلهية المقدسة والإساءة إلى أشرف العواطف الإنسانية ويدركن حقيقة الواجبات المتحتمة على المرأة فى تعضيض هذا المشروع ونشر روحه فى أطراف العالم للزوم أن يطبق فى الأرض صوت احتجاجنا كل مرة تنشب فيها الحرب إلى أن يسود السلام والوئام بين جميع الشعوب والأمم ويتغلب ملاك الخير على شيطان الشر»[٤].

وطلبت الأميرة الإيطالية من الكسندرا حضور المؤتمر الذى كان مزمع انعقاده فى سبتمبر سنة ١٩٠٠ وذكرت الكسندرا أن الأميرة طلبت من نساء مصر أن «يبعثن إلينا بالراية المصرية لتكون واسطة فى اتحاد البلاد وعقدها الخناصر على الولاء والوئام بما سيكون موقع اعتبار لهذه الجموع الغفيرة التى تختلف على القسم المخصص لجمعيتنا وتشاهد رايات جميع بلاد الدنيا الملتفة بعضها على بعض، تخفق بروح الاتحاد، وقد نقشت عليها آية السلام وأنا واثقة أن كثيرًا ممن سيستوقفهم هذا المشهد الجميل ليحيوا هذه الأعلام التى ترتبط بغصن الزيتون إشارة إلى السلام العام».

وتعلق الكسندرا بأن هذا ما كتبته لنا هذه الفاضلة البرنسيس فيزنيوسكا زعيمة جمعية السلام «وقد كنا أعلنا فى العدد الثانى من هذه السنة عن فتح اكتتاب لصنع راية مصرية تضم إلى باقى الرايات التى ستعرضها جمعية السلام ولبثنا ننتظر إقبال حضرات سيداتنا الفاضلات، والأمر لا يحتاج إلى كرم حاتمى، فكأنما كتبنا بغير لغة القوم أو كأنما كتبنا لأنفسنا».. وتستطرد فى هذا العتاب اللاذع بأنها تأمل فى أن يلبى سيدات الصين طلبها من أن تلبيه سيدات مصر، وأنه ليس من المعقول ولا من المنطق أن يطلب منا.. «نحن نساء مصر هذا الغرض النبيل، ثم يطلق علينا بيت الشعر القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حيًا

ولكن لا حياة لمن تنادى»

وتضيف.. لا: «بل نحن بنا بقية من الغيرة على مصر والحرص على سمعتها وكرامتها من لسان نقاد طعان يقول ما أبعد المدنية عن مصر وما أحطها فى دركات الهمجية إذا التقت رايات جميع البلدان وخلت مصر منها؛ لذلك فضلنا أن نقوم وحدنا لصنع راية مصرية وتقديمها لجمعية السلام»[٥]... وذكرت الكسندرا فى مقالها هذا بأن طول الراية كان ٨٠ سم٢ وعرضها ٤٠ سم٢ وأنها وضعت عليها شعار البلاد المصرية مع عنوان الجمعية الذى كان «اتحاد النساء الدولى العام للسلام».

غير أنها لم تبين ما كان شعار مصر الوطنى التى قالت إنها رسمته على العلم، وأغلب الظن أنه كان الأهرامات وأبو الهول وبعض أشجار النخيل تقف عند أقدامهما منعكسة على صفحة مياه النيل[٦]، لأن هذا الشعار كانت الكسندرا تتخذه شعارًا لمجلتها، واحتل غلاف الصفحة الأولى من كل عدد منها منذ صدرت فى يناير سنة ١٨٩٨ حتى توقفت فى مارس ١٩٠٨، وبعثت بها إلى المؤتمر المنعقد حينذاك فى مدينة باريس فى صيف ١٨٩٩ ـ ولنا وقفة هنا لنناقش هذا العمل البارز فى الحركة النسائية إذ لم يعرف لمصر الحديثة علم قبل ذاك ولا وقتذاك، حيث كانت مصر ولاية عثمانية، وكان علمها هو العلم الرسمى التركى حتى أعلنت بريطانيا الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤، وحل العلم البريطانى محل العلم العثمانى رمزًا لاحتلال بريطانيا لبلادنا، ثم ألغيت الحماية الإنجليزية فى ١٩٢٢ بعد تصريح ٢٨ فبراير، وأصبح لمصر علمها السابق على ثورة ١٩٥٢ والذى رمزت أرضيته الخضراء وهلاله ونجومه البيضاء إلى خصوبة أرض مصر وصفاء سمائها. ومن هنا أعتقد أن هذا العمل الذى قامت به الكسندرا من الأعمال التى تذكر لهذه السيدة العربية بالفخر والتقدير، ونسجل هنا كفاحها من أجل إيقاظ العقل النسائى العربى على الواقع العالمى الذى تحياه الدول الأخرى وحاولت الكسندرا بقدر استطاعتها أن تزيح الظلام الكثيف الذى غلف حياة المرأة المصرية والعربية حينذاك.

وسافرت الكسندرا وحضرت جلسات المؤتمر الذى عقد خلال صيف سنة ١٨٩٩، وفرحت الأميرة فيزنيوسكا بمقدم الكسندرا إلى فرنسا ورحبت بها وقدمتها إلى أعضاء المؤتمر، وألقت الكسندرا كلمة قالت فيها: «إننى سعيدة لأن أكون الزعيمة عند المؤتمر لسيدات هذا القطر[٧]، وهو شرف يتجاوز مبلغ حالى ويتعدى حد مقدارى» وتضيف الكسندرا فى حديثها عما شاهدته فى باريس عند حضورها بعض جلسات المؤتمر بأنها كانت: «وجدت أهل الغرب ينظرون إلى المرأة الشرقية بغير العين الذى يجب أن ينظر بها، ويعتبرها أحط بكثير من المنزلة التى وصلت إليها الآن، فقد رأيت أن أدفع هذا الزعم بقدر جهدى». وتستطرد بأنها انتهزت فرصة انعقاد حفلة كبرى بالمعرض الدولى للسلام، حضرها جمهور كبير من «وجوه باريز وأدبائها وأكابر حكامها، وألقيت فيها خطبة عن المرأة الشرقية وما بلغ إليه جهدها فى هذا العهد من العلم والتهذيب، ولقد كان لكلامى الوقع الحسن والتأثير المطلوب فى نفوس كل السامعين، ولذلك نهض حضرة المسيو مالو ـ نائب رئيس الحفلة، وأثنى على هذه القائلة بما شاء أدبه وفضله وقال: إننا كنا نظن من قبل أن المرأة الشرقية لا يطيب لها وقت إلا بين المطاعم والمشارب، وأنها فى غاية الجهل حتى لا تدرى من دنياها شيئًا، والآن وقد سمعنا هذا القول منك أيتها الشرقية فقد صرنا إلى جانب اليقين بأن المرأة الشرقية قد نهضت نهوضًا واضحًا فى سلم الارتقاء كما أنك أنت أسطع برهان، وأصدق دليل عى صحة كلامى واعتقادى هذا الجديد» ثم تضيف الكسندرا إلى ذلك تعليقًا على خطاب مسيو «مالو» بأنها لم تكتف بما وصلت إليه من نجاح فى الحفلة الآنفة، بل إنها اتصلت بمحررى صحف باريس ونشرت عدة مقالات فى صحفهم مبينة فيها وضع المرأة الشرقية الحقيقى. وأتت بمثال من هذه المقالات والتى نشر فى المجلة الفرنسية «الطان» بضوان «المرأة فى الشرق» وذكرت أن الصحف الفرنسية نقلتها عنها بعد ذلك. وتقول فى ختام وصفها لرحلتها فى باريس ١٨٩٩: «إننى لا أكتم ما أصابنى من تفضل العديدين من أدباء باريز وكتابها وأديباتها وأباب الصحف فيها كثرة مانوهوا بى وأشاروا إلى التمثيل الأدبى الذى ما كنت أمثله هناك وذلك شأن إذا أفتخرت به فإنما أفتخر نائبة عن جميع أخواتى الوطنيات اللائى اسأل الله أن يقدرنى على القيام بخدمتهن»[٨].

ولقد حققت الكسندرا[٩] النجاح فى تمثيل نساء مصر، وتقصد بالوطنيات هنا بنات مصر والعرب لا المرأة الأجنبية بها وقد كن كثيرات ومن كثير من بلدان أوروبا وذلك يرجع لسيطرة الاستعمار الإنجليزى على مصر واستقدام كثير من الأجانب ليعملوا بالبلاد ومعهم نساؤهم، كما جاء مصر كثيرات من مغامرات أوروبا حبًا فى الكسب من أى طريق.

هذا، ولقد استطاعت الكسندرا أن تستغل إجادتها للغة الفرنسية فى التأثير على من قابلتهم من الناس، ومن الواضح من كتابتها وموضوعات مجلتها أنها امتازت بقدر غير قليل من الذكاء واللباقة. وحدث عدة ظواهر تؤكد نجاها فى تمثيل نساء مصر فى هذا المؤتمر الدولى الذى عقد بباريس فى سنتى ١٨٩٩ - ١٩٠٠ والذى دعا لنزع السلاح والظاهرة الأولى هو تنازل الأميرة فيزنيوسكا لا لكسندرا عن لقب الإمارة التى تحمّله من ملك إيطاليا وذلك بعد وفاتها على أن يرثه أولاد الكسندرا من بعدها وقد ورثت الكسندرا فعلاً لقب الإمارة ودفع هذا العمل ملك إيطاليا؛ لأن يدعو الكسندرا فى قصره بروما ليتعرف على الإنسانة التى سوف تحمل لقب أميرة فى بلاده وهى غريبة عن إيطاليا وأوروبا كلها. كما دعاها رئيس جمهورية فرنسا إلى حفل أقيم لرؤساء وفود الدول فى القصر الجمهورى بفرساى وأعجب بلباقة الكسندرا وشخصيتها وأنعم عليها بنيشان. وقد دفع نجاحها هذا فى عواصم أوروبا؛ ولأن يدعوها الخليفة العثمانى إلى الآستانة لتشريفها نساء دولته فى المجال الدولى واستقبلها فى السلاملك بقصره حيث كان يستقبل كبار رجال العالم وليس فى الحرملك كما كان عادة نساء ذاك الزمان وأنعم عليها بأعلى نياشين الدولة العثمانية تقديرًا لها.

مؤتمر النساء الدولى بروما ١٩٢٣:

وتمضى بعد ذلك السنوات. وتحدث بمصر أحداث سياسية مهمة حتى كانت ثورة ١٩١٩ واشتراك المرأة بكافة طبقاتها فيها، ويسمع عن ذلك العالم الخارجى، ويجدد معرفته لجهود المرأة المصرية فى المجال الدولى ويرسل مؤتمر روما ١٩٢١ إلى قائدات الحركة النسائية فى بداية العشرينيات يدعوهن للحضور

بيد أنهن كن مازلن مشغولات بالثورة، وما ترتب عنها من أحداث مثل نفى سعد زغلول وصحبه ومواساة الثكالى والأيتام والجرحى. حتى كانت سنة ١٩٢٣ عندما أرسل القائمون على المؤتمر النسائى الدولى الذى عقد لمناقشة وضع النساء فى الدول المختلفة، وفى تلك السنة لمعت هدى شعراوى كزعيمة للحركة النسائية وقتذاك؛ والتى تمثلت هذه الحركة فى «لجنة الوفد المركزية للسيدات» وقد لفتت هذه الدعوة نظر هدى شعراوى وزميلاتها إلى وجوب قيام اتحاد نسائى مصرى يشابه اتحادات النساء فى الدول الأخرى وقام فعلاً قبل ذهاب هدى ومن معها إلى المؤتمر - وأطلق «عليه جمعية الاتحاد النسائى المصرى». ونشرت أخبار الاتحاد النسائى المصرى فى الصحف المصرية واستعداد أعضائه للذهاب إلى روما وانبرت أقلام للهجوم على الوفد النسائى المصرى وطالب أصحابها الحكومة بعدم السماح لهن بالسفر حتى لا يسئن إلى سمعة مصر وعلى وجه الخصوص فى ذلك الوقت المهم من تاريخها السياسى، وتساءل بعض المعارضين ماذا ستقول المرأة المصرية لوفود الدول الأخرى؟!!.

أيتحدثن إليهن عن جهلهن وحياتهن خلف مساوئ الحريم وهن لا يحسن غيرها؟!. وقامت ضجة حول مستوى كفاءة المرأة المصرية ومدى صلاحيتها لتمثيلنا فى المؤتمر وخرجت بعض الدوريات النسائية تدافع عن الوفد ومهمته فى روما وقالت: «لقد خاض جماعة من الكتاب والكاتبات فى شأن هذا المؤتمر. فمنهم من حبذ الفكرة ومنهم من استهجن اشتراك المرأة المصرية فيه وتشيع كل فريق لرأيه بأدلة أوردها. على أن أمر هذا المؤتمر ليس فيه من الغموض والإبهام ما قد توهمه فريق المستهجنين والمستهجنات، ثم اندفعوا فأضفوا على وهمهم هذا جلبة غريبة تناولت الطعن فى منهج المؤتمر فحسب - بل تعدته إلى الطعن فى كفاءة المرأة المصرية، وأهليتها وعدم استعدادها لتمثيل مصر بصفة مشرفة مدعين أنها لا تصلح لمواجهة هذا المؤتمر والإدلاء إليه برأى ممتع أو فكرة طيبة ترفع من قيمة المرأة المصرية أمام تلك الهيئة الناضجة من نساء أرقى الشعوب والأمم». ومضت مجلة المرأة المصرية فى قولها هذا إلى أن تناولت رأى المعارضين فى منهج المؤتمر الذى: «توهم بعضهم أن برنامج المؤتمر الذى نشرته المجلة

المصرية ليس فيه ما يلائم حالتنا القومية ولا يتفق مع شئوننا الاجتماعية بتاتًا وعليه فقد بات تعرضًا لدخول المؤتمر كما يقولون أمرًا ممقوتًا يعرض كرامتنا للامتهان». وتمضى المجلة متسائلة» «أصحيح أن المرأة المصرية ليس لها أعمال مشرفة أو نهضة مشكورة؟ أصحيح أنها تمتهن كرامتها بالاشتراك فى هذا المؤتمر؟».

وتجيب على تساؤلها بأن «المرأة المصرية ليست أقل كفاءة ولا تمدنا عن المرأة الصينية والهندية وهى قد شهدت مؤتمرات مماثلة من قبل وأنه ليس النبوغ احتكارًا أيها السادة المتطيرون فإذا صح أن يكون احتكارًا لشعب فهو لشعبنا بحكم تاريخنا المجيد ومدنيتنا العريقة إذا لا شك فى أن العالم لمدين لنا بالنبوغ المصرى ولو أن لعين الشمس لسانًا ناطقًا لحدثتكم بالعجب العجاب إن كنتم تجهلون»[١٠].

وتحمست هذه المجلة النسائية لقضية اشتراك المرأة المصرية فى مؤتمر روما وحفظت بذلك لنا القصة الكاملة لاشتراك وفدنا فى هذا المؤتمر المهم من حركتنا النسائية فى المجال الدولى وقد يرجع ذلك إلى الصداقة المتينة التى كانت تجمع بين هدى شعراوى وصاحبة المجلة بلسم عبد الملك[١١]، ومن ثم فهى تنشر «ستسافر عن قريب سيداتنا إلى المؤتمر وسيدلين بأرائهن وسيضربن فى المواضيع الشتى الموضوعة على هدف البحث بسهم صائب وستعرف نساء العالم المتمدن أن السيدات المصريات لهن عقلية ناضجة وتفكير سليم وقريحة وقادة ولا ينقصن عنهن فى شىء»، وتستطرد مخاطبة سيدات الوفد المصرى بأنهن «سيرين فى المباحث الطلية التى سيدور الكلام فيها تنويعًا عما ألفوه من الحديث وسيرين إن هناك مواضيع خطيرة جديرة بالبحث والمناقشة عدا حديث المودة اللذيذ الذى يأخذ عادة تسعة أعشار اهتمام الجنس اللطيف، سيرين أن البحث فى ترقية العائلة وتربية الطفل والدفاع عن مصالح المرأة المهمة خير من البحث فى بدع شيكوريل والبون مارشيه، وسيعرفن أن العالم يحتوى على أشياء كثيرة مهمة أكبر شأنًا وأخطر عاقبة من اللباس والزى» ثم طلبت من أعضاء الوفد النسائى المصرى أن ينقلن صورة واضحة عن حقيقة المرأة الأوروبية وكيف أنها لا تضيع

وقتها فى تافة الأمور ويبلغن ذلك للسيدات المصريات عند عودتهن؛ لأنه مضى زمن اللهو وأتى زمن الجد فأنتن ملزمات أمام الله وأمام العالم المتمدين وأمام ضمائركن بإنجاب أبناء الوطن الذين يرفعون شأنه ببناته اللائى يكن خير أمهات للمستقبل.

ثم تطالب المجلة المرأة المصرية وفدنا النسائى فى مؤتمر روما ١٩٢٣ بأن يعملن بعد عودتهن على عقد مؤتمر شرقى[١٢] فى مدينة القاهرة يعمل على حل مشاكل نساء الشرق مثل مشكلة الطلاق التى أصبحت المرأة إزاءها ألعوبة فى أيدى من لا خلاق لهم من الرجال وأصبح أولاد الأمة وأطفال الوطن رجال المستقبل مشردين لا عائل لهم».

وتستطرد معددة بقية المشاكل التى تهم نساء الشرق وتحتاج لمؤتمر نسائى شرقى يقوم ببحثها مثل «مسألة تعليم البنات الذى يكاد يكون معدومًا ووجوب تعميمه؛ لأن تعليم البنت أهم بكثير من تعليم الولد إذ إنها الأم التى تسيطر على عقلية أفراد عائلتها فى المستقبل، ومسألة تعدد الزوجات بدون موجب وبحالة لا تتفق مع ما أراده الدين الحنيف من الإباحة، إذ أصبح من لا يستطيع إعالة نفسه متزوجًا بثلاثة أو اثنتين من النساء وبهذا تنتشر الفوضى الأخلاقية والفوضى الاجتماعية التى تؤدى بحالة البلد إلى البوار والفناء».

ثم تختم مقالها بأنه يوجد كثير من المسائل الأخرى والتى نحن فى حاجة شديدة لمعالجتها وتلافيها، سنضعها بين أيدى سيداتنا فهن خير من يستطيع تلافيها والله يوفقهن إلى ما فيه خير البلاد»[١٣]. ومن هنا نرى كيف كانت القيادات النسائية واعية لحاجة النساء فى مصر ويقظة للدفاع عن المرأة المصرية وإرشادها إلى ما يجب عليها أن تقوم به من أجل نجاحها فى كل أمر تتناوله والعمل على حمايتها من نفسها ومن ضعفها ومن الشامتين، كما بذلت القيادات النسائية ممثلة فى الصحافة النسائية أقصى ما فى وسعها لإعطاء المرأة المصرية الثقة بنفسها وقدرتها على دخول ميادين جديدة واسعة لم تكن لها خبرة بها وأعنى المؤتمرات الدولية والاحتكاك بحضارات وثقافات جديدة مختلفة كما بينت لها أخطاءها وكيف تتجنبها وحاجة الوطن إليها كإنسانة جادة واعية عاملة على

تخليصه مما يعانيه من قضايا، خاصة فى المجال الاجتماعى ومنحه أجيالاً صالحة، وسافر الوفد الذى تكون أفراده من ثلاثة هن: هدى شعراوى رئيس وعضوية نبوية موسى وسيزانبراوى واعتذرت رابعة الأعضاء استرويصا.

ورعاية الصحافة النسائية والرأى العام النسائى لأعضاء الوفد واهتمامها به جعل أعضاء الوفد يضاعف نشاطه ويسهرن من أجل نجاحهن فى هذا المجال الدولى؛ لأن ما سوف تصل إليه الأعضاء من نتيجة سوف يؤثر على مستقبل المرأة المصرية فى المجال الخارجى بعد ذلك ولا يمكن لنساء مصر أن يتكلمن عن تمثيلهن فى مجالات دولية أخرى. وهذا ما دفع القيادات النسائية أن تعقد عدة اجتماعات مهمة وشكلت على أثرها الاتحاد النسائى المصرى ونشرت أعضاؤه جدول أعمالها فى مؤتمر روما الدولى سنة ١٩٢٣ والموضوعات التى سوف يتبادلها الوفد النسائى المصرى بالبحث فى المؤتمر وكانت الموضوعات كالآتى:

١ ـ ترقية مدارك المرأة العقلية والأدبية لتنال قسطها فى الحياة الاجتماعية والسياسية أسوة بالرجل.

٢ ـ المطالبة بمساواة النساء بالرجال فى التعليم العالى لمن أرادت.

٣ ـ تنظيم أسلوب الخطبة بحيث يكون كل من الزوجين على علم تام بالآخر قبل العقد.

٤ ـ السعى لإصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية وجعلها منطبقة على ما أرادته روح الدين، وصيانة المرأة المصرية من الظلم الواقع عليها بتعدد الزوجات بدون مبرر وبالإسراع فى الطلاق دون سبب جوهرى.

٥ ـ المطالبة بسن قانون يمنع زواج البنت قبل بلوغها السادسة عشرة من عمرها.

٦ ـ السعى بمختلف الوسائل لتحسين حالة الشعب الصحية.

٧ ـ محاربة البدع والخرافات التى تتعارض مع العلم الصحيح.

٨ ـ السعى لتأييد الفضيلة ونشرها ومحاربة الرذيلة.

٩ ـ تنظيم الطريقة الفعالة لنيل جميع هذه الأغراض بالوسائل المشروعة.

وقد غادرت هدى شعراوى القاهرة يوم ٤ مايو سنة ١٩٢٣ إلى الإسكندرية حيث لحقت بها نبوية موسى وتوجه الوفد بحرًا إلى إيطاليا وعقد المؤتمر فى ١٢ مايو حتى ١٩ منه.

وكانت أعضاء الوفد والاتحاد النسائى قد نشرن استعداد جمعية الاتحاد لقبول اشتراك: «كل سيدة تريد الالتحاق بها والمكاتبة تكون بعنوان حرم شعراوى باشا بشارع قصر النيل ويكتب على الظرف طلب اشتراك» وذكرن أن الغرض من سفر الوفد هو العمل على محو الفكرة السائدة بأن المرأة قابعة فى مجاهل الخمول بعيدة عن الحياة العملية لا مجال لها إلا فى داخل منزلها ولا عمل لها فى الشئون العامة، وأن الاشتراك فى هذا المؤتمر إنما من أجل تمثيل المرأة المصرية فى المجال الدولى وتبادل البحث فى المسائل التى تدور حول ترقية المرأة وهذا من أكبر الذرائع وأصلح الأعمال فى خدمة النهضة القومية» وعند افتتاح المؤتمر لاحظت هدى شعراوى أن أعلام الدول المشتركة تخفق أعلى القاعة دون علم مصر فاحتجت على ذلك وقيل لها: إنهم بحثوا عن علم لمصر فى إيطاليا، ولكنهم لم يجدوا فأعطتهم هدى العلم الذى كانت قد أحضرته معها من مصر لرفعه على الباخرة التى أقلتها من الإسكندرية ورفع مع أعلام الدول المشتركة الأخرى.

وقد رحبت الوفود الأجنبية بالوفد المصرى وأبدى الوفد الأمريكى دهشته من حقيقة المرأة المصرية؛ لأنه وجدها على درجة كبيرة من التمدن وأنها لا تقل حضارة ولا علمًا ولا ثقافة عن غيرها من أرقى نساء العالم، ولا غرو فقد كانت هدى شعراوى تتكلم الفرنسية كإحدى خريجات السوربون كما أن نبوية موسى كانت تتكلم اللغة الإنجليزية بطلاقة كبيرة إذ سبق لها السفر إلى إنجلترا لزيارة علمية لبعض جامعاتها وكانتا تعرفان كيف تسلكان أمام الوفود الأخرى فى حديثهما ومظهرهما وفى مقابلاتهما، خاصة مع الصحفيين الأجانب الذين وجدوا فى حضور المرأة المصرية إلى مؤتمر دولى مادة شيقة لصحفهم ومعلومات مهمة تفيد قراءهم.

وأتى هنا بحديث أخذه صحفى إيطالى يعمل بجريدة «جورنال دى إيطاليا» لهدى شعراوى ونشرته صحيفته أثناء انعقاد المؤتمر قال: «كان للوفد المصرى الذى ترأسه السيدة الحسناء المهذبة هدى شعراوى باشا، مركز ممتاز فى المؤتمر النسائى، فإن هذه السيدة من كبريات نساء مصر، وهى أرملة وكيل الوفد المصرى وقد تزوجت ابنتها وكيل وزارة المواصلات وهى من أصل بدوى، وهو جنس معروف بشرفه ونبله وتهذبت تهذيبًا أوروبيًا وكانت على رأس الوفد النسائى الذى توجه إلى سائر السفارات الأجنبية محاطًا بالجنود الإنجليزية[١٤] للدفاع عن استقلال مصر ولقد تفضلت السيدة الجليلة بما جلبت عليه من اللطف والدعة فأبدت لنا أراءها وبرامجها قالت: إننى أريد قبل كل شئ أن نثنى على الحكومة الإيطالية لما أظهرته من الحفاوة واللطف على سائر أعضاء المؤتمر وما قدمته من الدلائل العديدة على كرمها وإننا لا ندهش لكرم الضيافة الذى أظهرته الأمة الإيطالية، فإن الود الذى كنا محوطات به يذكرنا بكرم الضيافة التقليدى فى بلادنا الشرقية ويثبت لنا إننا محقون فى اعتبار إيطاليا أختًا فى البحر الأبيض لمصرنا الجميلة بما كان لها من المدنية القديمة وما عندنا الآن من العطف نحونا» وتستطرد هدى شعراوى فى حديثها إلى الصحفى الإيطالى قائلة: «أما فيما يتعلق بنا فقد كان العطف مختلطًا ببعض الدهشة فى أمرنا، فما وصلنا إلى هذا البلد حتى أحاطت بنا شرذمة من الصحفيين الذين كانوا يظنون أن يجدوا فى المرأة المصرية تلك الفتاة الجاهلة الخيالية التى وصفها الروائيون الأوروبيون - وأظن أنهم خدعوا بعض الشىء فى خيالهم فإن «لوثى وفارير» وغيرهما من الكتاب لم يحكموا علينا إلا بما صوروه لأنفسهم من قبل وحيث إنهم لم يتمكنوا من الوصول إلينا بالنسبة للحجاب فإنهم رسمونا حسب ما أوحت به إليهم مخيلة الشعراء غير مهتمين بالحقائق الصادقة، ولقد بقى الحجاب دهرًا يحجب الناس عن معرفتنا وحيث إنهم لم يكونوا يروننا، فقد اعتقدوا أننا نختلف عن سائر بنى البشر، مع كل فليس ما يشبه المرأة الغربية يتمثل فى المرأة الشرقية».

وسأل مندوب الصحيفة الإيطالية هدى شعراوى «وإلى أى سبب يرجع التغيير الذى طرأ على المرأة الشرقية؟ فأجابت هدى:- الوطن - إن الشرق يتغير وهو

يريد أن يكون فى مستوى المدنية الغربية ولقد فهمت المرأة أنه يجب أن تقوم بقسطها فى هذه النهضة، وأضرب لك مثلا ما قامت به المرأة المصرية فإنها ظهرت فى مظهرها الحقيقى أثناء الحركة الوطنية الكبرى سنة ١٩١٩ فنفضت عنها جميع العادات القديمة، وقد تألفت لجنة سياسية للوفد من النساء تحت رياستى وخدمت القضية خدمة جليلة بالقلم والعمل، وكان لما أبدته المرأة المصرية من الشجاعة والكفاءة الفضل فى اعتبارها الاعتبار الذى تستحقه وأننا لايرتابنا شك فى أن المرأة المصرية ستتمتع فى المستقبل عندما تنتشر التربية أكثر من الآن ببعض الحقوق التى للرجل حيث إن قوانينا المدنية والشرعية لا تعارض فى الواقع تحرير المرأة اجتماعيًا وسياسيًا» وعاد المراسل الإيطالى يسأل رئيسة الوفد النسائى المصرى فى مؤتمر روما وإلى أن يحين ذلك الوقت كيف تظهر المرأة الحاضرة وإلى أى مدى تختلف عن امرأة الزمن الغابر فأجابت هدى شعراوى «لقد فهمت المرأة المصرية أن الاستقلال لايعطى، بل يكتسب فأخذت تشجع الأعمال الصناعية والتجارية التى تضمن الاستقلال الاقتصادى لمصر وسهرت بوجه خاص على جعل تعليم المرأة فى مستوى تعليم الرجل؛ لذلك أنشأت أميرات البيت المالك وسيدات الأرستقراطية المصرية الكثير من المدارس والمشاغل والمعاهد النسائية كمدرسة - ترقية الفتاة التى تديرها السيدة نبوية موسى وبالجملة فإننا نسعى لإعداد أمهات المستقبل المصريات للواجب العظيم الذى فرض عليهن»[١٥]. هذا وقد وطدت هدى شعراوى صداقتها برئيسة المؤتمر الأمريكية كارى شابمان وهى التى عملت على إنشاء الاتحاد الدولى للنساء وقد افتتحت كوريت آشبى[١٦] جلسات المؤتمر بشكر الحكومة الإيطالية حيث قالت «يبدى الاتحاد النسائى الدولى للحصول على حق الانتخاب شكره للحكومة الإيطالية والشعب الإيطالى على حسن ضيافته» وأضافت شارحة الهدف من إقامة المؤتمر بأن: «مؤتمرنا يمثل الحركة النسائية العالمية التى تريد الاعتراف للمرأة بأنها كائن بشرى وأن الأنثى لها من العقل والإحساس والقوة والضعف والآمال ما للرجل». وتستطرد رئيسة الاتحاد النسائى الدولى بأننا: «لم نأت إلى روما ليعقد مؤتمرنا التاسع وشأننا شأن من يطلب عطفًا فإن مؤتمرنا يمثل نساء

أربعين أمة وليس فى العالم أكثر من ستين أمة»[١٧]. وقد بحث المؤتمر ضمن جلساته التى كانت تعقد من التاسعة صباحًا حتى ساعة متأخرة من الليل القضايا الآتية:

١. رفع مستوى النساء الأدبى.

٢. إعطاء حرية انتخاب للمرأة فى اختيار ممثلها فى الهيئات المختلفة.

٣. مساواة المرأة فى الأجور مع الرجل بالنسبة للعمل الواحد إذا تساوت المؤهلات العلمية والعملية.

وألقت هدى شعراوى كلمة المرأة المصرية واستهلتها قائلة:

«إنه ليسرنى حقيقة أن أجد نفسى بينكن فى هذه الجمعية المحترمة التى تمكنت فيها المرأة المصرية لأول مرة فى التاريخ من المجىء والمناقشة فى حقوقها وإننى لا أجد ما يدعو إلى الفخر والغبطة فى اختيارى لإظهار تلك الرابطة التى تربط بنات النيل بأخواتها فى أوروبا ـ حقًا لقد مر بمصر زمن طويل كنافيه بمعزل عن العالم أجمع خلا أزواجنا وأقاربنا فنشأ عن ذلك إنذواء شخصيتنا وبقاؤنا وراء حجاب، على أننا إذا تأملنا فى تاريخنا الغابر فى الوقت الذى كانت مصر فيه تشرق فى سماء المجد وتفجر نورها على البلدان كانت المرأة المصرية تتمتع بحقوق الرجل نفسها، وقد حافظت على هذه الحقوق إلى اليوم الذى وقعت فيه مصر تحت نير الأجنبى وأصاب المرأة المصرية ما أصاب نساء الشرق اللائى ظللهن الاحتلال ولا قانون يحميهن من استبداد الرجل» وتمضى هدى شعراوى فى خطابها التاريخى أمام المؤتمر النسائى الدولى سنة ١٩٢٣ قائلة: «وقد بقيت المرأة فى هذا الدرك حتى ظهر الإسلام الذى منح المرأة حقوقًا لم تحصل عليها من قبل والتى تقاتل وستقاتل المرأة العربية فى سبيل الحصول عليها اليوم وغدًا وبعد غد، وقد احتفظت المرأة حتى الساعة بهذه الحقوق التى يعترف لها بها القانون الدينى، غير أنها لم تفكر فى استعمالها بسبب الجهل الذى شبت فيه ودرجت، أربعة قرون كاملة وما أفاقت مصر من سباتها العميق إلا فى أوائل حكم محمد على الذى نهض بالبلاد وأنشأ المدارس التى فتح أبوابها للنساء، ولولا

الاحتلال الأجنبى لما وقفت فى سيرها هذه الجهود التى كانت تعمل على رفع مستوى المرأة العقلى ولكن من المأمول اجتناء جمع ثمارها».

وتضيف هدى شعراوى مؤرخة لفترة من تاريخنا نحن نساء مصر لم يعشها جيلنا المعاصر فتقول: «على أن مسألة تعميم التعليم الإجبارى كانت موضوع المناقشة والبحث فى عهد السلطان حسين، ولكن أولى الأمر قر رأيهم على تأجيل إصدار هذا القانون بصفة نهائية ثلاثين عامًا وقد حرمت الحكومة ابتداء من ١٩٠٩ المرأة من حق أداء امتحان شهادة البكالوريا[١٨] ثم حرمتها من نيل شهادة الدراسة الابتدائية ولهذا السبب فإن بناتنا اللائى يتعلمن فى مدارس الحكومة لا يتأتى لهن أن يحترفن إلا إحدى مهنتين وهما مهنة مدرسة ومهنة قابلة» ثم أخذت هدى شعراوى تعدد العوائق التى وقفت أمام تقدم تعليم البنات فى مصر فتقول: «إن النقاب كان أكثر العوامل التى أدت إلى بقاء المرأة المصرية فى درجة من العلم متأخرة، ذلك أنه فى سن معين يحال دون ذهاب الفتيات إلى معاهد التعليم، لكن بالرغم من هذه العوائق تمكنت الكثيرات من ارتشاف مناهل العلم الراقى وبلوغ مكانة إخواتهن الأوروبيات، وقد قصد بعضهن جامعاتكم فى دراستهن، وقد بدأت المرأة المصرية بفضل تعليمها ومعرفتها حقوقها أكثر من قبل، تظهر الميل إلى الاستفادة من الامتيازات التى خولها القانون إياها، وها نحن أولاء نراها اليوم تحتل مكانة مهمة فى الأسرة وفى المجتمع والحياة السياسية» وبعد ذلك لخصت هدى شعراوى مطالب المرأة المصرية إلى المؤتمر النسائى الدولى وشرحها لأعضاء الوفود وقالت عن: «تعدد الزوجات التى ينتقدها أهل الغرب انتقادًا مرًا، فإنى أظن أن القرآن بتحديده عدد النساء إلى أربع يغتفر، ولكنه لا يوصى بهذه العادة التى كانت منتشرة عند قبائل العرب قبل الإسلام، فإنه يقول بالنص: «وإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة .... ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» (صدق الله العظيم) إذًا يكون للمرأة المصرية حق المطالبة بإلغاء هذه العادة التى توجد الشقاق فى الأسر وتولد البغضاء بين الإخوة والأخوات من أمهات مختلفة والرجوع إلى الشريعة التى لاتبيح الانقسام ولا التفرقة» وتستطرد بأنها: «ليسرنا أن نرى هذه العادة مع انتشار التعليم تتلاشى شيئًا فشيئًا لأن شعور المرأة

بكرامتها الآخذة فى الازدياد يأبى عليها أن تقبل حليلة أخرى لزوجها ولأن الرجل الذى يزداد حرصه على السعادة والطمأنينة فى البيت لا يفكر اليوم مطلقًا فى إدخال عوامل التفرقة من هذا الباب.. وتتناول قضية الطلاق فتقول بأنه: وإن كان الرجل هو الذى يلجأ إليه عادة إلا أن المرأة فى وسعها أن تتخذه سلاحًا تدافع به عن نفسها، وأن القانون لا يعترض على استعمالها لهذا الحق، ويمكن للمرأة المصرية أن تحتفظ بأبنائها لغاية السابعة أو التاسعة من عمرهم إذ يكونون خاضعين للسلطة الأبوية» وتتناول موضوع الوراثة فتقول بأن: «البنت لا حق لها إلا فى نصف ميراث الأخ ولكن يجب أن لا يفوتنا أن من مقتضيات الزواج أن يقوم الرجل بنفقات البيت أيا كانت ثروة زوجته، والمرأة ترث عن زوجها ربع ما يملك إذا لم يكن له ولد والثمن فى الحالة الأخرى وللأبناء الذين يعترف بهم أبوهم من حقوق الوراثة التى يتمتع بها الأبناء الشرعيون» وتضيف بأنه: «قد أدخلت أخيرًا بعض إصلاحات من شأنها تحسين حالة المرأة من جهة النفقة التى يطالب بها الزوج فى حالة الانفصال، فإذا لم يدفع المبلغ الذى تراعى المحكمة فى تعينه ألقى به فى السجن، فالرجل يخشى الجزاء والمرأة المهجورة تجد فى القانون حماية لها، هذا وتتمتع المرأة المسلمة فى الحياة المدنية بكفاءة كاملة، لأن القانون يكفل لها الاستقلال التام فى التصرف فى أملاكها متى بلغت سن الرشد، ففى إمكانها الشراء والوصية والحجر والوصاية دون وجوب الحصول على تصريح من زوجها بذلك، والاشتراك فى أى عمل مالى أو تجارى بالتساوى مع الرجل عملها ذلك، فإنما تستمد من القانون الإسلامى وحق الاحتفاظ بجنسيتها فى حالة ما إذا تزوجت بأجنبى. وتضيف إلى ذلك مبينة كيف أن المرأة المسلمة لم تستطع أن تستغل حقوقها الكثيرة هذه، والتى لم تستطع غيرها من نساء الدول الأخرى والأكثر تقدمًا وحضارة أن تحصل عليها. لأن منشأ ذلك كما تقول هدى شعراوى جهل المرأة الشرقية، لكن بما أن القوانين لا تشتمل على أى تقييد فسيكون فى وسعها متى شاءت أن تطمح إلى الوظائف العمومية وجميع المهن التى يحترفها الرجل، وتتناول دور المرأة المصرية فى ثورة سنة ١٩١٩ ومازالت أحداث تلك الثورة فى ذهنها فتقول: «وقد ظهرت المرأة المصرية فى صورتها الحقيقة فى حركة

١٩١٩، فى الوقت الذى كانت فيه الأمة من أولها إلى آخرها بحاجة إلى قواها كلها للمطالبة باستقلالها، وشاركت المرأة الرجل فى كفاحه السياسى بتداخلها فى الإدارة والكتابة فى الجرائد وتأسيس المجلات وأنشأت بمالها الخاص مدارس حرف للفقراء وملاجئ للمرضى من الفقراء وكونت جميعات علمية، ومن هنا يتبين مما تقدم أن المرأة المصرية التى تتمتع فى المجتمع بامتيازات خاصة من وجهة القوانين ليست بحاجة لتصبح مساوية للرجل إلا فى التعليم، والمطالبة بإصلاح بعض العوائد المتعلقة بالزواج والطلاق، فإن روح القانون فسرت فيها خطأ».. وأعلنت هدى شعراوى فى المؤتمر خبر إنشاء الاتحاد النسائى المصرى بقولها: «وقد تألفت أخيرًا فى سبيل الوصول عاجلًا إلى هذه النتيجة جمعية الاتحاد المصرى النسائى، ورسمت لنفسها البرنامج الآتى» ثم أتت على البرامج الذى أتينا به منذ قليل، واختتمت هدى شعراوى خطابها المطول هذا والذى شرح وضع المرأة فى مصر منذ بدء الخليقة إلى يومذاك بقولها: «والآن وقبل أن أنسحب اسمحن لى أيتها السيدات أن أشكركن على إلحاحكن فى إظهار الرغبة فى اشتراك المرأة المصرية فى عمل الاتحاد العظيم، ولنا الأمل الكبير أن نصل بفضل نصائحكن التى هى لنا نعم الهادى والاحتذاء على تمكين المؤتمر الذى نجد فيه خير مشجع إلى تحقيق رغباتنا وبلوغ القصد، وإننا نضع أنفسنا تحت تصرفكن لخدمة مبادئكن ونشر أفكاركن، أما والاتحاد قوة فإننا نرجو من صميم الفؤاد أن يتحقق فى القريب العاجل الغرض الذى نسعى إليه. أعنى انتصار حقوق المرأة فى العالم أجمع»[١٩] ولقد آثرت أن آتى هنا بخطاب هدى شعراوى فى المؤتمر النسائى الدولى كاملًا لأهميته التاريخية - وأنه كان نافذة عكست لنا جزءًا من شخصية هدى شعراوى خاصة وأننا لم نعاصرها من ناحية ولتزعمها الحركة النسائية من جهة أخرى، ولأن ذلك الخطاب كان أول تجربة عالمية لها إذ بعد نجاحها الكبير فى هذا المؤتمر أصبح ذهابها إلى المؤتمرات العالمية والتى عقدت بأوروبا سنويًا تقريبًا أمرًا مفروغًا منه، وأصبح عملًا طبيعيًا دون ضجة حول تمثيلها مصر فى الخارج، أو مناقشة وجدال فى كفاءتها وقدرتها على تمثيل نساء مصر، وأنه لم يتضمن كتابًا عن المرأة المصرية أو هدى هذه الموضوعات.

والواقع أن الصحافة فى مصر وقادة الرأى فيها والذين كانوا يهاجمون ذهاب الوفد للخارج خشية فشل أعضائه والإساءة لسمعة مصر تبعًا لذلك، نجد أن كل هؤلاء يدهشون لما لاقاه الوفد من نجاح فى روما وإعجاب لكل وفود الدول الأخرى. وبالرغم من أن أعضاء الوفد لجأوا إلى عمل جرىء عند وصولهن إلى محطة العاصمة، ألا وهو خلعن الحجاب وسيرهن سافرات فى شوارع القاهرة، وكان لهذا العمل ضجة كبرى وأثر خطير على تاريخ الحجاب فى مصر . إذ أخذت المصريات فى تقليد أعضاء الوفد وبدأن فى خلع الحجاب وقلل من وقع هذا العمل على الجماهير المصرية، وما كان منتظرًا من عقاب[٢٠] وتعذيب لأولاء السافرات، النجاح الساحق الذى أحرزه الوفد النسائى المصرى والعائد إلى أرض الوطن سافرًا .

فقد انهمك الكتاب والشعراء وبعض الساسة في الترحيب بعودة الوفد لأرض الوطن والإشادة بنجاحه في مقالات عدة وفي قصائد كثيرة، منها ما قاله الشاعر أحمد الكاشف حيث قال في مطلع قصيدته:

هدى. سرت لأعيننا متعت ولا أذنا أحاديثك الحسنى ومطلعك الأسنى
ذكرت بك الزهراء وهى طغينة تحف قريش ركبها الطهر والطعنا

إلى أن يقول ...

رأيتك فى المحراب أنقى سريرة وأكبرت فى الميدان نساؤك والنسا
ولو كان فى واديك عشر عقائل مثلك صرفن الأمور ودبرن

ويختتم قصيدته الطويلة بقوله :

إذا عود الإنسان بيسراه مثلما تعودت اليمنى استوت هى واليمنى

ولم يمدح أعمال هدى شعراوى ومن معها الرجال فقط، بل لقد كان لنجاحها أن نظمت نساء العروبة القصائد أيضًا يتغنين بذاك النجاح وهاهى الفتاة العربية حنينة خورى بنيامين تقول فى قصيدتها عن هدى:

حى العلا والرشد والاحتراما حى الشعور الحى والإلهاما
حى الهدى آياته نزلت على شمس الهدى أنارت الأظلاما
حققت آمالنا بدت فى الشرق إذ أسمعت أهل الغرب عنه كلامًا
أدليت بالبرهان نساءه نهضت لتسمو فى الأنام مقاما
هبت نساء الغرب قاطبة إلى روما وسلت للنضال حساما
من مصر وأختها ذوات فضيلة ربات خدر قد أحطن لثاما
وكشفن سر مطالب حيوية أرواحنا تحيى لنا الأجساما
تهدى هدى خطواتهن إلى سنى مجد رفيع تحجب الأوهاما

ثم تخاطب حنينة مصر قائلة:

يا مصر يا مثوى السعادة والمنى كم نازل أبناؤك الأياما
وبنات مصر إلى العلا تطلعت وسعت وتوج سعيها إلهاما
فالعلم يعليه ويرفع شأنه وهو الذى قد أنجب الأعلاما

وتختتم قصيدتها قائلة...

أنت الهدى للسائرات وإننى لله قد بعثت تحية وسلاما
لازلت وطنًا للنساء موطدًا بل منهلا يروى ظمى وأوامى
الله يمنح سعيك السامى رضى حتى تنال العز والإكراما[٢١]

وكان مؤتمر روما النسائى الدولى فاتحة ذهاب نساء مصر للمؤتمرات الدولية، ففى سنة ١٩٢٤ دعيت هدى لحضور مؤتمر نسائى دولى آخر عقد فى مدينة «جراتس» بألمانيا، وطالبت هدى فى خطابها هناك بإلغاء بيوت البغاء من مصر، لأن وجود هذا العمل يسىء إلى مكانة مصر بين الدول الإسلامية، مع اقتراحها بإقامة هيئات تتولى تأهيل البغايا ليتمكن من إعالة أنفسهن من عمل شريف، وعقد فى باريس مؤتمر نسائى عالمى آخر ١٩٢٦ وحضرته هدى شعراوى ممثلة لنساء مصر، وعرضت هناك مطالب المرأة المصرية التى تنادى بتعديل قانون الأحوال الشخصية خاصة فيما يتصل بقضيتى الطلاق وتعدد الزوجات،

لأن الاتحاد النسائى كان قد أحرز نجاحًا جزئيًا سنة ١٩٢٥ بتحديد حد أدنى لسن زواج الفتاة بست عشرة سنة، وسن زواج الفتى بما لايقل عن ثمانى عشرة سنة وفى سنة ١٩٢٧ عقد مؤتمر نسائى فى مدينة أمستردام بهولندا وحضرته هدى شعراوى، وفى هذا المؤتمر طلبت رئيسة الاتحاد النسائى الدولى السيدة كوريت أشبى الإنجليزية الأصل، وكانت قد حلت فى رياسة الاتحاد الدولى محل الأمريكية كارى شابمان ١٩٢٣ فى روما عندما أيدت مؤسسة كارى رغبتها فى ترك رياسة الاتحاد ورشحت كوريت نفسها ونجحت، وفى إمستردام طلبت الرئيسة الحالية من هدى شعراوى ترشيح نفسها لوكالة الاتحاد الدولى النسائى ونجحت هدى فى منصب وكيلة الاتحاد. وظلت فى ذاك المنصب حتى وفاتها فى ديسمبر ١٩٤٧ ثم حلت محلها ١٩٥٥ فى منصب وكالة الاتحاد ناهد سرى، والتى كانت قد حلت محل هدى شعراوى فى رئاسة الاتحاد النسائى المصرى ١٩٥٤. وحلت محل ناهد سرى ١٩٦١ بهيجة رشيد بعد اعتذار ناهد عن ترشيح نفسها، فرشحت بهيجة ممثلة لنساء مصر فى مؤتمر دبلن ١٩٦١، وكانت رئيسة الوفد النسائى المصرى فى هذا المؤتمر .

ومنذ أول مؤتمر نسائى دولى يعقد ١٨٩٩ حتى الآن، والمرأة المصرية تحضر المؤتمرات المختلفة، وقد أحرزت ممثلاتنا فى هذه المؤتمرات الدولية نجاحًا كبيرًا بالرغم من التحديات والعوائق الداخلية والذاتية، وما يضعه أعداء تقدم مصر الحضارى والسياسى أمام ممثلاتنا، خاصة بعد قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ وخروج ممثلات لها إلى المجال النسائى الدولى، وأحب أن أشير للتاريخ أنه كان يوجد بعثات نسائية أخرى غير رسمية سافرت إلى الخارج وشرفت المرأة هناك، فقد أرسل محمد الشافعى مع البعثة الطبية سنة ١٨٣٢ إلى فرنسا واصطحب معه شقيقته منتهى الشافعى لولايته لأمرها وقد استطاعت تلك الفتاة المصرية الريفية أن تستوعب ما يدرسه شقيقها فى مدرسة الطب العليا بفرنسا، وعادت معه سنة ١٨٣٨ بعد ست سنوات وهى تحمل نفس الشهادة الجامعية فى الطب، التى حملها أعضاء البعثة الطبية الكبرى[٢٢]، ومما لاشك فيه أن هذا، لبرهان واضح على كفاءة المرأة المصرية ومقدرتها على إثبات وجودها خارج حدود

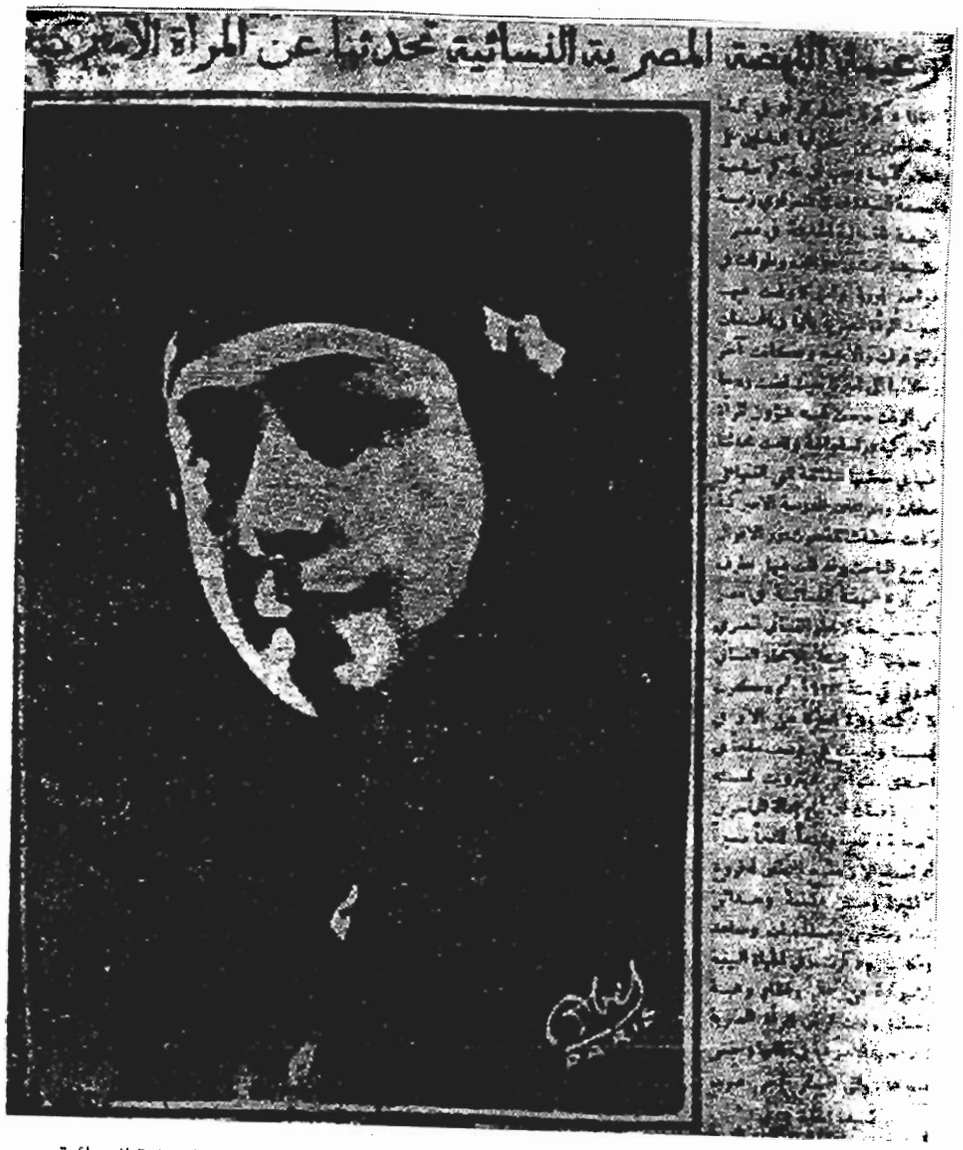

هدى شعراوى تتحدث عن مشاهداتها فى أمريكا بعد عودتها من أحد المؤتمرات الدولية النسائية

بلادها. وأقدر من مثلت المرأة المصرية فى المؤتمرات هما الكسندرا أفرينو وهدى شعراوى، ويكفى الأخيرة فخرًا أنها أول من رفعت صوتها وقدمت مذكرة ضافية مطالبة بإلغاء الامتيازات الأجنبية من البلاد المصرية وذلك فى مؤتمر برلين النسائى الدولى ١٩٢٩، وكان لقوة حجة ممثلة مصر هناك وإظهار الأخطار الجسيمة التى سببها تطبيق هذا النظام والذى جعل لرعايا بعض الدول الأجنبية امتيازات على أفراد الشعب المصرى صاحب البلاد. وقد أصدر مؤتمر برلين النسائى الدولى ١٩٢٩ استنكارًا لوجود هذا النظام الغريب بمصر، وكلفت كل ممثلة لأمة فى المؤتمر تبليغ حكومتها بإلغاء امتيازات رعايا كل منها قبل الرعايا المصريين فى أرض مصر. وأعادت الكرة هدى شعراوى فى المؤتمر الدولى النسائى الذى عقد فى مدينة اسطنبول بتركيا سنة ١٩٣٥، وهناك حصلت هدى على إجماع من وفود الدول بضرورة تنازل حكومات الدول عن امتيازاتها فى مصر وساعد ذلك الحكومة المصرية القائمة ١٩٣٧ وكانت برئاسة مصطفى النحاس فى مؤتمر مونتريه على إلغاء الامتيازات الأجنبية رسميًا من البلاد، وما ترتب على قيام هذا النظام الظالم البغيض من إجراءات مثل وجود المحاكم المختلطة التى ألغيت نهائيًا من مصر ١٩٤٩، وأرى أن أكتفى بهذا القدر من الحديث عن الحركة النسائية فى مجال المؤتمرات الخارجية وأرجو أن أكون قد أستطعت أن أعرض بوضوح وموضوعية الأسس التاريخية والقاعدة الخلفية لخروج حركتنا النسائية فى مؤتمرات الخارج.

وبالإضافة إلى المؤتمرات النسائية الدولية نجد عاملاً مساعدًا فى فتح نافذة للمجتمع النسائى الأجنبى على مجتمعنا النسائى داخل مصر ألا وهو إرسال البعثات العلمية من الفتيات لتلقى العلم بالمعاهد والجامعات الأجنبية. وقد أرسلت أول بعثة نسائية إلى الخارج ١٩٠٤ ووجهت بعثاتنا العلمية النسائية فى أول أمرها وقبل استقلال البلاد إلى إنجلترا وذلك؛ لأن المدرسة الوحيدة الخاصة لتأهيل الفتيات للتعليم العالى كانت المدرسة السنية، والتى كانت تمنح خريجاتها دبلوم المعلمات، وهو نتيجة لدراسة بالقسم العالى بالمدرسة لمدة ثلاث سنوات بعد الدراسة الابتدائية بالمدرسة، وتكون الفوج الأول من وفد من ضمنهن أمينة

المغربى، وفى سنة ١٩٠٦ سافرت ثانى بعثة نسائية إلى الخارج، وكان من بين أعضائها: أسما المهدى وزينب لبيب، وفى السنة التالية سافرت بعثة أخرى كان ضمن أعضائها فاطمة جمعة ثم توقفت إرسال البعثات إلى بريطانيا لمدة خمس سنوات لأسباب لم أستطع أن أصل إليها حتى كانت ١٩١٢ عندما استأنفت الوزارة إرسال بعثة أخرى وتكونت من سنية عزمى وإنصاف سرى وعزيزة خليفة وإميلى عبد المسيح وفتحية الصدر[٢٣].

ثم توقفت البعثات النسائية المصرية إلى الخارج حتى سنة ١٩٢٠ بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩١٤، وقد عبرت ممثلات هذه البعثة عن تطور جديد فى تفكيرهن لما اعترى الحياة النسائية فى مصر بما مر بهن من أحداث إبان ثورة سنة ١٩١٩ ومساهمة المرأة فيها، ومن هنا بدأ يحدث تذمر بين بعض أعضاء البعثة من حيث نوعية العلوم التى بعثت بهن الدولة من أجل تلقيها، فقد كانت المبعوثات يدرسن علوم التدبير المنزلى وتربية النشئ وعلوم التربية واللغات والرياضة، وذلك دون حصولهن على شهادات جامعية غير أنه خلال تلك البعثة والتى تكونت من: هيلانه سيداروس وعلية عبد الكريم وفاطمة فهمى وزينب الحكيم وزكية عبد الحميدى ومنيرة حمدى ورفضت هيلانة الاستمرار فى دراسة علوم التربية بعد استمرارها فيها لمدة ستة أشهر وطلبت الالتحاق بكلية الطب...

وفى ذلك الوقت كانت زوجة كتشنر تفكر فى إنشاء مستشفى للولادة بحى شبرا لعلاج الأهالى تخليدًا لذكرى كتشنر، وحتى يقترب رجال الاستعمار من قلوب الشعب خاصة بعد أحداث ثورة ١٩١٩ المثيرة وتذمر الشعب من الاستعمار وأعماله، ومن هنا كان لابد من إرسال بعثة نسائية تدرس الطب فى بريطانيا حتى يتولى أعضاؤها العمل بالمستشفى بعد عودتهن من إنجلترا، لذا سافرت البعثة الطبية النسائية الأولى إلى لندن سنة ١٩٢٢ وتكونت من كل من: كوكب حفنى ناصف وتوحيدة عبدالرحمن وحبيبة عويس وفتحية حامد وأنيسة ناجى وأزهار محمد وانضمت إليهن فى إنجلترا هيلانة سيداروس[٢٤]، وفى سنة ١٩٢٦ سافرت أكبر بعثة نسائية دراسية لإتمام علومها فى الخارج وتكونت هذه البعثة

من ٥٠ فتاة منهن فتحية سليمان وكريمة السعيد ونظلة الحكيم ومنيرة صادق وزينب كامل وإقبال حجازى وأسما فهمى وسعاد فريد وصوفى البياضى وفاطمة فتحى ونظيرة نقولا، ثم توالت بعد ذلك البعثات النسائية العلمية إلى أوروبا وأمريكا.

وأعتقد أن المؤتمرات النسائية المصرية للخارج والبعثات العلمية النسائية هما المظران البارزان للحركة النسائية فى المجال الخارجى، وكان لهما أثر كبير فى تغيير نظرة مجتمعات الغرب إلى المرأة المصرية، فقد كانت المرأة الأوروبية تعتقد أن المرأة المصرية مازالت تعيش فى مجتمع يشبه إلى حد كبير ما قبل التاريخ، إذ كانت المرأة الأوروبية تبدى عجبها المَمزوج بالدهشة لرؤيتها فتياتنا المبعوثات فى إنجلترا يرتدين مثل النساء فى أوروبا، وكانت تصيح فى دهشة فى وجوه الفتاة المصرية. أحقًا عندكن أحذية مثل البشر؟!! وتعرفن كيف تلبسنها؟!!... وغير ذلك من أسئلة عجيبة[٢٥].

كما كان لسفر هدى شعراوى ونبوية موسى سنة ١٩٢٣ واتصالهما بالوفود النسائية الأخرى فى المؤتمر النسائى الدولى بروما، وسلوكهما المشرف هناك له أكبر الأثر فى كسب عطف الدول المشتركة فى المؤتمر على قضية مصر ضد الاحتلال الإنجليزى، وتفهم وضع المرأة الحقيقى فى المجتمع المصرى الإسلامى، وما كانت نساء العالم وشعوبه تعرف عنا شيئًا يذكر وتقول مالاثير سيليه نائبة رئيسة الاتحاد الدولى فى رثائها لهدى شعراوى: «إن هدى قد فتحت لنا أبواب عالم مجهول منا، وهو عالم غنى إلى أقصى حد بتقاليده الموروثة، ولعلنا عندما فتحت لنا أبواب هذا الشرق أصبحنا ندرك الكثير مما فات جمعيتنا معرفته إلى الآن»[٢٦].

ومما تقدم يتضح لنا أثر الحركة النسائية فى المجال الدولى وكيف أدى حسن تمثيلنا بالخارج، إلى إعلام العالم بحقيقة وضعنا فى الحاضر ودورنا فى الماضى من أجل تقدم الحضارة الإنسانية، وذلك عن طريق فتيات مصريات عرفن خطورة المهام التى أوكلت إليهن أو تتطوعن بحمل عبئها، وتمكن بذلك من فتح أبواب خارجية لجيلنا والأجيال القادمة كانت موصدة، كما استطعن أن يعكسن

الحياة المصرية فى مظهر مشرف فى الخارج لا كما هى فى الواقع فحسب بل كما يجب أن تكون، ومن ثم كن وسائل إعلامية ناجحة عبرت عن نساء مصر، بل والمجتمع العربى كافة فى وقت كانت وسائل الاتصال بالجماهير تحبو فى مهدها، بدليل سفر العديدات إلى الخارج فى مؤتمرات دولية أو بعثات علمية أو مهام رسمية أو خاصة، وعودتهن دون أن يعلمن شيئًا يذكر من أجل الدفاع عن بلادنا بمثل ما فعلته هدى شعراوى ونبوية موسى مثلًا، وانظر هنا فيما قالته أعضاء الوفد الإنجليزى فى مؤتمر روما سنة ١٩٢٣ لهدى شعراوى وهن مندهشات عند رؤيتهن للوفد المصرى: «إنكن لستن بمصريات» فأجابتهن هدى: «ولم؟» فقلن: «لأن لكن وجوهًا مثل وجوهنا»[٢٧].

وأرجو أن تكون هذه الكلمات قادرة على رسم صورة واضحة للفرق الشاسع للتطور الذى حدث للرأى العام العالمى تجاه حقيقة المرأة المصرية ووضعها الإنسانى فى بلد كان فى يوم ما موطنًا للحضارة الإنسانية منذ كان التاريخ البشرى وليدًا إلى أن صارت المرأة المصرية الآن منارة للعلم فى عديد من جامعات العالم خاصة فى أوروبا وأمريكا، فلدينا سيدات يحملن أعلى الدرجات العلمية ويقفن بين طلبة الجامعات فى دول أجنبية يحاضرن علماء المستقبل فى تلك الدول فى علوم حديثة شتى يكافح الرجال للوصول إليها، وانظر معى إلى الكراسى العلمية التى تحتلها الدكتورة عائشة عبد الرحمن مثلًا، أو التى احتلتها المرحومة الدكتورة سميرة موسى[٢٨]. وغيرهن فى الجامعات الأجنبية أو قاعات البحث فى أوروبا والخارج، التى يضيئها إنتاج علمى متطور لباحثات مصريات ويكافحن من أجل استمرار المسيرة الحضارية للمرأة المصرية فى موكب العلم على طريق الوجود الإنسانى فى هذا الكوكب الأرضى، وهذه بلا شك صفحة مشرفة لحركتنا النسائية المعاصرة فى المجال الدولى.

هوامش الفصل التاسع

(١) أنيس الجليس ـ العدد الأول ـ السنة الثالثة ص ١١ يناير سنة ١٩٠٠.

(٢) أنيس الجليس ـ العدد ٨ السنة الثانية ص ٣٨٩ أغسطس ١٨٩٩.

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر فى ذلك مجلة أنيس الجليس ـ العدد ١٢ السنة الثامنة ديسمبر سنة ١٨٩٩.

(٥) الكسندرا أفرينو ـ مجلة أنيس الجليس ـ العدد الرابع السنة الثالثة. ص ٥٢ إبريل سنة ١٩٠٠.

(٦) كان بودى آن آت بصورة فوتوغرافية لأحد أغلفة أنيس الجليس غير أن رداءة الأفلام التى تستخدم فى دار الكتب الآن حال دون ذلك، ولم أستطع خارجها لأن هذه المجلات تعتبر من الوثائق التاريخية.

(٧) تقصد مصر.

(٨) المرجع السابق.

(٩) الكسندرا هى فتاة لبنانية جاءت إلى مصر طفلة فى الربع الأخير من القرن الماضى وسأتناول ترجمة حياتها فى كتاب التراجم النسائية إن شاء الله.

(١٠) بلسم عبد الملك مجلة المرأة المصرية العدد ٥٠ السنة الرابعة ص ٢٤٣ سنة ١٩٢٣.

(١١) أخبرتنى المرحومة جميلة عطية أن هدى أسهمت ماديًا فى إصدار هذه المجلة وأيد هذا القول السيد/على محمد ندا أحد محررى المجلة وصديق بلسم الحميم.

(١٢) يقصد بالمؤتمر الشرقى مؤتمر عربى؛ لأن كلمة الشرق تعنى فى أذهان السيدات وقتذاك الشرق العربى.

(١٣) المرجع السابق ص ٣٤٧.

(١٤) يقصد خروجها على رأس المظاهرة النسائية فى مارس سنة ١٩١٩.

(١٥) الوثائق الرسمية الخاصة بهدى شعراوى والاتحاد النسائى وارجع أيضًا إلى الصحف النسائية لمايو سنة ١٩٠٣.

(١٦) كوربت هى السيدة التى كانت رئيسة الاتحاد النسائى الدولى حينذاك.

(١٧) المراجع السابقة .

(١٨) استطاعت نبوية موسى أن تحصل على شهادة: البكالوريا سنة ١٩٠٧ من منزلها؛ لأنه لم يكن هناك قانون يحرم على الفتاة التقدم لنيلها لعدم وجود هذه الفتاة، أما بعد نجاح نبوية شجع هذا فتيات آخريات وخشيت الحكومة هذا الموضوع فحرمته.

(١٩) الوثائق التاريخية بنشاط هدى شعراوى، والتى كانت محفوظة بدار الاتحاد النسائى المصرى، وأيضًا الصحف النسائية فى النصف الأول من العشرينيات.

(٢٠) حدث فى بداية العشرينيات أن خرجت سيدة سافرة الوجه فقبض عليها واتهمت بالجنون وسجنت فى إحدى المصحات العقلية حتى ماتت فى ١٩٤٦ بالرغم من انتشار السفور وقتذاك.

(٢١) مجلة السيدات ـ العدد ٩ ـ السنة الرابعة ص ٥٢٧ يوليو ١٩٢٣.

(٢٢) ارجع فى ذلك إلى زينب فريد ـ تعليم البنت فى مصر ـ رسالة ماجستير جامعة عين شمس سنة ١٩٦٠.

(٢٣) من حديث مع السيدة خيرية الملاح.

(٢٤) من حديث خاص مع الدكتورة هيلانة سيداروس والسيدة كريمة السعيد يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٧١. وللاستزادة انظر التعليم فى مصر: عزت عبدالكريم القاهرة سنة ١٩٣٨، وكذلك عمر طوسون البعثات العلمية فى عهد محمد على سنة ١٩٣٤ وأشير إلى صعوبة العثور على مراجع واضحة عن هذه البعثات النسائية العلمية وندرتها لكبر سن الباقيات على قيد الحياة منهن.

(٢٥) من حديث مع د. هيلانة سيداروس.

(٢٦) مدام مالاثير سيليه من خطاب ألقته فى حفل تأبين هدى شعراوى بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ نيابة عن الاتحاد النسائى الدولى.

(٢٧) صحيفة الزمان الصادرة بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٤٨ بمناسبة مضى الأربعين لوفاة هدى شعراوى.

(٢٨) كانت المرحومة د. سميرة موسى أول عالمة مصرية فى الذرة، دعتها حكومة الولايات المتحدة للقيام بأبحاث فى هذا المجال عندها، وتوفيت فى حادثة سيارة هناك. ويقال إنها قد وصلت إلى علوم فى أبحاثها خطيرة، خشى بعض أعوان إسرائيل هناك من معرفة مصريها، فدبرت لها حادثة سيارة توفيت على أثرها.

الفصل العاشر

على هامش الحركة النسائية

مر بنا فى هذا الكتاب الدور العظيم الذى قامت به المرأة المصرية عبر القرون سلسلة من العمل المضنى والكفاح الشاق من أجل تقدم مصر والوطن العربى واستمرار مشعل الحضارة لينيرهما، وشهدنا كيف أن هذا النشاط الخلاّق كان يعتريه سحب سوداء أتى بها الاحتلال الأجنبى، ليمطر البلاد بكثير من الأضرار والمآسى وبألوان متعددة من الشقاء، وأغلب هذا كله كان يقع على كاهل المرأة، لأنها التى تعانى من نقص وسائل المعيشة وقلة القوت، وتقاسى من الثكل واليتم والترمل وغياب الابن والزوج والوالد.

وإلى جانب ما قاسته المرأة عندنا من استبداد للمحتل، قاست أيضًا من ظلم المجتمع لها إبان عصور تأخره وتدهور القيم الإنسانية فيه، فكم من زوج وقتذاك طلب من زوجته التنازل عن وليدتها الأنثى، لأنه لا يريد أن تحمل اسمه أنثى مهما كانت، وكم من فتاة سجنت داخل جدران المنزل الأربعة منذ ولادتها حتى لحدها لاتعرف عن العالم خارج نطاق المنزل شيئًا إلا أنه ملك للفتى يتمتع به كيف شاء، وغير ذلك من صور قاتمة عاشتها الفتاة قبل النصف الأول من القرن الحالى، وقد لاتتخيلها ابنة هذا الجيل بعد أن خرجت إلى الحياة فوجدتها ممهدة بكفاح مرير من رائدات مجالات الإصلاح الاجتماعى ورواده، ورائدات مجالات التعليم النسائى والأعمال العامة خارج نطاق العمل المنزلى من ناحية وخارج نطاق الأماكن التقليدية، التى خصصت للمرأة حتى بعد تخرجها من الجامعة، إذ اعتبرت مهنتى التدريس والطب من اختصاص المتعلمات والراغبات فى التوظف، يقمن بهما للفتيات الراغبات فى التعليم أو للنساء التى يرغبن فى العلاج، وتقول

علية إسماعيل أول من عملت فى مجال الاقتصاد وتؤيدها حكمت أبو العينين أول من عينت بوزارة العدل إن التى كانت تريد اقتحام مجال عملى نسائى جديد لأول مرة كانت تعانى من المعارضين والمتربصين والشامتين والحاقدين والمستهزئين، فضلاً عن مضايقات الرؤساء والزملاء والزميلات بالنسبة لعليه، لأنهن كن من الأجنبيات اللائى صممن على إجبارها على الهروب من هذا العمل، خشية أن يشجع نجاحها فيه غيرها من فتيات مصر فيسعين للعمل مثلها فى المؤسسات الاقتصادية، وهذا يؤثر بالتالى على احتكار الأجنبيات للعمل فى هذا الميدان، وعلى سياسة الدول الأجنبية التى تملك المؤسسات والشركات، وهدف هؤلاء جميعًا بالطبع استقلال مصر والسيطرة على اقتصادياتها، كما أن دخول الفتاة المصرية مجال الأعمال الحرة سيؤدى إلى تطور المجتمع المصرى وتقدمه، وهذا ما لا ترضاه الدول الأجنبية لمصر.

ولقد رأينا فى هذا الكتاب تطور عمل المرأة خارج نطاق عملها المنزلى، وكيف أنها عملت فى أول الأمر فى مهن تقترب من طبيعة المرأة كأنثى وأم، حتى اللائى تخرجن فى كلية العلوم فى أول عهد المرأة بها، وكلية الحقوق عملن فى وزارة المعارف - التربية والتعليم الآن - كمدرسات للعلوم وكمحققات فى الإدارة القانونية بها، واللائى خرجن عن هذا من خريجات الحقوق وعملن فى المحاماة، تعرضن للهجوم الشديد وأصبح عملهن هذا قضية اجتماعية مر بنا بعضًا منها، وهكذا بينت لنا الفصول السابقة من هذا الكتاب كيف كانت الأصوات ترتفع بالمعارضة والسباب أحيانًا كثيرة، عندما كانت المرأة تخطو بمقدراتها على هذه الأرض خطوات إلى الأمام، لتسطيع أن تساهم بقدر أكبر فى تطور عجلة التقدم فى بلادنا لتساعد فى إعادة مجد مصر الحضارى القديم، فقد حدثتنا الأسطر الماضية كيف إن عرش مصر اعتلته أكثر من ٢٠ ملكة متوجة وغير متوجة، استطعن أن يدبرن أمور السياسة بنجاح فى الوقت المبكر من تاريخ السياسة فى العالم، ونجحن فى المحافظة على استقلال مصر خارجيًا وتماسكها داخليًا، وخير أمثلة على ذلك الملكة «حتشبسوت» والملكة غير المتوجه «تاى». ويمضى بنا الكتاب مع رحلة المرأة على أرض مصر، لنرى كيف أن الاستعمار الأجنبى منذ أن ابتليت

بلادنا به خاصة من أصابها على يد البطالمة سنة ٣٣٢ ق.م الذى عمل على عزل المرأة عن مسرح الحياة العامة ليسهل له حكم البلاد ويطيب له احتلالها واستنزاف خيراتها إلى ما شاء الله، ويشعّ نور الإسلام على مصر من الشرق، فتسرع المرأة المصرية إلى اعتناقه وحمل رسالته بكل ماعرف عنها من أمانة وصدق وذكاء، وما دخول شعب مصر فى دين الإسلام بتلك السرعة وبذاك النجاح إلا بفضل فهم نساء مصر له وإيمانهن به كمخلص للبشرية من مساوئ التفرقة العنصرية والاستغلال ومظالم الرومان وفسادهم.

وحكم مصر إبان التاريخ الإسلامى بعض الدخلاء على هذا الدين وتعاليمه وفسروا بعضها كما أملته عليهم شهواتهم، وانتشرت فى البلاد مفاسد خطيرة تحط من قدر المجتمع، ولقد عارضت تلك المفاسد المرأة المصرية فى كل مناسبة وفى كل وقت حتى نجحت فى القضاء عليها، ومن هذه المفاسد أسواق الرقيق التى كانت تقام فى البلاد ولابد أن نشير هنا إلى أن المرأة المصرية استطاعت المحافظة على مكانتها الإنسانية وعلى حريتها وكرامتها إبان عهود الظلام الاجتماعى التى سادت البلاد ردحًا من الزمن، فلم يعرف عن مصرية بيعت فى سوق رقيق أو تعاملت مع هذه الأسواق بأى شكل من الأشكال. وقد ساهمت المرأة المصرية عبر عصور التاريخ فى المجالات التجارية والاقتصادية والزراعية للبلاد مما مكن الجذور الحضارية والثقافية لأن تبقى عندنا على مر الزمن إن شاء الله.

وفى سنة ١٧٩٨ رأت المرأة عندنا نافذة على نساء العالم بقدوم الحملة الفرنسية، ومعها نسوة من أوروبا حملن معهن قيما وتقاليد ومفاهيم تمثل الطيب والغث من المثل الأخلاقية، وهدت الأصالة المصرية العميقة فى جذور المرأة إلى أخذ الطيب عن أولاء الأجنبيات إذ اشتركت المصريات فى الشئون السياسية بالتظاهر ضد مفاسد الحكم التركى، وساعدت المرأة المصرية الرجل على التخلص من ظلم الأتراك، وأبرز مثل على ذلك خروج نساء باب الشعرية وبولاق للمعترك السياسى عندما لم يستطع الرجل المطالبة بخلع الحاكم، لاعتداء جند الأتراك عليه بالضرب والجلد والقتل، وما كان فى وسعهم أن يفعلوا ذلك مع

النساء لحماية الدين الإسلامى لحرمة المرأة، ولم يقدر إنسان أن يخرج عل تعاليم الدين وقوانينه جهرًا، خاصة باسم حاكم مسلم مهما كان جبروته.

ويمضى موكب الحضارة على أرض مصر ويخرج أبناء لها إلى أوروبا ليتزودوا بعلوم حديثة ويعودون ومعهم بذور أفكار جديدة تدعو إلى تعليم المرأة وعملها تبعًا لقدرتها على استيعاب العلوم المختلفة، ويؤمن بهذه الأفكار أخوات لنا يجيئون من المشرق العربى ويعملون على نموها ونذكر هنا أن بنات الشام لم يشعرن فى يوم من الأيام أنهن مقيمات فى بلد غريب عن سوريا ولبنان وفلسطين، بل كن دائمًا يطلقن على أنفسهن والمصريات «بالوطنيات» «ونساء الشرق» للتفرقة بينهن والأجنبيات والدليل على ذلك أنصهارهن فى الحياة المصرية واندماجهن تمامًا فيها وحماسهن البالغ فى الدفاع عن المرأة المصرية وعملهن على تقدمها، ومعنى ذلك أن ابنة سوريا تعاونت وابنة مصر فى أواخر القرن الماضى على تقدم المرأة العربية بالرغم من قدوم الاحتلال الأوروبى إلى بلادنا وفصله بين أبناء الوطن العربى الواحد فقد طالبتا بالتعليم وبالعمل للمرأة لتصل إلى المستوى اللائق بإنسانة ولدت الحضارة البشرية بين يديها، كما تعاونتا فى الدفاع عنها بالرد على المعارضين لتطور المرأة ولقد أدى كل ذلك إلى خلق رأى عام عربى قوى آمن بضرورة تغيير وضع المرأة، فى المجتمع. وظهر عدة مظاهر لهذا التغيير مثل انتشار تعليمها ونجاحها فى دوريه، وذلك لأنها وجدت فى التعليم توكيدًا لشخصيتها وتعبيرًا عن ذاتها وما تملكه من إمكانيات إنسانية خلاقة مما مكنها من القدرة على البحث عن الأعمال المناسبة والتمسك بها والعمل على الارتقاء المهنى والفنى فيها.

وتمضى رحلة المرأة العربية على أرض مصر ونصل معها إلى بداية العشرينيات وتكون قد اشتركت بكافة طبقاتها فى النشاط السياسى الدامى الذى خيم على سماء مصر منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ فقد كان اشتراكها فى الحركات السياسية وثوراتها تعبيرًا عما تشعر به من ظلم ومعاناة من كبت وفقر ويتم وثكل، ولكى تتخلص من هذا كله خرجت من منزلها هاتفة بسقوط المحتل الذى سبب لها هذا الظلم وتلك المعاناة والذى دنث وجوده شرفها وشرف

بلادها ومن هنا شاركت الرجل فى كفاحه للقضاء على الاحتلال البريطانى وإجلائه عن أرضنا، وفى سبيل ذلك سقطت شهيدة فى الطرقات وروت بدمائها ثرى مصر وهى التى لم تكن تعرف لمنزلها بابًا خارجيًا يؤدى إلى الطريق، وسكتت الحركات السياسية لظهور شبه استقلال على مسرح الحياة المصرية، ولكى تأمن المرأة المصرية على استقلال البلاد ورخائها طالبت بدخول البرلمان، وزادت المطالبة بعد بداية الثلاثينيات لظهور باكورة التعليم الجامعى بين النساء، وبمرور الأيام ازداد عدد المتعلمات وتبع ذلك ارتفاع أصوات المطالبات بما أطلقوا عليه الحقوق السياسية للمرأة وتنوعت تلك الأصوات واختلفت وتعددت وسائل المطالبة كما بينه لنا الفصل السابع، بيد أن تلك الأصوات سكتت تمامًا عندما أتى العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦؛ لأن المرأة المصرية وجدت الخطر يحدق بوطنها وبدون تفكير تخلت عن مطالبها الشخصية وألقت بنفسها وبوليدها فى أتون المعركة واشتركت فى ميادينها المختلفة بكل ما تملك من إمكانيات مادية ومعنوية وكانت النتيجة كما رأينا فشل هذا العدوان ومقوماته، وفى بداية سنة ١٩٥٧ حصلت المرأة على حقوقها فى مجال الانتخاب والتمثيل فى مجالس الإدارات فى المؤسسات والمجالس النقابية والمهنية المختلفة وذلك اعترافًا من الدولة بكفاحها مع الرجل فى دروب الحياة بأنواعها، وفتح المجلس التشريعى الأعلى فى البلاد ذراعيه للمرأة حيث لا تخلو بعض مقاعده منها منذ ذلك الحين وإذا كنا لا نريد أن نقول بفشل التجربة فإننا لا يمكن أن نقول بنجاحها ونحن نؤرخ موضوعيًا للحركة النسائية فتجربة دخول المرأة البرلمان المصرى والحياة النيابية حتى السبعينيات لم تكن تعبيرًا عن الجهود المضنية التى بذلت من أجل ولوجها ولا عن الكفاح الدامى للحياة النسائية على هذه الأرض، لأن من ضمهن هذا المكان لم يستطعن رسم بصمات تعبر عن تاريخ النساء أو تاريخ الشعب المصرى ككل وقد يقول قائل وماذا تستطيع أن تفعله قلة نسائية إلى جانب عدد ضخم من الرجال بالإضافة إلى عدم تجاربهن وقلة خبرتهن وأقول: إن التجارب النسائية العملية التى تركتها لنا نساء مصر فى نهاية القرن ١٨ وبداية القرنين ١٩، ٢٠ وهن غير مسلحات إلا بالإيمان بقضيتهن والانتصار لبلادهن والدفاع عن الشعب لخير مثل لنا نحن نساء اليوم على نجاح المصرية مجال السياسة.

ومهما يكن من شىء فقد عاشت المرأة المصرية خلال الربع قرن الأخير فى حياة فردية، بمعنى أنها كانت تتلمس القيادة النسائية الواعية فلا تجدها لانصراف المتصدرات للحركة النسائية إلى مطالبهن الذاتية ومن ثم خاضت كل امرأة منا معركة حياتها بمفردها دون مساعدة من أحد أو رسم لخريطة قومية نسائية تحدد لنا أهداف المسيرة الحضارية وطريقها الصحيح لنصل بمصر والوطن العربى إلى مكان مناسب بين الدول المتقدمة إن بعضنا أمثلة فردية حية وناضجة لتقدم الحركة النسائية عندنا، ولو وجدن الإطار القيادى الذى يضم نشاطهن لكن قوة هائلة تعيد لمصر وللعروبة مجدها وتعينهما على تحقيق أهدافهما فى كافة المجالات، وقد تكون أهم سمات الحركة النسائية فى وقتنا الحالى هى الكفاءة الفردية فى الميادين العلمية والإدارية والفنية والاقتصادية والصناعية والتى تسعى جاهدة للتجمع تحت قيادة نسائية جادة على قدر من الوعى والفهم، لوضع المرأة ومسيرتها التاريخية فى هذه المنطقة وعلى قدر أيضًا من الموضوعية وإنكار الذات واتصاف بالعطاء دون انتظار لأخذ مقابل، أو جزاء لأن المرأة كما تقول د. هدى بدران[1] «ظلت سنوات عدة تطالب بحقوق، ولقد آن الأوان لأن تمنح وتؤكد قدرتها على العطاء لمجتمعها».

وقد يتبادر إلى الأذهان بعد هذه الرحلة التى قطعتها فى هذا الكتاب مع المرأة العربية فى مصر أن تسأل ترى ما السمات البارزة لحركتنا النسائية المعاصرة وما مستقبلها بعد أن عرفنا ماضيها؟، أما عن السمات البارزة فأعتقد أننى قد أشرت إليها منذ قليل وهى الفردية النسائية التى تعبر عنها الكثيرات فكم منا من تصور بمفردها حركة نسائية متقدمة وناجحة، فالباحثة فى المعامل العلمية والتى تقضى أغلب ساعات النهار والليل دون الخروج من صومعتها العلمية حتى لضرورة لها ومتغاضية عن متطلبات الحياة العادية التى يتمتع بها العامة من الناس، فضلا عن الخاصة، والفتاة التى على كتفيها الصغيرين عبء إعالة أسرة بأكملها دون شكوى أو تذمر، والتى تقضى ساعات العمل يوميًا أمام الآلة فى المصنع ثم تخرج لتقوم بأعمال المنزل وشئون الأولاد، أو تستذكر علوم حديثة لترفع من مستواها العلمى والثقافى، وغير ذلك من أمثلة عديدة تصور كل منها

بحق حركة ونهضة نسائية متطورة ولا ينقصها لكى تصنع المعجزات إلا التجمع حول هدف واحد، ويؤكد هذا القول ماحدث فى معركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إذ عندما نادى داعى الوطن إلى العمل الجاد هبت جميع فئات النساء وأعطين بسخاء دون نداء من أحد أو وعد لجزاء إلا جزاء الله، لقد قدمت المرأة المصرية لبلادها فلذة كبدها وهو أغلى ما تملك وتبرعت بدمها وبوقتها وبمالها وبكل ماشعرت بأنه يفيد البلاد أو تحتاجه مصر، وهذا يؤكد قول د. هدى بدران لى قبل نشوب المعركة بعدة أيام عند سؤالها عن سمات الحركة النسائية المعاصرة من أنه : «لابد من ربط الحركة النسائية المعاصرة بقضايا البلد الحالية ليوجد الهدف المحدد أمام المرأة؛ لأنه لا يمكن القول أن هناك حركة نسائية حقيقية هادفة فى الوقت الحاضر، فليست هناك وضوح لأهداف معينة تريد المرأة أن تحققها وبالتالى أية خطة لايوجد تنسيق لها بين الجهود المتفرقة التى تبذل من وقت لآخر لن تنجح» إذًا من أهم سمات الحركة النسائية الحاضرة البحث عن القيادات النسائية القادرة على تجميع الجهود النسائية المبعثرة حول هدف محدد وحيث تجد فيها كل منا تكملة لنشاطها الذاتى فى مجال هذه الحركة.

ولكن كيف الوصول إلى هذه القيادات؟ أو كيف اكتشافها؟ تقول بهيرة مختار[2] «إننا لكى نكتشف قيادات نسائية قادرة على تحقيق ما نريد، لابد من الصعود من أسفل السلم النسائى فى البلاد أى نتيح لنساء القرى والريف والمدن الصغيرة الظهور على مسرح الحركة النسائية، ولا أعنى هنا من لا تعرف القراءة ولا تعلم من أمور الحياة الحديثة شيئًا، فالمرأة المنحدرة من القرية أو الريف وحصلت على درجات علمية كبيرة أقدر على التعبير عن مطالب أختها الريفية وتصوير وضعها وبيئتها وذلك بحكم مولدها وتربيتها الأولى، كذلك لا نستطيع أن ننكر أنها تستطيع التعبير عن مطالب المرأة ساكنة المدن الكبرى واحتياجات الأمة كلها لما وصلت إليه من ثقافة ولما تتمتع به من مقدرة على الإلمام بحقائق مايقع تحت بصرها وفكرها» وتضيف بهيرة : «إن حركتنا النسائية لكى تساير العصر لابد من تجديد عقلها المفكر ويدها العاملة؛ لأنه إذا كانت هذه الحركة قد نجحت فى الماضى على أيدى أشخاص عملوا فى حقل الخدمة الاجتماعية ثم بدأت

تذبل عندما دخل العاملون فى ذاك الحقل إلى المجال السياسى عن طريق الخدمات الاجتماعية فذلك؛ لأن مفاهيم العمل السياسى وأسسه بعيدة كل البعد عن مفاهيم العمل الاجتماعى ومقوماته، والدليل على ذلك دوران الحركة النسائية الحاضرة حول نفسها، أو بمعنى أوضح إنها تدور من الأمام إلى الخلف، فالعقول التى تديرها الآن ١٩٧٣ كانت تديرها منذ خمسة عشر عامًا بنفس الأفكار وبنفس الخطوات العملية وكأن ساعة الزمن وقفت جامدة وغير قادرة على الحركة» وأوافق بهيرة على هذا الرأى إذ أن بعض مظاهر الصحة التى تظهر على وجه حركتنا النسائية لمساهمة بعض الشخصيات النسائية الرسمية فيها لا تعتبر من صميم استمرار تقدم الحركة وذلك للقيود الرسمية التى تحد من حرية تنقلها بين فئات النساء وتجمعاتهن، والحركة النسائية كما تقول بهيرة: «لابد من اعتمادها على أشخاص قادرين على الاندماج فى التجمعات النسائية المتعددة ابتداء من المدرسة والحقل والمصنع حتى الجامعة؛ لأن هذه التجمعات منبع الحركة النسائية الشابة ومتطلبات المرأة فى المستقبل، ولكى نخرج الحركة عن جمودها الحالى والتى تنحصر فى اجتماعات ومؤتمرات وتوصيات بلا متابعة لتنفيذها لأننى أعتقد أن العناصر النسائية المتعلمة والمثقفة الجديدة تعيش على مسرح الحركة النسائية كوبارس»، وتجيب بهيرة على سؤالى ترى ما الوسيلة لإحياء الحركة النسائية والعمل على تقدمها بأن : «ذلك يتوقف على قيام التنظيم النسائى وخروجه إلى الحياة النسائية على أن يرتبط بتنظيم الشابات من ناحية عمق الإدراك العلمى والتاريخى لنوعية المرأة والفتاة عندنا واحتياجاتهما، وأن ترنو القائمات عليه إلى الصعود فى طائرة لاكتشاف محتويات الفضاء بدلا من التطلع إلى محتويات شارع الشوارب[٣] وأن يحاولن انتزاع الحجاب السميك الذى يخفى العلوم الحديثة والتطور العالمى عن عقل المرأة ونظرها بمثل مانجحت أمهاتنا فى نزعه عن وجوههن وأن نحاول رد الجميل التى صنعته المرأة الريفية فى الوطن العربى للبشرية بالارتقاء بها فإننا نشعر بأننا نحن المتعلمات نقف فى مراكزنا الثقافية على جماجمها».

وما تقوله هنا بهيرة يقودنا إلى التحدث عن مجالات الحركة النسائية تجاه المجتمع وهى كما يبدو لى محاولة تجمع النساء الآن والذى نتج عن معركتنا فى ٦

أكتوبر للمشاركة الفعالة فى تعمير البلاد المصرية، ولن ينجح هذا التعمير إلا إذا آمنت المرأة المصرية بفائدة الحياة فى الأماكن الصحراوية والأماكن التى تبحث عن استصلاح وتعمير ونظافة وتجديد و... إلخ إن المرأة التى أعطت أغلى ما تملك لمصر دون أن تشكو أو تتذمر أو دون مقابل لقادرة على منح مصر التشييد والبناء وهما أقل بكثير من التضحية بالولد والأهل. ومن المجالات الحيوية النسائية المهمة مجال التوعية الصحيحة عن مقومات حياتنا ومايدور حولنا من مفاهيم وقيم جديدة ويقوم نجاح هذه التوعية على أكتاف أجهزة الإعلام المدركة لاحتياجات البلاد ودور المرأة فى تلبية هذه الاحتياجات لأنه: «ليس من المقبول أن نلاحظ ونلمس أن أجهزة الإعلام لا تزال تخاطب المرأة وتتعامل معها من زاوية إنها امرأة، لا من زاوية إنها مواطنة وكل ما يقدم لها من مواد يدور فى إطار وظيفتها كامرأة لا دورها كمواطنة»[٤].

وخذ مثلاً المعنى الحقيقى للاشتراكية ومفاهيمها لاتزال غامضة عند الكثيرين ومن هنا يجب أن تبين أجهزتنا الإعلامية كيف أن الاشتراكية هى العمل الجاد والمتقن واحترام ملكية الغير وحبهم لا الحقد عليهم وهى بذل الجهد والاطلاع المستمر وزيادة قدراتنا المهنية، لا التربص لغيرنا من العاملين للاستيلاء على نتاج كفاحهم وكدهم ليأخذه المتسكعون على أرصفة الحياة. إن الاشتراكية هى المحافظة على أموال الدولة؛ لأن الدولة ليست عدوًا للشعب بل هى المصلحة الكبرى له وخلاصة كفاح مرير لأجدادنا وحصاد أجيال مضت، ورصيد من أعمال بناءة لأجيال تجىء والاشتراكية أيضًا كل عمل بناء، فهى غرس الأشجار وإصلاح الطرقات، ولايستطيع أن يثبت دعائم الاشتراكية الحقيقية إلا المرأة لما فى طبيعتها من قوة التعبير والقدرة على الاحتمال والصبر والصمود.

إن من أهم مظاهر تطور المجتمع عندنا أن أصبحت أغلب النساء القادرات على التعبير عن الحركة النسائية والمساهمة فيها يعملن ليعلن أنفسهن وذلك طبقًا لتطور المجتمع والمفاهيم الاقتصادية الجديدة التى تأبى على الإنسان الناضج والذى يواكب زمانه وعصره أن يكون عالة على غيره، ولقد كانت القيادات النسائية فى الماضى تعتمد على إرث أو مال من أهل أو إعالة رجل لهن، ومن ثم

كن متفرغات للعمل الجاد فى الحركة النسائية دون أن يبحثن عن مورد رزق يأتيهن عن طريق أو آخر، ومن هنا فإن بقاء الحركة النسائية وتقدمها يحتاج إلى بحث ودراسة موضوعية لاعتمادها على نساء عاملات فى مجالات شتى بما فيها الأسرة والمنزل.

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى أهم القضايا التى تحتاج إلى إعلام نسائى واهتمام من الحركة النسائية نجد منها توعية الفتيات بتاريخ المرأة العربية بطريقة موضوعية لاخيال فيها، ولا إثارة أضف إلى ذلك تاريخ المرأة فى الدول المتقدمة ودورها فى التطور الإنسانى، وكذلك المفاهيم الجديدة والتى تتنافى مع وجود المرأة عالة على بقية أفراد الأسرة من الرجال تحتاج إلى تعميق فى أخلاق الشعب وقيمه الاجتماعية بين النساء والرجال على السواء بحيث تبدأ محاولة التغيير فى بداية مرحلة تنشئة الطفل بأن نبين له أن تبعة أعمال المنزل تقع على كاهله والبنت لا البنت وحدها وأن الفتاة المرهقة بأعمال المنزل لا يجب أن تقوم كذلك بأعمال الفتى الخاصة؛ لأنها ليست أقوى منه بنية وأن التقاليد التى تحتم ذلك يجب أن تذهب إلى غير رجعة كما ذهبت غيرها من تقاليد الحريم، إن إعادة النظر فى العلاقة بين الأخت وأخيها من خلال حياتهما المنزلية بحيث يتقاسما أعباء المنزل وخدمة الأسرة دون أن تلقى على كاهل أحدهما تحتاج إلى إعادة النظر، فالتقاليد التى قالت باختصاص البنت بالعمل المنزلى وحدها حتى ولو كانت واحدة وأخوتها الذكور كثرة يجب أن تقتلع من ضمائر الجماهير وعقولها وأعرف أن هذه المهمة من الصعوبة بمكان لرسوخها فى أعماق بعضنا نحن النساء ولمصاحبتها لحياة الأنثى منذ ولادتها بالرغم من عدم منطقها أو موضوعيتها.

أضف إلى ذلك القضية العتيدة المهمة وهى قضية محو أمية النساء؛ لأنه لن تعايش بلادنا نهاية القرن العشرين وما به من علوم وأفكار وظواهر طبيعية وأكثر من ٨٠ ٪ منا أميات لأن المرأة الأمية عقبة تؤود فى تقدم أمتها.

وبعد، إن الحركة النسائية رسالة عظيمة والعمل فيها لابد وأن يكون عقيدة عند العاملين فى مجالاتها لقدرتها على رفع شأن وطننا العربى كله إلى الأمام

والعمل على انتصاره فى معاركه العديدة فى مجالات السياسة والتعليم والبناء والاقتصاد والتصنيع وما إليها، ومن هنا كما ترى يجب أن تقوم على أكتاف أناس ينظرون إليها على أنها عمل وطنى، بل عمل سماوى يحتمه الخالق لإصلاح هذه المنطقة ونجاحها والعاملين فيها، والماضى يؤكد هذا القول، فالبنت كانت تخرج إلى الحياة وهى تؤمن أن من الواجب خدمة الوطن وحبه كحب الله سبحانه وأنها بشخصيتها وسلوكها تصور هذا الحب وما يدعو له، ومن ثم كانت تسعى إلى أى عمل تشعر أن المجتمع فى حاجة إليه دون نظر إلى جزاء أو حتى كلمة شكر كما تقول السيدة علية مظهر[٥] فالحركة النسائية الجادة والهادفة إنما هى الأساس الأول فى نجاح مشروعات البلاد فى القطاعات المختلفة ومن ثم فهى أملنا على طريق التقدم الحضارى والبشرى والثقافى فى الوطن العربى وهى المنارة الثابتة للأجيال القادمة على درب القومية العربية، ولا ينقصها إلا ركائز ثلاث : توعية علمية جادة وتدريب فنى سليم وتنظيم هادف دقيق، لتزيح عن وجه هذه الحركة الستر المهلهلة التى تحجب حقيقتها عن واقع عالمنا المعاصر الذى يسرع مهرولاً نحو أحدث العلوم وتطبيقاتها، محاولاً تلمس طريق جديد إلى حياة الرخاء والاستقرار التى تنشدها المرأة العربية وعملت من أجلها منذ القدم.

هوامش الفصل العاشر

(١) د. هدى بدران أستاذ مساعد بمعهد الخدمة الاجتماعية وخبيرة بمنظمة الطفولة التابعة لهيئة الأمم المتحدة.

(٢) بهيرة مختار هى محررة شئون المرأة بصحيفة الأهرام القاهرية والتى تعايش النشاط النسائى فى البلاد منذ بداية الستينيات.

(٣) شارع الشواربى هو المكان الذى يضم ملابس النساء وأدوات الزينة والعطور وما إليها من السلع المستوردة.

(٤) إنچى رشدى ـ صحيفة الأهرام الصادرة فى ٢٨ فبراير ١٩٧٣.

(٥) علية مظهر إحدى رائدات الحركة النسائية المعاصرة فهى إحدى مؤسسات جمعيات تحسين الصحة والهلال الأحمر وأولادى وغيرها ومقيمة الندوات السياسية والدينية والثقافية للنساء فى منزلها بالمعادى على مدى ٤٠ عامًا.

أهم مصادر الكتاب ومراجعه

أولا : القرآن الكريم.

ثانيًا : الميثاق.

ثالثًا : وثائق لم تنشر :

المخطوطات الخاصة بنشاط هدى شعراوى وقادة المظاهرات النسائية واللجنة الوفدية للسيدات والاتحاد النسائى المصرى والمحفوظة عند المرحومة جميلة عطية وحواء إدريس وعلية مظهر.

رابعًا : رسائل علمية.

١ - إجلال خليفة - الصحافة النسائية فى مصر - ١٨٩٢ - ١٩٦٥ رسالتى ماجستير ودكتوراه - آداب القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٩.

٢ - زينب فريد - تطور تعليم البنت فى مصر - رسالتى ماجستير ودكتوراه كلية التربية - جامعة عين شمس ١٩٦١ - ١٩٦٦.

خامسًا : وثائق منشورة.

أعمال الكسندرا فى المؤتمرات الخارجية ومذكرات نبوية موسى التى نشرتها فى مجلتها وبرامج الهيئات والقيادات النسائية وأعمالها وقوانين ولوائح الجمعيات والأحزاب النسائية منذ نشأتها فى مصر فى بداية هذا القرن، كذلك قوانين الإصلاح الزراعى والتأميم والمذكرات الإيضاحية لها والإحصاءات المختلفة

والكتيبات والنشرات التى يصدرها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء والجامعات المصرية ومنظمة اليونسكو وجامعة الدول العربية والسكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الأفروأسيوية والخاصة بالمؤتمرات النسائية والأنشطة المختلفة للمرأة.

سادسًا : كتب عربية.

١ - إبراهيم عبدالله - مشكلة المرأة فى الدول العربية، القاهرة ١٩٥٨.

٢ - ا - ب كلوت بك - لمحة عامة إلى مصر - ترجمة محمد مسعود، القاهرة ١٩٢٤.

٣ - أحمد أمين - حياتى طبعة ثالثة، القاهرة ١٩٥٩.

٤ - إسماعيل مظهر - المرأة فى عصر الديمقراطية، القاهرة ١٩٤٩.

٥ - السعيد مصطفى السعيد - المرأة والتعليم الجامعى، الإسكندرية ١٩٥٥.

٦ - أمانى فريد - المرأة المصرية والبرلمان، القاهرة ١٩٤٧.

٧ - أمين سامى - التعليم فى مصر، القاهرة ١٩١٧.

٨ - أنور الجندى تطور الصحافة العربية، القاهرة ١٩٦٧.

٩ - تشارلز أدمز الإسلام والتجديد فى مصر ترجمة عباس محمود، القاهرة ١٩٣٧.

١٠ - خير الدين الزركلى - الأعلام - ١٠ أجزاء طبعة ثانية، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٩.

١١ - راشد البراوى - الفلسفة الاقتصادية للثورة، القاهرة ١٩٥٥.

١٢ - رفاعة رافع الطهطاوى - تخليص الإبريز فى تلخيص باريز طبعة وزارة الإرشاد، القاهرة ١٩٥٨.

١٣ - رفاعة رافع الطهطاوى - المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين طبعة أولى، القاهرة ١٨٧٢.

١٤ - رفعت المحجوب - الاشتراكية، القاهرة ١٩٦٠.

١٥ - زينب فواز - الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور، القاهرة ١٨٩٢.

١٦ - سليمان الطماوى - ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة ١٩٦٤.

١٧ - سيد مرعى - الإصلاح الزراعى فى مصر، القاهرة ١٩٥٧.

١٨ - عائشة راتب - ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة ١٩٦٤.

١٩ - عائشة التيمورية - مرآة التأمل فى الأمور، القاهرة ١٢٩٤هـ.

٢٠ - عائشة عبدالرحمن - بطلة كربلاء زينب الزهراء، بيروت ١٩٥٦.

٢١ - عائشة عبدالرحمن - أم النبى، القاهرة ١٩٥٨.

٢٢ - عائشة عبدالرحمن - بنات النبى طبعة ثانية، القاهرة ١٩٥٩.

٢٣ - عائشة عبدالرحمن - الخنساء، القاهرة ١٩٦٣.

٢٤ - عبدالرحمن الجبرتى - عجائب الآثار فى تراجم الأخبار - طبعتى بولاق والشعب، القاهرة ١٢٨٣هـ / ١٩٦٠م .

٢٥ - عبدالرحمن الرافعى - عصر إسماعيل، القاهرة ١٩٣٤.

٢٦ - عبدالرحمن الرافعى - ثورة ١٩١٩، القاهرة ١٩٤٦.

٢٧ - عبدالرحمن الرافعى - مقومات ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة ١٩٦٠.

٢٨ - عبدالله المراغى - حقوق المرأة فى الشريعة الإسلامية ومقارنتها بالشرائع الأخرى، القاهرة ١٩٢٨.

٢٩ - عبدالله عفيفى - المرأة العربية فى الجاهلية والإسلام ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٣٣.

٣٠ - عمر طوسون - التعلم فى عصر محمد على، القاهرة ١٩٣٦.

٣١ - عمر طوسون - البعثات فى عصر محمد على، القاهرة ١٩٣٧.

٣٢ - قاسم أمين - تحرير المرأة - طبعة ثانية، القاهرة ١٩٤١.

٣٣ - قاسم أمين - المرأة الجديدة طبعة أولى، القاهرة ١٩١١.

٣٤ - مجدى الدين حفنى ناصف - آثار باحثة البادية، القاهرة ١٩٦٢.

٣٥ - محمد أنيس - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩، القاهرة ١٩٦٣.

٣٦ - محمد عزت عبدالكريم - تاريخ التعليم فى عصر محمد على، القاهرة ١٩٤٠.

٣٧ - محمد عزت عبدالكريم - عصر إسماعيل، القاهرة ١٩٤٥.

٣٨ - منيرة حسنى - أيام فى الجمعيات النسائية، القاهرة ١٩٥٧.

٣٩ - وهيب كامل - هيرودوت فى مصر، القاهرة ١٩٤٥.

٤٠ - وهيب كامل - تيودور الصقلى فى مصر، القاهرة ١٩٤٦.

سابعًا : مقابلات شخصية ومحادثات تليفونية مع رائدات الحركة النسائية والعاملين فى مظاهرها المختلفة مثل مجالات التعليم وعمالة المرأة والصحافة النسائية والجمعيات، والتجمعات النسوية المختلفة، وأقاربهم، والعاملين معهم والمتصلين بهم.

ثامنًا : دوريات عربية.

الدوريات النسائية المختلفة، والتى شهدتها مصر منذ مجلة الفتاة لهند نوفل ١٨٩٢ حتى مجلة «هى» لمؤسسة أخبار اليوم ١٩٦٤ وعددها ٣٣ دورية عاشت مجتمعة ٢١٧,٥ عامًا بالإضافة إلى صحف الأهرام والسياسة اليومية والأسبوعية. والبلاغ يومية وأسبوعية والجامعة لفرح أنطون والجديد لمحمود عزمى والجديد للمرصفاوى والآداب والمقتطف والهلال والنيل والسفور والمصور وغيرها.

فهرس الصور

١ - العدد الخامس لأول دورية نسائية فى الشرق العربى.

٢ - مجلة الأمل لمنيرة ثابت تهاجم زيور باشا.

٣ - تفيدة علام تتصدر أحد أعداد مجلتها «أمهات المستقبل».

٤ - صحيفة العفاف تعارض تطور المرأة.

٥ - طالبات مدرسة السنية سنة ١٩٠٣ وبعض هيئة التدريس بها.

٦ - نبوية موسى تتحدث عن ذكرياتها فى مجال دفاعها عن تعليم البنت.

٧ - أول دفعة نسائية تلتحق بالجامعة المصرية.

٨ - مظاهرة النساء الكبرى سنة ١٩١٩.

٩ - الطالبة بهية فهمى تخطب فى الرجال.

١٠ - هدى شعراوى تتحدث عن مشاهداتها فى الخارج.

فهرس الكتاب

الفصل الأول

نشأة الحركة النسائية فى مصر ١٧

الفصل الثانى

العوامل التى أدت لنهوض الحركة النسائية فى مصر الحديثة ٣١

الفصل الثالث

أثر الصحافة النسائية فى تطور الحركة النسائية ٥٥

الفصل الرابع

أثر الحركة النسائية فى المجتمع المصرى ٩٥

الفصل الخامس

تعليم المرأة فى مصر ١٢١

الفصل السادس

الحركة النسائية فى مجال عمالة المرأة ١٥٥

الفصل السابع

الحركة النسائية فى مجال السياسة ١٧٥

الفصل الثامن

المؤتمرات النسائية فى مصر الحديثة ٢١٣

الفصل التاسع

الحركة النسائية فى المجال الخارجى ٢٥١

الفصل العاشر

على هامش حركتنا النسائية ٢٨١

منافذ بيع مكتبة الأسرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة ساقية عبد المنعم الصاوى

الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو

من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى - الجيزة

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. maktabetelosra. org. eg

E - mail : info @egyptianbook.org. eg

ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحياه ويحيا فيه، حين يفتح أفقًا أمام الحاضر والمستقبل، باستيعابه المعلوم، وإدراكه المجهول، وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخرين، فكل قراءة تجدد المعرفة تحررنا من العجز أمام المشكلات، وتمنحنا طاقة الإمكان على تحسين الحياة، بأن نوظف معارفنا لكل ما هو نافع ومفيد، فالمعرفة أهم وأغنى وأقوى ما يمكن أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان، ووعيه المتجدد الحضور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات، وينتج الموارد والثروة، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل المجالات. إذًا، نحس القراءة نحس ممارسة الحياة. لذا، كانت وستظل دعوتي أن نقرأ للحاضر.. أن نقرأ للمستقبل.. أن نقرأ للحياة

سوزان مبارك

ISBN# 9789774204854

٢ جنيه

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القراءة للجميع
2008 - 2009

مكتبة ٢٠٠٨